وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة قاصدي مرباح ورقلة
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

الاتجاه التعليمي في الشعر الجزائري القديم من القرن الثامن الهجري وحتى نهاية القرن العاشر الهجري

- دراسة تحليلية لأنماطه وأشكاله-

أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في الأدب الجزائري القديم

إعداد الطالب :
عبد الرحمان عبان

إشراف الأستاذ :
أ.د العيد جلولي

السنة الجامعية : 2015 – 2016م 1436 – 1437هـ

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة قاصدي مرباح
ورقلة

كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

الاتجاه التعليمي في الشعر الجزائري القديم من القرن الثامن الهجري وحتى نهاية القرن العاشر الهجري

- دراسة تحليلية لأنماطه وأشكاله-

أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في الأدب الجزائري القديم

إعداد الطالب :
عبد الرحمان عبان

إشراف الأستاذ :
أ د. العيد جلولي

أعضاء لجنة المناقشة

الأستاذ الدكتور : .....(عبد المجيد عيساتي).....رئيسا
الأستاذ الدكتور : .....(العيد جلولي).....مشرفا ومقررا
الدكتور : .....(بوداود وذناني).....عضوا
الدكتور : .....(أحمد جاب الله).....عضوا
الدكتور : .....(مسعود وقاد) .....عضوا
الدكتور : .....(أحمد قيطون).....عضوا

السنة الجامعية : 2015 – 2016م / 1436 – 1437هـ

كـلـمـة شـكـر

أحمد الله عز وجل أولا، أن مكنني من استكمال هذا البحث، ثم لا أنسى فضل الأساتذة الكرام الذين ساعدوني وشجعوني على إنجاز هذه الدراسة في الشعر الجزائري القديم، وأخص بالذكر والشكر الأستاذ الدكتور العيد جلولي المشرف على الرسالة والذي لم يتخل عني في أصعب الظروف، دون أن أنسى جميع أسرة جامعة ورقلة من أساتذة وموظفين وطلبة وكل من ساعدني على انجاز هذا البحث المتواضع، والشكر موصول كذلك إلى جميع موظفي المكتبات الوطنية والمحلية والدولية والمشرفين على المواقع الإلكترونية العربية ذات التوجهات الثقافية والفكرية والتربوية والعلمية .

فإلى الجميع أسأل الله أن يجازيهم خير الجزاء وأن يسدد خطاهم في سبيل خدمة الإنسانية.

والله من وراء القصد والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

ا لإ هـد ا ء

إلى والدتي التي حملتتني كرها ووضعتني كرها،أرجو من الله لها المغفرة والرضوان وأن يسكنها فسيح جناته.

وإلى والدي وجدتي لأمي اللذين ربياني صغيرا، أهدي هذا العمل.وإلى كل من كان له الفضل في إرشادي وتقويم سلوكي، وفتح لي أبواب العلم والمعرفة على أوسع وجوهها ومضامينها،ابتداء من شيوخ القرآن في الكتاتيب ومعلمي في الابتدائي والمتوسط وأساتذتي في التعليم الثانوي والجامعي.وجمعيات الإصلاح والتربية و الشخصيات العامة وإلى زوجتي وأبنائي وبناتي وأهلي وأخواتي وجيراني وأصدقائي الذين ساعدوني بالتشجيع في إخراج هذا البحث.

وفي الختام إلى كل المؤلفين من علماء ودعاة وقادة ومسؤولين ومشرفين على التربية والتعليم في الجزائر وفي العالم العربي والإسلامي عامة أهدي هذا العمل المتواضع . لأني أحس وأشعر بأن ما تعلمته وأنقله الآن هو من هؤلاء جميعا.

" وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب "

مقدمة

الاتجاه التعليمي، ونعني به مؤلفات أولئك الفقهاء والعلماء الذين سخروا الشعر والنظم والمتون المتنوعة في شتى العلوم، لتبليغ المعارف إلى الناس، بلغه مألوفة ومعاني واضحة وأفكار سامية بهدف تسهيل العلوم والمعارف للمتعلمين. وهذا الاتجاه معروف في الثقافة العربية الإسلامية صاحبَ الفتوحات، واقترنت نشأته بحاجة الناس إلى تعلم قواعد الدين الجديد، (عقائد وأصول وسنن وأحكام وعبادات....)

وأصحاب هذا الاتجاه لا يزالون مستمرين في رسالتهم التربوية التثقيفية باستخدام المنظومات والأراجيز وسيلةً لنشر المعرفة والعلم. والحديث عن الاتجاه التعليمي في الجزائر عصر الزيانيين والعثمانيين، هو وصف للحركة العلمية والثقافية .التي استخدمت الشعر والنثر في إسداء النصح لأفراد الشعب وطبقة الحكام، وهذا الأمر أدى إلى تنوع المنظومات الشعرية ذات الاتجاه التعليمي في الشعر الجزائري القديم إبان القرون الثامن والتاسع والعاشر الهجري. إن هذا الاتجاه التعليمي في الجزائر كرس إلى حد كبير ملامح متميزة ثقافية في الجزائر الزيانية ثم العثمانية. وإني أعتقد أن هذه الدراسة الخاصة بالاتجاه التعليمي في الشعر الجزائري القديم قل من اهتم ببحثه وجمع مادته من ثنايا المصادر والمراجع حسب علمي، ويرجع سبب اختياري للموضوع رغم صعوباته:

. إن رسالتي في الماجستير كانت حول الشعر التعليمي في عصر الموحدين في القرنيين السادس والسابع الهجري مما حفزني على مواصلة البحث في القرون التالية له بالإضافة إلى :

. الرغبة في التعامل مع مؤلفات السلف.

. المشاركة في خدمة وتحقيق ودراسة الآثار الثقافية الجزائرية.

. الغيرة على التراث الأدبي الجزائري، ومحاولة إنقاذ ما بقي من الضياع.

. إثراء المكتبة العربية والإسلامية ببحث جديد في الاتجاه التعليمي.

. اعتقادي الخاص أن الشعر الموضوعي أكثر جدية والتصاقا بنهضة الأمة والمحافظة على هويتها على اعتبار أنه يخاطب العقل لا العواطف والأهواء.

. محبة أهل هذا الاتجاه باعتبارهم قادة الفكر والإصلاح، إذ لا يخفى مدى الجهد والمشاق التي تحملها هؤلاء في خدمة العلم وتصنيف الكتب، فحري بنا نحن الأبناء والأحفاد أن نزيل آفة النسيان عنها بقصد الانتفاع بمؤلفاتهم والاستفادة منها، لتغذية العقول والأرواح .

. لم أعثر على أي بحث تناول موضوع المنظومات التعليمية الجزائرية خلال هذه القرون المعنية، بالشكل الذي يمكن أن يفيد الباحث أو الدارس للتراث العلمي الجزائري بحيث لم أجد تحليلا أو دراسة للمنظومات التعليمية الجزائرية. إلا أني استعنت ببعض الدراسات السابقة ومنها رسالتي للماجستير الموسومة بالشعر التعليمي في الأدب الجزائري القديم على عهد الموحدين .

هذا و يعتبر مضمون المتون العلمية من الموضوعات التي يصعب التعامل معها، ذلك أن ظاهرة المنظومات التعليمية يصعب رصدها في شكل معين من الأشكال ولاسيما لمن يرى أنها أسهمت إلى حد كبير في شيوع المختصرات والشروح والحواشي وغياب روح التجديد والابتكار. والجدير بالملاحظة هو غلبة الاتجاه الديني على الأدب الجزائري القديم عموما فكان معظم الشعراء والأدباء فقهاء وقادة فكر عبروا عن واقعهم وعصرهم .

وتجب الإشارة إلى أن عصر الزيانيين شهد حركة ثقافية واسعة، برغم الحروب الطاحنة اختصت بالعلوم الشرعية {عقيدة، حديث، فقه، نحو وصرف ومنطق وبلاغة وسيرة وتفسير } واستندت هذه الحركة الفكرية إلى زخم ثقافي موروث متصل بالنهضة الفكرية زمن الموحدين التي تحدثت عنها في رسالتي للماجستير .وإلى التواصل والعلاقة الثقافية مع بلاد الأندلس والمشرق العربي.

وكان موضوع التوحيد والعقيدة الإسلامية محور هذه الحركة بالإضافة إلى علم الفقه بحيث نجد أنه من النادر أن تجد عالما أو مدرسة أو زاوية يخلو من كتاب منثور أو منظوم في العقائد لاسيما في تلمسان أو المغرب الأوسط الذي عرف فيما بعد بالجزائر في العهد العثماني.نظرا لأهمية علم العقيدة والتوحيد في الحضارة الإسلامية، وقد كانت العبادات علة حياة السلف تبعا لقول الله تعالى" وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون"[1]

وقد شهدت الجزائر أزهى عصورها الثقافية والعلمية في القرن الثامن والتاسع الهجريين حيث استنارت بكوكبة من العلماء والمثقفين في مختلف الحواضر العلمية آنذاك كتلمسان وبجاية ووهران وبونه وقسنطينة ومازونه والجزائر وبسكرة ومنطقة توات ... وغيرها من المدن .

ومن ابرز العلماء الذين بذلوا مجهودات جبارة في ميدان بث الثقافة والعلم نذكر :

1- الشريف الحسني التلمساني ت سنة 721هـ

[1] سورة الذاريات الآية رقم.56

2- ابو عبد الله محمد بن محمد المقري التلمساني ت 759 هـ
3- محمد بن مرزوق التلمساني الخطيب ت سنة 781 هـ
4- عبد الرحمان الوغليسي البجائي ت سنة 786 هـ
5-احمد بن حسن بن علي الخطيب المعروف بابن قنفذ القسنطيني ت سنة810هـ
6- أبو عبد الله محمد بن محمد بن احمد بن مرزوق العجيسي ت سنة 842هـ
7- ابو الفضل قاسم بن سعيد العقباني ت سنة 854 هـ
8- إبراهيم التازي نزيل وهران ت سنة866هـ
9-عبد الرحمان الثعالبي الجزائري ت سنة 875 هـ
10-محمد بن يوسف السنوسي ت سنة 895هـ
11- احمد بن محمد بن زكري ت سنة899هـ
12- ابو عبد الله محمد بن محمد بن أبي جمعة شقرون الوهراني ت سنة899هـ
13- محمد بن عبد الكريم المغيلي ت سنة 909هـ
14- محمد بن عبد الرحمان الحوضي ت سنة 910 هـ
15- احمد بن يحي الونشريسي ت سنة 914هـ
16-عبد الرحمان الأخضري ت سنة 983هـ

وهؤلاء الأئمة والعلماء والمثقفين أثروا الحياة الفكرية بنشاطاتهم العلمية والفكرية في المساجد والزوايا والمدارس بالمدن والقرى والأرياف وقد مس التطور الفكري عصر ئذ جميع البلدان المغاربية دون استثناء.

إن اختيار هذا الموضوع الجدير بالدراسة لم يكن من قبيل المصادفة أو رغبة في المغامرة وإنما أملته رغبة شخصية أصيلة تحرص على إجلاء الكنوز العلمية المتواجدة عبر الوطن في المكتبات الخاصة والعامة، وإبراز جهود هذه الكواكب العلمية المضيئة بمؤلفاتها في العلوم المختلفة وخصوصا ميدان الشعر المنظوم وكذا المتون في علم العقيدة والفقه والنحو والبلاغة.... والتي تعتبر ميزة ثقافية حضارية تكشف المستوى الفكري والإبداع العلمي للجزائريين في تلك الحقبة الهامة من تاريخنا الوطني الحافل بالعطاء والحيوية رغم المعاناة من جراء كثرة الحروب والتدخلات الخارجية من الأشقاء الحفصيين تارة ومن المرينيين تارة أخرى ومن الأوربيين الإسبان والبرتغاليين، كما تبرز تلك المنظومات والقصائد

التعليمية والتربوية رغبة علمائنا الخالصة في تبليغ معارفهم إلى الناس، تماشيا مع التعاليم الإسلامية التي تحث على تعلم العلم وتبليغه، وسيبقى هذا الاتجاه وما أنتجه شهادة تاريخية تعتز بها الأجيال، لأنها تقدم أوسمة النور المتسمة بالرقي والقيم الحضارية في مختلف العلوم .ذلك أن تراثنا العربي الإسلامي بشكل عام احتوى على منظومات تعليمية شعرية في اللغة والنحو والتاريخ والسير وفي علم الفلك والطب والرياضيات كما احتوى على منظومات أخرى في العقيدة والفقه والقراءات وغيرها من العلوم والفنون.

. وهذه الدراسة ترتبط بموضوع الاتجاه التعليمي في الشعر الجزائري القديم خلال القرون الهجرية من الثامن إلى العاشر، أي فترة الدولة الزيانية والعثمانية. وهذا العمل أعتبره مقاربة جادة تحاول إحياء التراث وإبرازه والكشف عن جهود علمائنا في الميدان التربوي والتعليمي هذا من جهة، ومن جهة أخرى يعد مواصلة للبحث السابق المقدم في رسالة الماجستير الذي تعلق بالشعر التعليمي في الأدب الجزائري القديم والذي تضمن جهود ابن معطي الزواوي في شعره المنظوم النحوي والبلاغي، وهو الأمر الذي دفعني إلى مواصلة البحث والتنقيب في تاريخنا الحضاري والفكري لدراسة هذا النوع من الشعر الذي لم يلتفت إليه كثيرا من قبل الدارسين إما إعراضا عنه وإما ازدراء له تبعا لأحكام مسبقة،أصدرها نقاد الأدب وذلك بالحط من قدره محتجين ببعض الضعف والركاكة التي تنتاب بعض المنظومات العلمية. وهنا يجب التنبيه أنه لا يجب تطبيق مقاييس نقدية واحدة على شعر الأدباء وشعر الفقهاء خصوصا المنظومات التعليمية، بسبب أن هذه المنظومات ذات توجه علمي، لا تهتم بالقيم الشعورية قدر اهتمامها بالمضمون الذي تريد إيصاله إلى القارئ والمتعلم. فهناك فرق بين الشعر الذاتي والموضوعي فلكل سماته ومواصفاته. وعلى هذا لا تقبل عبارات الحط والتهوين من الشعر التعليمي والموضوعي عموما، لأني أعتقد أن الأمة الإسلامية حين كانت في أوجها الحضاري حدث فيها نوع من التقارب بين الشعر والعلم فاهتمت بالعلوم العقلية وساد فيها الشعر الموضوعي وخصوصا التعليمي . إذ عانق الأدب الرياضيات والطب والفلك والمنطق والفقه والتاريخ وغيرها من العلوم. وإني اعتبر هذه الدراسة محاولة لاستكشاف الدور الذي أداه الشعر التعليمي خلال مواكبته لمسيرة التربية والتعليم في الجزائر نشأة ونضجا وضعفا ومحاولة الكشف عن دوره في تطور الفكر التربوي التعليمي على أساس انه نظِّم بغرض توصيل المعلومات والمهارات والقيم الدينية والأخلاقية إلى الناس،

ولهذا ينبغي أن يُدرس بمقاييس النقد التربوي لا بمقاييس النقد الأدبي. وهذه الدراسة هي محاولة في الاستقصاء لإرجاع الفضل إلى هؤلاء العلماء والفقهاء الذين بذلوا مجهودات عظيمة في نظم العلوم وتيسيرها إلى القراء والمتعلمين، والشعر التعليمي حمل على أعجازه حضارة وثقافة عظيمة الأثر للأمة العربية الإسلامية. لكني مع ذلك لا أتوقع من هذه الدراسة الكمال ولا أزعم لها شيئا من ذلك، ذلك أن مصادري التي استعنت بها في تحرير هذه المعلومات المتواضعة اشعر أنها غير كافية لأني أعلم بوجود مصادر أخرى لم أصل إليها. وهذا هو الذي كان يحز في نفسي ويجعلني مترددا كلما عزمت على تقديم الموضوع إلى المناقشة .

هذا وينبغي الإشارة إلى تشجيع الأستاذ المشرف الذي كان له الفضل في التوجيه والدعم بالمراجع والمصادر المتوفرة لديه، كما أود ههنا الإشارة إلى أهمية الإشادة بما خلفه أجدادنا من كنوز علمية، بدأت في الظهور بعد أن كانت مغمورة، والفضل في إبرازها يعود إلى كبار أدبائنا وعلمائنا المحدثين نذكر منهم: الشيخ الفاضل شيخ المؤرخين صاحب الكتاب العلمي التاريخي الهام: (تاريخ الجزائر الثقافي)، ابو القاسم سعد الله والشيخ عبد الرحمان الجيلالي، والشيخ مبارك الميلي والأستاذ عبد الحميد حاجيات، والمهدي بوعبدلي واحمد توفيق المدني، ويحي بوعزيز ومحمد الطمار ورابح بو نار وموسى لقبال، وكل أعضاء مجلة الأصالة دون أن ننسى أصحاب الموسوعات في الشعر الجزائري كموسوعة (إرشاد الحائر إلى آثار أدباء الجزائر) لمحمد بن رمضان شاوش والغوثي بن حمدان، وموسوعة الشعر الجزائري للأساتذة: الربعي بن سلامة وعمار ويس ومحمد العيد تاورته وعزيز لعكايشي. ولا يفوتني هنا كذلك أن أشيد بجهود الأستاذ العربي دحو ومحمد مرتاض وغيرهم كثير ....

والحقيقة أني حين قرأت مختلف المصادر والمراجع التي أتيحت لي في جمع مادة الموضوع أدركت أننا لازلنا نجهل الكثير من تراثنا وتاريخنا الثقافي خصوصا في الفترة التي نطلق عليها الأدب الجزائري القديم منذ الفتح الإسلامي إلى 1830م فهذه الفترة الهامة تحتاج منا إلى بذل المزيد من الجهود الفردية والجماعية لدراسة تلك الكنوز وتقديم عشرات البحوث والدراسات. إن الدارس للأدب الجزائري القديم سيهوله مدى الجهل بإنتاج سلفنا سواء منه المحقق أو الذي ما يزال مخطوطا في رفوف المكتبات العامة والخاصة، وسيكتشف أدبا

متنوعا زاخرا بالمعارف والإسهامات الفكرية والثقافية والشخصيات العلمية الكبيرة. وهذا الأمر هو أحد الدوافع الإضافية التي دفعتني إلى اختيار الموضوع. وإذن فهدف الدراسة هو الوقوف على ما ألفه الجزائريون من حيث العدد والنوع، وهذه هي إشكالية الموضوع الرئيسية: فهل عرفت الجزائر فعلا اتجاها تعليميا؟ من هم رواده؟وما طبيعة الوضع الثقافي خلال الفترة الزيانية ثم العثمانية؟ وما هي أبرز مظاهر هذا الاتجاه التعليمي في المدن والحواضر الجزائرية عصرئذ؟ وما هي أبرز مميزات هذا الاتجاه؟ وما علاقته بالاتجاهات التعليمية في الوطن العربي عموما وإشكالية الموضوع الهامة تتمثل في: ما هو دور الجزائر في إخصاب الفكر العربي الإسلامي خلال العهدين الزياني والعثماني؟ وللإجابة عن هذه الأسئلة سلكت المنهج العلمي التاريخي مسترشدا بالتراث الثقافي الوطني من خلال عدد من المصادر الوطنية والعربية الإسلامية .وقد حاولت جاهدا أن أجمع معلوماتها في الموضوع، وكل أملي أن أقدم صورة مستقصية تكون جلية واضحة للقراء والدارسين منتهجا المنهج التاريخي في تتبعي للظواهر الثقافية والأحداث التاريخية المؤثرة في الحياة العامة وفق رؤية موضوعية نزيهة في إطار زمن محدد لهذه الدراسة متمثلا في القرون الثامن والتاسع والعاشر الهجري، الذي شهد صراعا مريرا بين الإخوة الأشقاء مباشرة بعد سقوط الدولة الموحدية، التي تأسست على أنقاضها ثلاث دول هي: المرينية والحفصية والزيانية.

كما حددت المنطقة الجغرافية للموضوع وهي أرض الجزائر المعروفة حاليا، حتى وإن تبع الشرق الجزائري الدولة الحفصية، محاولا أن أدرس الموضوع في الإطار الإقليمي أولا ثم الإطار العربي الإسلامي، وذلك نظرا للارتباط الثقافي الشديد بين الدول المغاربية والمشرقية على الرغم من الحدود السياسية. فالعلم والثقافة والفكر لا يعترف بالحدود السياسية. هذا وقد اتخذت من إنتاج عشرات الأدباء والعلماء الجزائريين الذين أنتجوا شعرا أو نظما تعليميا مجالا للدراسة والتحليل. معتمدا على عدة منظومات شعرية مشهورة ألفها جزائريون إبان تلك الفترة المعنية بالدراسة أذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

*المنظومة الجزائرية في التوحيد لأحمد بن عبد الله الجزائري ت سنة 884هـ

*منظومة محصل المقاصد مما به تعتبر به العقائد لابن زكري ت سنة 899هـ.

*منظومة معلم الطلاب بما للأحاديث من الألقاب لابن زكري.

*منظومة القدسية في التصوف للاخضري ت سنة983هـ.

*قصيدة المرادية للتازي في علم التصوف ت سنة 866هـ.
*منظومة المغيلي في المنطق ت سنة 909هـ.
*المدائح النبوية لأبي حمو موسى الزياني ت 791هـ.
*ديوان جني الجنتين في مدح خير الفرقتين لابن الخلوف القسنطيني ت سنة 899هـ
*منظومة بغية الطلاب في علم الإسطرلاب للحباك ت سنة 842هـ
*منظومة المنحة المحكية للمبتدئ القراءة المحكية لمحمد بن احمد المصمودي
*أرجوزة الحديقة لابن مرزوق الحفيد التي هي اختصار لمنظومة {ألفية العراقي في مصطلح الحديث}
*منظومة واسطة السلوك في العقيدة للحوضي ت سنة 910هـ
*منظومة تقريب المنافع في الطرق العشر لنافع لأبي عبد الله بن ابي جمعة شقرون الوهراني في القراءات ت سنة 983هـ

بالإضافة إلى عشرات القصائد والمقطوعات من الشعر التعليمي الخاص والعام المبثوثة في كتب التاريخ والدواوين العام ومنها: *بغية الرواد ليحي بن خلدون والإحاطة في أخبار غرناطة للسان الدين ابن الخطيب والبستان لابن مريم ونيل الابتهاج للتنبكتي والنبوغ المغربي لعبد الله كنون وتعريف الخلف برجال السلف للحفناوي وتاريخ الجزائر الثقافي لسعد الله، ونفح الطيب للمقري وتاريخ الجزائر العام لعبد الرحمان الجيلالي وفي غيرها من المصادر والمراجع والتي سنشير إليها في ثنايا البحث.

وأما هيكل البحث فيحتوي على مقدمة ومدخل وخمسة فصول،ثم خاتمة وملحق.وقد خصصت الفصل الأول للاتجاه التعليمي في الشعر الجزائري القديم، فوصفت نشأة الاتجاه التعليمي بالجزائر وعوامل ظهوره واهم موضوعاته أما الفصل الثاني فأبرزت أنماط وأشكال الشعر الجزائري القديم خلال القرن الثامن والتاسع الهجري وعرّفت فيه أبرز العلماء والمثقفين الذين أنتجوا في الميدان التعليمي وأما الفصل الثالث فقد خصصته للاتجاه التعليمي في القرن العاشر الهجري ودرست فيه منظومات الأخضري من حيث النمط والشكل. وأما الفصل الرابع فخصصته لدراسة الخصائص الاسلوبية للشعر التعليمي. وأما الفصل الخامس فدرست فيه نماذج من الإنتاج الجزائري في ميدان الشعر التعليمي.

ومن ابرز الصعوبات التي اعترضت طريقي أثناء إنجاز هذا البحث قلة الدراسات والبحوث في مجال الشعر التعليمي عموما، وصعوبة تحليل المنظومات العلمية واتساع مدونة البحث.

وتلك كانت إحاطة موجزة بموضوع البحث ،وأرجوا أن أكون قد حققت بعض الإضاءة للموضوع المطروح ،على الرغم مما قد يعتور هذا العمل من قصور متوقع ونقص، فإنه في الحين ذاته ،يعد مقاربة مخلصة متواضعة للتعريف بهذا الاتجاه في الشعر الجزائري القديم. والجدير بالذكر انه لولا تسهيل الله جل وعز الذي يسر لي المساعدة والتشجيع والدعم من بعض الباحثين ذوي الفضل عليّ، لما استطعت الانتهاء منه وفي مقدمتهم الأستاذ المشرف على الرسالة. فإن وُفّقت فذلك فضل من الله ومنة، وأما ما اعترى البحث من ضعف أو نقص وغفلة فمن تقصيري، فأتحمل كامل المسؤولية عنه، هذا ولا يمكنني الادعاء بأني قد قلت كلمة الفصل في الموضوع أو أزعم أني قد حققت ما أبتغيه أو ما كنت اطمح إليه، ويكفيني عذرا أني بذلت شيئا من الجهد في القراءة والجمع وحاولت التصنيف.

ولا يفوتني ههنا أن أتوجه بالشكر إلى كل الأساتذة والإداريين في قسم اللغة والأدب العربي بجامعة ورقلة على ما قدموه لي من مساعدة، كما اشكر جميع موظفي وموظفات مكتبة القسم ومكتبة دار الثقافة مفدي زكريا بورقلة ومكتبة الولاية ومكتبة البلدية بورقلة. فأسال الله سبحانه وتعالى أن يجازي الجميع عني خير الجزاء . ولا يسعني في ختام هذه المقدمة إلا أن أتوجه بالشكر الجزيل إلى الأساتذة الأفاضل أعضاء لجنة المناقشة، هذا وإني آمل أن يسد عملي هذا نقصا في هذا النوع من الدراسات المتعلقة بالأدب الجزائري القديم، وأن يكون عونا لغيري من الباحثين في المستقبل، واعتقد أني قد سعيت إلى تمهيد الطريق لغيري وأخلصت النية في العمل والله من وراء القصد، وهو يهدي السبيل .

والله ولي التوفيق

ورقلة في 21ربيع الأول 1437هـ

الموافق لـ 2016/01/02

الطالب : عبد الرحمن عبان

مدخل

. الأوضاع السياسية والثقافية ببلاد المغرب بعد سقوط دولة الموحدين:

شهد المغرب الإسلامي في القرن السابع الهجري انقساما سياسيا جديدا إلى ثلاث دول بربرية مستقلة، ويرجع سبب قيام هذه الدول إلى انهيار دولة الموحدين، فقد استغل بنو حفص المصامدة ولاة إفريقيا في عصر الموحدين فرصة احتضار هذه الدولة وأعلنوا استقلالهم عنها في أيام أبي زكريا الحفصي.... فيما اقتسم بنو. مرين وبنو عبد الواد الزناتيين بقية بلاد المغرب فيما بينهم، فاختص بنو.مرين.بالمغرب الأقصى. فيما استقل بنو عبد الواد بالمغرب الأوسط[1] وحاول المرينيون والحفصيون بكل ما في وسعهم إحياء وحدة الإمبراطورية الموحدية بعد انهيارها، مقدمين أنفسهم كورثة شرعيين للموحدين، فحاولا ضم بقية المناطق التابعة للموحدين ..وشنت الحروب والغارات من اجل ذلك بين الدول الثلاث المنبثقة عن سقوط الموحدين، بدعوى تمثيل استمرارية الدولة الموحدية .إلا انه رغم هذا الصراع الدامي فلم تتغير الخريطة السياسية إذ لم تتمكن أي دولة من الغلبة المطلقة بسبب توازن القوى[2] وهذا الصراع المؤلم خلف حالة من عدم الاستقرار السياسي والأمني في المغرب الإسلامي عموما . وأهدر طاقات هائلة. فأصيبت الحياة الاقتصادية والاجتماعية بالكثير من مظاهر التدهور والانهيار بالمقارنة مع القرون الخالية بسبب تلك الحروب بين الأشقاء، وكانت هذه الحروب تتعدى الصراع بين الجيوش، إلى تحطيم مظاهر الحياة الاقتصادية كردم الآبار وعيون المياه وحرق الزروع وتحطيم كل وسائل الإنتاج، وما يتبع ذلك من ترويع للآمنين بنشر الرعب والجوع وغلاء الأسعار، كما تقلص حجم التجارة بسبب عدم الاستقرار وانتشار اللصوصية التي كانت شائعة آنذاك.[3]

وفي الزمن ذاته، كانت شعوب أوروبا تشهد تحولات جذرية على المستوى الحضاري والاقتصادي والعسكري كان لها انعكاسات مباشرة في ميزان القوى المسيحية والإسلامية او بين ضفتي البحر المتوسط الشمالي والجنوبي[4] ومن المعلوم إن الدولة الزيانية هي الأكثر تضررا بالصراع بين القوى المغاربية، واكثر عرضة له بسبب انها تتوسط بين الدولتين

[1] عبد العزيز سالم،تاريخ المغرب في العصر الإسلامي،مؤسسة شباب الجامعة 2008ص781

[2] بوداود عبيد، ظاهرة التصوف في المغرب الأوسط، دار الغرب للنشر والتوزيع ،الجزائر 2003 ص 156

[3] ينظر،ابن مرزوق، المناقب المرزوقية، ت سلوى الزاهري، منشورات وزارة الأوقاف،المغرب2008 ،ص45

[4] M.j. viguira le Maghreb mérinide un processus de transferement.in la signification du bas Moyen Age.P309

الحفصية والمرينية .فباسم الشرعية الموحدية قام الحفصيون بحملة على تلمسان سنة640هـ بقيادة السلطان أبو زكريا، فحاصر مدينة تلمسان ثم اقتحمها فنهب وخرب واحرق وقتل .وقد تحدث ابن مرزوق عن هذا الاقتحام في كتابه {المناقب المرزوقية}[1] وظل طابع التأزم بين الدولتين،ففي732هـ أي في الثلث الأول من القرن الثامن هـ احتدم الصراع بينهما للسيطرة على بجاية.ثم تعرضت إلى حملات متتالية: سنة،832هـ،835هـ،866هـ،870هـ، وهذه الحملات دليل على حالة التوتر الدائم، واستمرار الاشتباك بين الدولتين.بينما دافع التلمسانيون عن استقلالهم الداخلي وحريتهم، وكانت هذه الحروب لم تكن لتهدأ حتى تنشب من جديد، فأشاعت حالة من الفوضى وعدم الاستقرار واستهلكت المقدرات والموارد باستمرار. أما الصراع المريني الزياني فكان أشد فظاعة، والذي أججه هو الجوار بين الأخوة الأعداء. فالقرن 8هـ امتاز بالتطاحن الدائم بين فاس وتلمسان، فلم تنقطع هجومات المرينيين على تلمسان حتى سمي بقرن الحروب بين الدولتين[2] فقد بلغت الحملات المرينية على تلمسان 14حملة، ابتداء من سنة671هـ في حروب مكلفة باهظة الثمن وانتهاء بحملة سنة 804هـ .

لذلك تميزت الحياة السياسية في القرن الثامن عموما،بالفوضي وعدم الاستقرار،وما يتبع ذلك من تدهور في الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية.وهذا الحكم ينطبق على عموم العالم الإسلامي قاطبة خلال القرن الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي، فهو عصر التفكك للوحدات السياسية الكبرى .فقد سقطت الدولة العباسية وانقسمت إلى دويلات،ودولة الموحدين في المغرب انقسمت إلى دويلات وإمارات كذلك .والضغط الصليبي يتواصل في استئصال الوجود الإسلامي في الأندلس .وساد الأمة في المشرق والمغرب الأمراض والأوبئة والمجاعات .يصف ابن خلدون الأوضاع آنذاك بقوله في أوضاع القرن الثامن "وأما لهذا العهد وهو آخر المئة الثامنة، فقد انقلبت أحوال المغرب . الذي نحن شاهدوه . وتبدلت بالجملة، واعتاض من أجيال البربر أهله على القدم بمن طرأ فيه من لدن المئة الخامسة من أجيال العرب، بما كسروهم وغلبوهم وانتزعوا منهم عامة الأوطان،وشاركوهم فيما بقي من البلدان لملكهم هذا، إلى ما نزل بالعمران شرقا وغربا في منتصف المئة الثامنة من الطاعون

[1] ينظر ابن مرزوق،المناقب المرزوقية تحقيق سلوى الزاهري، منشورات وزارة الاوقاف المغرب ط 2008 ص 172

[2] ينظر عبد الله شريط ،ومحمد الميلي{الجزائر في مرآة التاريخ}قسنطينة 1965 ص100

الجارف، الذي تحيف الأمم وذهب بأهل الجيل، وطوى كثيرا من محاسن العمران ومحاها،وجاء للدول على حين هرمها وبلوغ الغاية من مداها، فقلص من ظلالها وفل من حدها،وأوهن من سلطانها،وتداعت إلى التلاشي والاضمحلال أحوالها،وانتقص عمران الأرض بانتقاص البشر،فخربت الأمصار والمصانع،ودرست السبل والمعالم،وخلت الديار والمنازل وضعفت الدول والقبائل،وتبدل الساكن، وكأني بالمشرق قد نزل به مثل ما نزل بالمغرب، لكن على نسبته ومقدار عمرانه، وكأنما نادى لسان الكون في العالم بالخمول والانقباض فبادر بالإجابة،والله وارث الأرض"[1] وقد ذهب ضحية هذا الوباء الكثير من المثقفين والفقهاء، وقد دخل المغرب الإسلامي في فترة انهيار ديمغرافي خلال القرنيين السابع والثامن الهجري بسبب انتشار وباء الطاعون الأسود على دفعات. كما انعكس هذا الطاعون على الجوانب الدينية والنفسية وعلى رأسها تقوية الشعور الديني والإقبال على المتصوفة وزيادة اعتقاداتهم في الأولياء والصلحاء.

-الحركة العلمية والثقافية بالجزائر الزيانية:

من المعروف تاريخيا أن البربر قد أسسوا عدة دول بعد الفتح العربي الإسلامي وهي دول: {الرستميين و الصفريين والأدارسة والفاطميين والزيريين والمرابطين والموحدين والمرينيين والحفصيين وبني عبد الواد (الزيانيين)} وقد تأسست هذه الدول على أساس عربي إسلامي، ولم تشذ واحدة عن ذلك،بل انه لم يحدث طوال القرون أن طالب زعيم واحد بربري بإقامة دولة على أساس بربري عرقي[2] بل إن الفضل في نشر العربية وآدابها وتعميم الإسلام في المغرب الإسلامي يعود إلى هذه الدول العشر، التي نهضت بالعلوم والآداب نهوضا رغب المفكرين والمثقفين في الرحلة إلى حواضرها الثقافية وبعد سقوط الموحدين ظهر الحفصيون والزيانيون والمرينيون وكان التنافس بينهم شديدا في تقريب العلماء من مجالسهم، وتشييد المدارس والمساجد فعمت المعارف المدن والقرى، فالمتصفح لكتب التراجم والتاريخ يلاحظ عموما هذه النهضة في طريق الرقي الحضاري، غير متأثرة بالانقلابات السياسية والنتائج الحربية[3] فقد عاشت تلمسان عصرا مزدهرا في ميادين الفكر والثقافة والعرفان خلال العصر

1 ابن خلدون،المقدمة،مؤسسة الرسالة ناشرون دمشق ،،ط1 2007 ص 41،42

2 عثمان سعدي، عروبة الجزائر عبر التاريخ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1982ص84

3 امبارك الميلي ،تاريخ الجزائر في القديم والحديث ،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1976ص864

الإسلامي فأنجبت عددا لا يحصى من فحول الشعراء والأدباء والفقهاء والمحدثين والمؤرخين، واستقطبت طلبة العلم والفكر إليها بالتعلم والتعليم، وشهدت حركة تنوير واسعة تضاهي ما شهدته مختلف العواصم الإسلامية الكبرى في المشرق والمغرب[1]

وقد انتقل إليها مركز الثقافة والعلم والأدب والحضارة من بجاية فأصبحت هذه المدينة تضاهي في سمعتها القاهرة وبغداد وقرطبة واجتمع فيها رجال العلم والأدب والفن مالم يجتمع قبلها في حاضرة جزائرية، وقد ازدهرت ونمت نموا كبيرا أثناء سلطة ملوك بني زيان[2] فقد كان للعلماء والفقهاء والدعاة والمعلمين يد ناصعة في نشر العلم والمعرفة والثقافة الإسلامية في مدارس تلمسان وزواياها ومساجدها.وهذا الاتجاه التعليمي في تلمسان خلال القرن الثامن والتاسع الهجريين قاد حركة تنويرية واسعة للعلوم الإسلامية والمعارف المتنوعة التي فرضت نفسها في الحواضر المغاربية والعربية بما أنتجته من مصنفات في العلوم والآداب وفقه النوازل وفي التفسير والحديث والتصوف والفنون والطب وعلوم المنطق وعلوم الرياضيات وغيرها من علوم ذلك الزمان.[3]

-الثقافة الإسلامية في العهد الزياني:

اكتسب المجتمع التلمساني ثقافة واسعة ورقيا حضاريا،فأعطى للحياة الفكرية والثقافية والتعليم والتأليف أهمية كبرى، زادها عمقا وجمالا الوافدون من المثقفين والعلماء الأندلسيين الفارين من الهجمات الصليبية، فضلا عن المشيخة العلمية التلمسانية التي ساهمت في هذا المجال .ولاشك أن الحياة السياسية القلقة التي عاشتها تلمسان بسبب الفتن الداخلية والحملات الخارجية الحفصية والمرينية المتكررة، لم تؤثر بشكل مباشر على الحياة الفكرية السائدة في المدينة، فقد ظلت تلمسان تحافظ على مكانتها العلمية في أحلك ظروفها السياسية والعسكرية ويعود ذلك إلى العوامل التالية:

*النزعة العلمية والثقافية التي يتميز بها أهلها وحكامها، ورعايتهم للفنون والآداب والعلوم الشرعية بصفة خاصة وتشجيعهم للعلماء والفقهاء.

[1] يحي بو عزيز،ماضي مدينة تلمسان وأمجادها الحضارية،مقال منشور في كتاب مآثر تلمسان ،2011القافلة للنشر والتوزيع الجزائرص23

[2]سليمان داود يوسف ،مآثر تلمسان القافلة للنشر والتوزيع الجزائر2011ص103

[3] ينظر عبد العزيز فيلالي ،تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية، مجلة الوعي ،العدد المزدوج ،3،4 2011 ص 9

*انتشار المدارس والمساجد والزوايا في أحياء مدينة تلمسان إذ كانت قبلة للطلاب والدارسين من مختلف الأقطار.

*الرحلة في طلب العلم والاحتكاك بالعلماء.

*ازدهار فن النسخ والوراقة بمدينة تلمسان فكثرت بذلك المصنفات والمكتبات.

*انتشار التعليم في أوساط المجتمع التلمساني بجميع طبقاته وفئاته.

*حرية تنقل العلماء والأدباء والمثقفين عموما بين الأقطار المغاربية والمشرقية.

*وفرة طلاب العلم في كل الحواضر. [1]

*تبادل المعلومات والمخطوطات بين العلماء

ونسجل ههنا هجرة علماء الجزائر إلى الأقطار المغاربية والمشرقية والاستقرار بها.كما يعد عصر الدويلات الثلاث الذي تلا عصر الموحدين امتدادا في المجال الفكري حيث سارت على نهج الموحدين في تشجيع العلم والعلماء، لذلك نشطت الحركة الفكرية والثقافية، فلم تكتف بالحفظ بل عمدت إلى العمل والتفكير وهذا الجو العلمي هو الذي اخرج علماء نوابغ قادوا الحركة الأدبية والعلمية .وانتصروا للإسلام السني والعودة إلى المالكية مذهبا، وانتصار الأشعرية اعتقادا.فالمدارس الرسمية التي أنشئت لتعلم القوانين الشرعية استعملت للاجتهاد وهو اتجاه يدعو إلى استعمال الرأي في فهم النصوص الشرعية على نحو لا يتعارض والمبادئ الإسلامية وهو ما اعتبر آنذاك زيغا وخروجا عن الطريق الصحيح، فابن مريم صاحب البستان يذكر في حديثه عن الشريف التلمساني ت 826هـ الذي كان مكلفا بالتدريس من طرف الملك أبي حمو انه كان آخر الأئمة الراسخين المجتهدين الذين احيوا السنة وحاربوا البدع، وأما منهج التقليد الذي كان يسود بعض المدارس الرسمية كذلك، فهو اتّباع للسلف الصالح دون محاولة استعمال الرأي. وهذه المدارس شجعت التصوف وساعدت على ظهوره وانتشاره على الرغم من معاداة الفقهاء للتصوف .فقد لوحظ خلال القرن التاسع الهجري وجود عدد من المتصوفة في المدارس المذكورة أشهرهم إبراهيم المصمودي الذي

[1] ينظر، محمد مكيوي، عوامل ازدهار الحياة الفكرية والثقافية في المغرب الأوسط.مجلة الأثر، ماي 2010العدد التاسع ص265

تابع لفترة طويلة دروس المدرسة التاشفينية بتلمسان[1] وقد كان الحكام في الممالك الثلاث يخصون الصوفيين بتقدير خاص كما كان المجتمع ينظر إليهم باعتبارهم أولياء الله وأحبائه. ومع ذلك وبالرغم من الصراع الحاد الذي نشأ بين المجتهدين والتقليديين، تعايش الفقهاء والمتصوفة لأن معظم العلماء كانوا يجمعون بين الحقيقة والشريعة[2]، وكانوا متمكنين من أمور الدين وغير ميالين إلى الجدل الذي هو أساس الفلسفة وطريق الاجتهاد، ثم ساد التصوف العملي بعد ذلك في مرحلة لاحقة بما فيه من حضرة وأذكار وأوراد واعتقادات في الأولياء والصالحين والمرابطين .وكان ابن مرزوق الحفيد ت842هـ زعيم الاتجاه السلفي في تلمسان بينما زعيم المتصوفة هو قاسم العقباني ت854 هـ وكلاهما مشهود لهما بالعمق في العلوم والاجتهاد في الرأي. وهما من عائلتين كبيرتين في تلمسان اشتهر كل منهما بالعلم. ولما كان تيار العصر مع التصوف، فان سلفية ابن مرزوق خفت صوتها بينما انتصر عدد من علماء العصر البارزين إلى رأي قاسم العقباني مثل ابن يوسف السنوسي الذي كان له اتباع كثيرون ومن بين أنصاره كذلك شيخه عبد الرحمن الثعالبي والحسن أبركان ومحمد بن عبد الله التنسي.[3]

-التعليم والمؤسسات التعليمية بالجزائر الزيانية:

لقد كان التعليم منتشرا في شتى مدن الدولة الزيانية ومعظم قراها وكان ينحصر في مرحلة أولى في تعلم الكتابة والقراءة وحفظ القرآن في الكتاتيب والمساجد وفي المرحلة الثانية كان الطلبة يقبلون على دراسة النحو واللغة والأدب والفقه، فينالون بضاعة وافرة تمكنهم من بلوغ مستوى ثقافي لائق، ومن معرفة دينهم وأما الذين يريدون مواصلة دراستهم والتخصص في العلوم، فيدرسون العلوم الدينية من قراءات وتفسير وحديث وفقه وتوحيد بالإضافة إلى العلوم العقلية والاجتماعية والأدب، وغيرها بمزيد من التعمق والتفصيل[4]

وفي العصر الزياني ذكر المؤرخون أنه كان في تلمسان خمس مدارس، فكانت معاهد عليا للتعليم ولتكوين الإطارات وهي :

---

[1] ينظر ،عبد الرزاق قسوم، عبد الرحمان الثعالبي والتصوف الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر1978 ص 22،23

[2] ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، دار البصائر ،الجزائر 2007ج 1ص 51

[3] المرجع السابق،ص53

[4] عبد الحميد حاجيات، الحياة الفكرية في تلمسان ،مجلة الأصالة ،العدد 26،1975ص138

-المدرسة الأولى: (مدرسة ابني الإمام) : فهي أول مدرسة بنيت في الدولة الزيانية وحملت اسم ابني الإمام وهما عالمان جليلان أبو زيد عبد الرحمن وابو موسى عيسى،وقد أمر ببنائها ابو حمو موسى الأول(707هـ*718هـ)وعينهما للتدريس بها وكانت هذه المدرسة بمثابة الأساس في تكوين قاعدة ثقافية وعلمية للدولة الزيانية والتحق بها طلبة كثيرون، وتخرج منها مجموعة من كبار العلماء والمسلمين ومن ابرز تلاميذ ابني الإمام نذكر:ابو عبد الله محمد ابن إبراهيم الآبلي، ابو عبد الله الشريف التلمساني، والمقري الكبير وسعيد العقباني وابن مرزوق الخطيب وعبد الرحمن بن خلدون، ولسان الدين بن الخطيب كما تخرج عليهما جل علماء المغرب العربي إذ ذاك.[1]

-المدرسة الثانية: (المدرسة التاشفينية) : وهي التي بناها أبو تاشفين الأول بن أبي حمو الأول، الذي تفنن في بنائها فأحسن زخارفها، وقد عهد للتدريس بها العالم المشهور أبا موسى عمران المشدالي البجائي صهر العالم ناصر الدين المشدالي. وكان اعرف أهل عصره بمذهب مالك[2] كما كان يحفظ أقوال الصحابة وله معرفة بنوازل الأحكام، درس العلوم النقلية والعقلية: علم الحديث والفقه والفرائض والمنطق والجدل وغيرها.... وتخرج على يده عدد كبير من العلماء منهم ابو عبد الله المقري وسعيد العقباني وابو عبد الله الشريف، ثم تولى بعده المدرسة، سعيد العقباني.وكان السلطان تاشفين يوفر لها ما تحتاجه من العلماء ومن الأموال التي تدفع للأساتذة والطلبة .

-المدرسة الثالثة: (مدرسة العباد): أسسها الملك ابو الحسن المريني قرب مسجد ضريح الشيخ أبي مدين بالعباد وقد درس بهذه المدرسة ابن مرزوق الخطيب وابن خلدون وابن مرزوق الحفيد وكان ذلك سنة 748هـ بعدما استولى على تلمسان سنة 737هـ وساهمت هذه المدرسة في تخريج اجيال من الطلبة .

-المدرسة الرابعة: (مدرسة الشيخ الحلوي) : بناها الملك ابو عنان فارس المريني، بجانب مسجد الولي الصالح ابي عبد الله الشوذي الإشبيلي الملقب بالحلوي نزيل تلمسان وذلك سنة 754هـ، وكانت تلمسان تحت النفوذ المريني وقد اشرف على هذه المدرسة المقري الجد.

[1] المهدي البوعبدلي، مراكز الثقافة وخزائن الكتب بالجزائر،مجلة الأصالة العدد11،1972ص 86

[2] التنسي، نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1985ص141

المدرسة الخامسة : *المدرسة اليعقوبية: وهي التي بناها ابو حمو موسى الثاني سنة 765هـ وسميت باليعقوبية نسبة إلى أبيه أبي يعقوب يوسف وكان هذا السلطان مهتما بالجوانب العلمية، لأنه كان عالما شاعرا واختار ابو حمو العلامة الشيخ أبا عبد الله الشريف مشرفا عليها .وكان يحضر دروسه في التفسير .وأغدق على موظفي هذه المدرسة أموالا طائلة ، واستمر ابو عبد الله الشريف قائما على هذه المدرسة حتى وفاته سنة771 هـ وكان الشريف من كبار العلماء في المعقول والمنقول وفي الفروع والأصول[1]

وكان الطلبة في عهده موفوري العناية عزيزي الجانب، قال عنهم إبن مريم في البستان"وكان الطلبة في أيامه اعز الناس، وأكثرهم عددا وأوسعهم رزقا وانتفاعا، فكثر العلم في عهده وانتشر"[2] وكان يدرس إلى جانب العلوم النقلية، العلوم العقلية التي كان يتقنها كالمنطق والحساب والتنجيم والهندسة والطب والتشريع والفلاحة .وقد تخرج على يديه الإمام الشاطبي وابن زمرك وابن خلدون وغيرهم.....

وهؤلاء العلماء المذكورون المعينون بمدارس تلمسان كابني الإمام وعمران المشدالي وتلميذه محمد المقري وابو عبد الله الشريف هم الذين قادوا الحركة الفكرية والثقافية، كما ان ملوك بني زيان وبني مرين الذين أسسوا هذه المدارس كانوا كلهم ينتمون إلى الدولة الموحدية قبل تفككها.

-خزائن الكتب :

كان للمغرب الإسلامي خزائن للكتب في عهد المرابطين والموحدين[3] وكذا في عهد المرينيين والحفصيين الذين عاصروا الدولة الزيانية،فلقد كان التأليف وعمليات النسخ للكتب،من أهم الموارد التي ساهمت في إنشاء خزائن للكتب في الدولة الزيانية حيث كان لمؤسسها يغمراسن دورا هاما في توفير شروط إنشائها، ذلك انه كان في عهده سوق خاصة لبيع الكتب[4]، وكان حريصا على جمع نفائس الكتب منها المصحف العثماني الذي اشتراه يغمراسن واحتفظ به في خزانته[5] واشتهر السلطان ابو حمو موسى الثاني بتأسيسه لمكتبة

[1] ابن خلدون، العبر، دار الكتب العلمية بيروت ط 1 ،1992ج7،ص479

[2] ينظر،إبن مريم، البستان ص169

[3] المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب ،دار الكتب العلمية، بيروت ط1،1998،ص168.169

[4] التنسي ،نظم الدر ص 124

[5] المراكشي ،المعجب ،ص 179.180

عمومية وجلب لها مختلف الكتب[1] كما اعتنى ابنه ابو زيان بتأسيسه لخزانة الجامع الأعظم بتلمسان[2] والتي نالت شهرة في أقطار المغرب والمشرق،وهذا الحرص على إنشاء المكتبات يتماهى وسياسة الدولة في الاهتمام بالعلوم وتقريبها للدارسين وشيوخ العلم .

-مساجد:

-المساجد: اعتنى الزيانيون ببناء المساجد في المدن والقرى، وقد كان السلاطين يحرصون على العناية بها ورعايتها ومن أبرز هذه المساجد الجامع الأعظم بتلمسان، وإلى جانبه توجد مجموعة من الجوامع والمساجد تنتشر في مدينة تلمسان مثل جامع القيسرية، ومسجد مرسى الطلبة، ومسجد سويقة إسماعيل والجامع الذي بناه السلطان أبو الحسن المريني وهو جامع القصبة والجامع الكبير الذي بني بجوار ضريح ابي مدين شعيب بالعباد .[3] وكانت هذه المساجد قائمة بدورها التعليمي، تعقد فيها حلقات العلم والذكر ويتناولون فيها مختلف القضايا العلمية المتعلقة بالقرآن والسنة .وكان الاهتمام ببناء المساجد ظاهرة بارزة في تاريخ الحضارة الإسلامية، وقد تميزت المساجد في العهد الزياني بالهندسة الجميلة، مع إتقان في البناء وجودة في الزخارف .

-البرنامج الدراسي :

ذكر صاحب زهر البستان أن المدرسة اليعقوبية قد خصصت لدراسة القرآن والعلوم الأخرى، ويمكن إجمال العلوم المتعلقة بالقرآن في: القراءات والرسم والتفسير، وأما العلوم الأخرى فهي علوم الشريعة والطبيعة واما الكتب المدرسة فتتمثل في كتب الحديث وهي : صحيح البخاري وصحيح مسلم والموطأ للإمام مالك وسنن الترمذي وابن ماجة وابي داود والنسائي .

-أصول الفقه: مختصر ابن الحاجب في الأصول ومفتاح الأصول في بناء الفروع على الأصول لأبي عبد الله الشريف، وكتاب البرهان لإمام الحرمين وغيرها .

---

[1] فيلالي، تلمسان في العهد الزياني ص305

[2] التنسي، نظم الدر ص211

[3] ابن مرزوق، المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1981ص 403-402

-علوم أصول الدين: كتاب المحصل للإمام فخر الدين بن الخطيب، والاقتصاد في الاعتقاد للغزالي

-علم الفرائض: الأرجوزة التلمسانية لإبراهيم ابن أبي بكر التلمساني .

-علم التصوف: كتاب مقامات الهروي، رسالة ابي القاسم القشيري وكتاب الأحياء للغزالي[1] وكتاب الشفا للقاضي عياض وكتاب الإشارات لابني سينا وكتاب الحكم لابن عطاء الله السكندري .

-علم الفقه: كتاب التهذيب لابي سعيد البرادعي، ومختصر المدونة، وكتاب النوادر لابن ابي زيد القيرواني، ومدونة سحنون، ومختصر خليل....

-*علم التفسير: تفسير القرطبي[2] لتفسير الطبري، وتفسير الواقدي وتفسير الثعالبي

-علوم العربية: كتاب التسهيل لابن مالك، والمغني لابني هشام وكتاب الصحاح للجوهري وكتاب التبيان للسكاكي وكتاب العمدة لابن رشيق وكتاب الجمل للزجاجي وألفية ابن مالك وكتاب سيبويه[3]

-علم الطب: كتاب القانون لابن سينا وأرجوزته في الطب وكتاب تقويم الأغذية فيما اشتهر من الأعشاب والعقاقير والأغذية ليوحنا بن بختيشوع وكتاب التصريف لمن عجز عن التأليف للزهراوي والموجز في الطب لابن النفيس

-العلوم العددية : كتاب تلخيص أعمال الحساب وشرحه: رفع الحجاب عن تلخيص أعمال الحساب، لابن البناء المراكشي وأرجوزة ابن الياسمين في الجبر، وحط النقاب عن وجوه أعمال الحساب لابن قنفذ القسنطيني، وهذه أهم الكتب المتداولة في تدريس العلوم المختلفة[4] خلال العصر الزياني.

وتحدث القلصادي في رحلته عما درسه من العلوم العقلية بتلمسان فذكر علوم الحساب والفرائض والجبر والمنطق والهندسة والطب والإسطرلاب[5] وفي نفح الطيب يورد المقري مقولة

---

[1] ابن مريم، البستان ص 206

[2] ابن مرزوق، المسند، ص277

[3] ابن مريم البستان ص 117

[4] عبد الجليل قريان، التعليم بتلمسان في العهد الزياني، جسور للنشر والتوزيع، 2011ط 1 ص256

[5] القلصادي، الرحلة، الشركة التونسية للتوزيع، بلا تاريخ ص 117-104-101

مطولة عن الشيخ الإمام ابن أبي يحي الشريف التلمساني في معرض حديثه عن شخصية ابن مرزوق الحفيد يبين فيها المؤلفات التي قرأها ودرسها عنه بقوله:[1]" هو شيخنا الإمام العالم .... ومثلت بين يديه فأفادني من بحار علمه .... فقرأت عليه جملة من تفسير القرآن ومن الحديث، صحيح البخاري بقراءتي وقراءة غيري مرارا وصحيح مسلم كذلك وسنن الترمذي وأبي داود بقراءتي، والموطأ سماعا وتفقها، والعمدة ومن علم الحديث (أرجوزة الحديقة) وبعض الكبرى وهي (الروضة) تفقها.ومن العربية نصف (المقرب) وجميع (سيبويه) كذلك و(ألفية ابن مالك) وأوائل شرح (الإيضاح) لابن أبي الربيع، وبعض (المغني) لابن هشام وفي الفقه (التهذيب) كله تفقها و(ابن الحاجب الفرعي) وبعض (مختصر الشيخ خليل) و(التلقين) و(ثلثي الجلاب) وجملة من (المتيطية) و(البيان) لابن رشد وبعض (الرسالة) وكل ذلك قراءة تفقه... وفي القراءات قصيدة الشاطبي تفقها وابن بري، وفي البيان التلخيص والإيضاح والمصباح .... وفي التفقه (الإحياء) للغزالي .... وألبسني خرقة التصوف .... "

ويثبت هذا النص استخدام المنظومات في التدريس والتفقه وكيفية الدراسة عند شيوخ العلم.و أهم الكتب المقررة في المناهج الدراسية.

-طريقة إلقاء الدروس:

كان المدرّس أو الشيخ محور العملية التعليمية في النظام التعليمي للدولة الزيانية وغيرها من دول المغرب، فهو المنبع الذي ينهل منه التلاميذ والطلاب معارفهم وعلومهم. وكانت لكل عالم حلقته المشهورة في المدرسة أو الجامع أو الزاوية، يأتيه الطلاب من كل أنحاء العالم الإسلامي . وتتميز طريقة إلقاء الدروس بجلوس المدرس على الكرسي، بينما يجلس الطلبة على الحصير، ويبدأ المدرس بتمهيد لموضوعه، ثم يبدأ أحد الطلبة بقراءة نص من الكتاب المقرر، ويقوم الأستاذ بشرحه فقرة بعد فقرة، ويضيف إليه بعض آرائه الشخصية، منبها إلى ما فيه من صعوبات، وخلال ذلك يقوم الطلبة بتسجيل ما يعطيه المدرس أو ما يمليه، ثم الإجابة على أسئلة الطلبة، وكان أسلوب القراءة من كتاب مشهور شائعا في تعليم المواد الدينية والعلمية والفلسفية والأدبية وحتى في مواد الطب والهندسة. وقد ساهمت المناقشات والمناظرات العلمية بشكل فعال في توطيد عرى العلوم وتحكم الطلبة لناصيتها والتمكن من

[1] المقري،نفح الطيب،دار الفكر1968ج5ص424

الغوص في دقيق معانيها [1] .كما أن طريقة تدريس كل علم كان لها دخل في تحبيبه إلى الطلاب أو إبعادهم عنه .

وأما الزوايا في العهد الزياني، فنجد زاوية العباد وزاوية سيدي أبي الحسن وزاوية الحلوي وزاوية أبي عبد الله وزاوية الحسن بن مخلوف الشهير بابركان كما نجد زاوية الثعالبي في مدينة الجزائر، وضريح محمد الهواري في وهران وزاوية السنوسي بتلمسان[2] وكان لهذه الزوايا وظائف تعليمية فقد شاركت في نشر العلم وجعلت من مهامها تحفيظ القرآن الكريم وتدريس العلوم النقلية وبعض العلوم العقلية كالفرائض والحساب. وكان الطلبة يقبلون على التعلم في الزوايا على يد كبار العلماء، ينهلون من المعارف ويتمتعون بالإقامة في الزوايا، مما جعلها تشبه المدارس في تعليمها، كما تخصصت بعض الزوايا في تعليم القرآن وإلقاء دروس الوعظ والإرشاد وقراءة كتب السيرة والاهتمام بأخلاق الصالحين وأخبارهم والاعتناء الكبير بألوان ذكر الله من تهليل وتسبيح وتقديس. ومع طول الزمن انحرفت بعض الزوايا عن التصوف السني الصحيح بعد أن هجرها الفقهاء والعلماء. وفي هذه المرحلة تحولت بعض الزوايا إلى مقرات للدروشة وانتشار البدع بين أفرادها وانتقلت بعد ذلك إلى الغناء والرقص والأكل من الطعام المعد لذلك. ويبدو أن الظروف السياسية والاجتماعية التي كانت سائدة في الدولة الزيانية .،ساهمت بشكل فعال في دفع الشعب من الإقبال على أمور المجاهدة والكشف والانخراط في الزوايا والإيمان بالأولياء وكراماتهم .ويتناقل خرقهم للتبرك بها، وإخبارهم بالمغيبات والاندفاع في زيارة قبور هؤلاء الأولياء وأضرحتهم ويقيم حلقات الذكر حول قبابهم..[3]

وخلاصة القول يمكننا أن نلخص طرائق إلقاء الدروس في الآتي:[4]

1- طريقة الإلقاء والإملاء: سادت هذه الطريقة في الكتاب والزوايا، حيث أن معلمي الصبيان يجلسون في وسط الحلقة ويملون عليهم شيئا من القرآن الكريم وهم يكتبون اللوح الخشبي بواسطة الدواة والقلم.

---

[1] عبد الجليل قريان ،التعليم بتلمسان في العهد الزياني، جسور للنشر والتوزيع ط1 2011 ص 270

[2] المرجع السابق ،ص 270

[3] سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي ج 1 ص 50

[4] ينظر الموقع الالكتروني: WWW.FUSTAT.COM/I_HIST/BUDAWAYA_SHQIF -SHTML المدرسة ونظام التعليم في المغرب الاوسط خلال القرنين 8هـ و9هـ

2- طريقة اختيار كتاب معين من العلوم وشرحه: يقوم فيها طالب من الطلاب بقراءة نص من الكتب المشهورة، ثم يقوم الأستاذ بتولي عملية الشرح .

3-طريقة المحاورة: تركز هذه الطريقة على التحليل والتعليل والمحاورة، وتبتعد عن أساليب الحفظ والاستظهار، وقد كانت مشيخة تلمسان تعتمد على البحث وإعمال الفكر في القضايا العلمية خاصة في العلوم العقلية كالحساب والهندسة والمنطق، ويشكل الطالب في هذه الطريقة النواة المحورية التي يعول عليها في الوصول إلى حل هذه القضايا في حين يكتفي الشيخ والأستاذ بتوجيه الحوار وإدارته.

4- الرحلة العلمية : شد طلاب المغرب الأوسط خلال القرنيين الثامن والتاسع الهجريين الرحالة في طلب العلم إلى الحواضر الإسلامية العلمية الكبرى كغرناطة وفاس وتونس والقاهرة وبغداد والمدينة المنورة بهدف توسيع المعارف وتنقيحها وكذا لقاء العلماء المشهورين بهذه الحواضر . وقد فصل ابن خلدون القول في أهميتها حيث ذكر أن الرحلة في طلب العلوم ولقاء المشيخة مزيد كمال في التعليم إذ يقول " فالرحلة لابد منها في طلب العلم، لاكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشايخ ومباشرة الرجال."[1]

وقد شجع على الرحلة العلمية ونشاطها في القرنيين الثامن والتاسع الهجريين حرية التنقل بين مختلف الأقطار المغاربية والترحيب الذي يلاقيه طالب العلم حيثما حل .

-عوامل نمو الحركة الفكرية والثقافية بالجزائر:

اجمع الباحثون على أن تلمسان في عهد بني زيان، قد عرفت ازدهارا ثقافيا ملحوظا ونهضة أدبية فكرية كبيرة، فقد كان للعلماء والفقهاء والمعلمين يد بيضاء وأعمال ناصعة في نشر العلم والمعرفة والثقافة العربية والإسلامية في مدارس تلمسان ومساجدها وزواياها، وإحياء التراث الإسلامي. وقد تركوا بصمات فكرية رائدة وحركة تنويرية واسعة في العلوم الإسلامية والمعارف المختلفة، مما جعلهم يفرضون وجودهم وحضورهم في المجالس العلمية والمؤسسات التربوية بما أنتجوه من مصنفات في العلوم والآداب وفي التفسير والحديث والتصوف وغيرها من علوم ذلك الزمان حتى غدت تلمسان منارة للعلم وقبلة لطلاب العلم بفضل مشيختها العلمية والفكرية. وقد مثل هذا العصر كم هائل من العلماء في مختلف العلوم والآداب نذكر منهم على سبيل المثال العالمان الفقيهان الأخوان ابنا الإمام، ابو زيد

[1] ينظر ابن خلدون، المقدمة، مؤسسة الرسالة ناشرون ط 1/ 2002 ص606 ، 605

عبد الرحمان، وأبو موسى عيسى، وأبي عبد الله محمد المقري التلمساني ومحمد بن إبراهيم الآبلي، وعلماء أسرة ابن مرزوق الخطيب والحفيد وإبراهيم التنسي، وابن صعد الأنصاري التلمساني والسنوسي، وابن أبي حجلة والمغيلي وابن زاغو وسعيد العقباني وغيرهم...

وقد كانت الحياة الثقافية في القرنيين السابع والثامن والتاسع الهجري نشطة حيث وفرة العلماء في بجاية وتلمسان والجزائر وقسنطينة وخير شاهد على ذلك كتاب عنوان الدراية في ذكر من عرف من العلماء في المئة السابعة ببجاية الذي ترجم فيه المؤلف لمئة وخمسين عالم وكتاب البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان لابن مريم الذي يعتبر مرجعا مهما في تاريخ الجزائر الثقافي، ترجم فيه لواحد وثمانيين ومئة من الأعلام من الفقهاء والمفسرين والمحدثين والرياضيين والفلكيين والأطباء والنحاة واللغويين، كما ان العبدري صاحب الرحلة الشهيرة ذكر بعض ملامح الحركة العلمية ببجاية بقولة "إن مدينة بجاية مبدأ الإتقان والنهاية، هي مدينة كبيرة حصينة منيعة شهيرة، برية بحرية...وهذا البلد بقية قواعد الإسلام ومحل جلة من العلماء والأعلام ....ولأهله من حسن الخلق والأخلاق ما أنبأ عن طيب الهواء والماء والتربة والأعراق"[1] ومن ابرز علمائها في القرن الثامن الهجري الفقيه الزاهد الورع أبي زيد عبد الرحمان بن احمد الوغليسي الذي حارب البدع والضلالات المنتشرة واشتهر بصلاحه وتقواه وبكتابه الشهير الوغليسية في الفقه وهو كتاب هام موجز تضمن عقيدة الإسلام وعباداته. ربط فيه الوغليسي الظاهر بالباطن والعمل بالنظر، كما بين فيه أن معرفة الله هي الغاية من المعرفة ونهاية كل علم وكان هدفه من هذا المتن المنثور هو التربية الإسلامية الصحيحة بالعلم والتهذيب الخلقي لتكوين جيل مؤمن بربه قوي بعقيدته. ومن ابرز من نبغ في القرن الثامن الهجري ببجاية نذكر:منصور بن احمد بن عبد الحق المشدالي ناصر الدين تـ 731هـ، وعمران بن موسى المشدالي نزيل تلمسان تـ 745 هـ، محمد بن قاسم بن عبد الصمد المشذالي تـ 866هـ وقد ساهموا كلهم في الحركة العلمية وتطوير أساليب التعليم.

إن أول ما يدركه المتتبع للحياة الفكرية والعلمية في الجزائر عصر ئذ هو انصراف اغلب العلماء إلى العلوم الدينية متأثرين بالعصر الموحدي الذي تبنت فيه القيادة السياسية إصلاحا دينيا فحواه ضرورة ووجوب الرجوع إلى الأصول من كتاب وسنة وترك الفروع .ولهذا فإن

[1] العبدري، الرحلة تحقيق محمد الفاسي الرباط 1968 ص 50/49

أغلب علماء هذه الفترة أولوا علوم القرآن والحديث أهمية كبرى، وخصصوا لها معظم إنتاجهم. [1] فقد كانت العلوم الشرعية هي عماد الحركة الثقافية والفكرية التي شهدت نهضة فكرية وعلمية في القرن التاسع الهجري وما قبله حيث برز عدد من العلماء الذين صنفوا كتبا في الفقه وعلم الكلام، وكان عدد مؤلفات الفقه هذه في القرن الثامن الهجري كبيرا جدا، وبفضل عرف قديم في الإسلام سواء بالنسبة إلى الفقه وسائر العلوم، فقد كان الفقهاء يصنفون متونا يحفظها الطالب عن ظهر قلب ومختصرات [2] .ومن يطلع على كتاب { المواهب القدسية للملالي} يستوحي أن تلمسان أو المغرب الأوسط كانت حاضرة تربية وعلم وإن غلب عليها ظاهرة المختصرات الشعرية والنثرية. فقد كانت جزائر القرن التاسع الهجري مدرسة في التربية الروحية، يتغنى علماؤها بقصائد ومنظومات الوعظ والإرشاد والفقه والتوحيد كقصائد الشيخ إبراهيم التازي نزيل تلمسان ومتون السنوسي، ومنظومة أحمد الجزائري وابن زكري وابن مرزوق الحفيد وغيرهم...

وكان مجتمع العلماء يؤدي دوره في التوجيه والنصح للعامة والخاصة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في مشاركة ثقافية وفكرية إيجابية، تقوم على الترويج للقيم الحضارية النبيلة، وشحذ الهمم للتمسك بالقيم الخلقية ومعالي الأمور، وقد لاقت رواجا بين الناس لأن منظميها اتسموا بالتواضع والاقتراب من الناس في الحياة اليومية، المادية والروحية. كما تميز المجتمع التلمساني في هذه الحقبة، بالتضامن الاجتماعي والتكافل ولاسيما عند المصائب والمشقات كالحروب والحصارات والظواهر الطبيعية. وكان في مقدمة المتضامنين أهل العلم من الشيوخ والفقهاء وعامة المثقفين والأسر الميسورة الحال، وحتى الحكام لا يتأخرون عن البذل والعطاء لصالح الفقراء والمعوزين، كما حدث في نهاية القرن الثامن، حين حاصر المرينيون مدينة تلمسان تسع سنوات في نهاية القرن الثامن الهجري.كما كان للزيانيين مساهمات في دعم أهل الأندلس اللاجئين إليهم والفارين من ضربات النصارى . وقد ساهمت الدولة الزيانية في المساعدات لأهل غرناطة في شكل متطوعين مجاهدين أو مساعدات إغاثية اقتصادية، لاسيما في عهد بني الأحمر، بالنظر إلى العلاقات الوطيدة بين

[1] عبد الحميد حاجيات، الحياة الفكرية بتلمسان، مجلة الأصالة العدد 26، 1975ص 137.

[2] الفريد بل، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي، ت عبد الرحمان بدوي، دار الغرب الإسلامي بيروت ط 1987 ص361

تلمسان وغرناطة في شتى المجالات، فقد حصل بين الجانبين تأثر متبادل وأخذ وعطاء متواصل .[1]

[1] عبد الحميد حاجيات، العلاقات بين تلمسان وغرناطة، مجلة الوعي ص 73

الفصل الأول

مفهوم الاتجاه التعليمي في الشعر الجزائري القديم وتطوره عبر العصور

مفهوم الاتجاه التعليمي:

يقصد بالاتجاه التعليمي قي الشعر الجزائري القديم، ذلك الشعر الذي نحا منحى علميا وأنتجه العلماء والفقهاء ويتضمن مسائل علمية شرعية أو عقلية أو قيما دينية وأخلاقية أو عقائدية، أو نصائح عامة أو توجيهات يقدمها الشاعر أو الناظم في أشكال متعددة سواء كانت قصيدة شعرية أو منظومة تعليمية أو رجزا[1] أو متنا.على اختلاف مسميات هذا النوع المنتشر بكثرة في شعرنا العربي الإسلامي بشكل عام ابتداء من العصر الجاهلي وحتى العصر الحديث.... ذلك أن الشعراء العرب المسلمين ساهموا بثقافتهم وفكرهم في توجيه الرأي العام نحو الوجهة التي يرونها صائبة في القضايا الاجتماعية والسياسة والدينية وغيرها من النواحي. والاتجاه التعليمي غالب قادتهِ وزعمائه من العلماء والفقهاء. الذين أسهموا في الإصلاح والتوجيه الموجه لكل الشرائح والفئات، للطلبة والأئمة والقضاة والحكام ولأفراد الشعب بشكل عام، المتعلمين والأميين، فقد كانت حلقات المساجد والزوايا مجالا لنشاط المدرسين.تعقد فيها مجالس العلم وميدانا للخطب المتنوعة، التي تحث على المكارم والقيم الايجابية وتأمر بالمعروف، وتنهى عن الرذائل والمنكرات. فقد كان العلماء والفقهاء هم الأمة التي عناها القرآن بقوله "وَلتَكن مِنكُم أمَة يدعونَ إلى الخير ويامرونَ بالمعروف وينهونَ عن المنكر..."[2]

وقد كتب هؤلاء الفقهاء والعلماء متونا نثرية وأخرى شعرية تضمنت خلاصة تجاربهم في تعليم النشء ودعوة الناس إلى هذا الدين، فتطرقوا إلى علم التوحيد وعلم الكلام، كما تطرقوا إلى فقه العبادات من صلاة وصيام وزكاة وحج بالإضافة إلى الدعوة للالتزام بأخلاق القرآن كحسن الفقه،والاستقامة والتقوى والثبات والحلم والكرم ونكران الذات والإيثار.... ومن أبرز ملامح هذا الاتجاه أن إنتاجهم الشعري والفقهي تضمن أفكار صائبة ملتزمة بما ورد في القرآن والسنة النبوية، وأنه صادر من ذوي علم أجلاء محترمين اجتماعيا كما أن مضمون هذه الأشعار والمنظومات تهم الإنسان المسلم في دينه ودنياه، وكثيرا من هؤلاء العلماء

[1] الرجز هو في الأصل بحر معروف من بحور الشعر العربي،وتسمى قصائده الأراجيز ومفردها أرجوزة.

[2] سورة آل عمران الآية 104

صنفوا كتبا في الفقه وعلم الكلام، وكان عدد مؤلفات الفقه هذه في القرن الثامن الهجري كبيرا جدا،فقد كان الفقهاء يصنفون متونا يحفظها الطالب عن ظهر قلب، ومختصرات[1] .

وفي ميدان الفقه شهد القرن الثامن الهجري ظهور عدد كبير من هذه المتون وأشهرها مختصر خليل بن إسحاق المصري، ت 776هـ. الذي لا يزال الأكثر انتشارا بين الفقهاء في المغرب الإسلامي.

وكانت أغلب المختصرات موجزة، بحيث لا يتيسر فهمها إلا بالشروح والحواشي التي كان يكتبها المؤلف نفسه أحيانا،كما فعل السنوسي والمغيلي... أو يتولى ذلك غيره من الفقهاء بهدف تفسير غموضها وتفسير النص الأصلي. وفي القرن التاسع الهجري بدأت دراسات التصوف تطغى على المشهد الثقافي العام ببلاد المغارب ونمت في كل الأوساط بين المثقفين والعامة على السواء، دراسة التصوف الذي يؤدي إلى الولاية، ودخول التصوف في الإسلام أدى إلى تغير عميق في حياة الخاصة والعامة ولا سيما في العقيدة، فأنتج تصورا عاطفيا وأفرز مذهبا في الحب مفاده أن الله قريب من الجميع بفضل المجاهدات الصوفية، وقادر على أن يمنح ألطافه ونعمه وشطرا من قدرته لأولئك المصطفين من بين عباده المخلصين وهم الصوفية.[2] هذا بطبيعته أدى إلى نوع من الاتكالية السلبية في القرن التاسع والعاشر الهجري مما افقد الحضارة الإسلامية ككل في المغرب الإسلامي زخمها الثقافي والحضاري ابتداء من هذا العصر على الرغم من أن القرن التاسع الهجري شهد تحولات سياسية كبيرة وخطيرة، كما شهد على المستوى الثقافي نموا مطردا في الإنتاج الغزير للأدباء والفقهاء والمثقفين، فهو بداية السقوط للإمارة الزيانية التي كان يمزقها الضعف والخلافات السياسية والاعتداءات الخارجية، بينما في الناحية الثقافية شهدت تحولات عقائدية منذ عهد الموحدين بالاتجاه نحو القناعة العلمية والرضى بالقليل من الفقه والمعرفة والغفلة عن العلوم العقلية والعملية وتفضيل علوم الدين والتصوف والفروع الفقهية على علوم الطب والمنطق والرياضيات والفلك والملاحة والقوانين التجارية،بل إن كثيرا من هذه العلوم تركت للأوروبيين واستولى اليهود والأوربيون على مراكز التجارة والنفوذ الاقتصادي وحتى السياسي أحيانا في

[1] ألفردبيل، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي، ترجمة عبد الرحمان بدوي ،دار الغرب الإسلامي بيروت 1987ص 361

[2] المرجع السابق ص 365

البلاد كما وقع لأهل توات من طرف الجالية اليهودية فيها .وانحدر المجتمع إلى الضعف والهوان، وانحدر العلماء إلى السطحية العلمية في اجترار ما ألفه الأوائل، كما غرق الحكام في الفساد والاستبداد واللهو والتلاعب بمصالح الأمة[1]. وكانت النتيجة الكارثية، سقوط الأندلس،و بغداد قبلها، وسقطت السواحل والمدن المغاربية واستولى العثمانيون على المنطقة. فكثرت الطرق الصوفية.

وابتعد الناس عن العلم الصحيح والعمل به، وساد المجتمع الدجل والخرافات والبدع وانتشرت الزوايا وازداد أدعياء الكرامة الذين كانوا يخدرون الأتباع بإعطاء العهود والأوراد وتلقين الأذكار وجمع المال من الفقراء واستغلال للعامة والدهماء، والقليل من هؤلاء من سلك الطريق الصحيح في الزهد والتصوف وعاش لدينه وعلمه، ومع كل السلبيات والنقائص إلا أنها من الناحية الثقافية كان لها دور كبير في المحافظة على التعليم القرآني.وقد صور الأخضري الحالة العامة للزوايا الصوفية. فقد وجّه نقدا لاذعا لما رآه من انحرافات عقائدية وسلوكية لمدعي الصوفية الذين اتخذوا من الحضرة والوعدة والاجتماع على الرقص الصوفي والغناء والإنشاد بهدف الحصول على المال من الأتباع وذلك ورد في منظومته الشهيرة المعروفة بالقدسية قوله:

والرقص والصراخ والتصفيق	عمدا بذكر الله لا يليق
وأسفا على الطريق السابلة	أفسدها الطائفة الدجاجله
قد أحدثوا طريقةً بدعيةَ	ورفضوا الطريقة الشرعية

**** ماهية الشعر التعليمي :***

الشعر التعليمي غرض جديد في الشعر العربي اقترنت نشأته باتساع المعارف والعلوم وازدياد الإقبال على التعليم. ويطلق الدارسون على هذا النوع من الشعر عدة مصطلحات، فمنهم من يسميه شعر الأراجيز ومنهم من يطلق عليه الشعر المنظوم ومنهم من يسميه شعر المتون وكلها مسميات لنمط واحد هو الشعر التعليمي أو المنظومات التعليمية، إلا أن مصطلح الشعر التعليمي حديث نسبيا لم يكن معروفا لدى القدماء من العلماء وطلبة العلم

1 ينظر سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي ج 1 ص 134

العرب لأن ما عرف به الشعر التعليمي في التراث العربي هو مصطلح الأراجيز أو المنظومات. وقد ظل الشعر التعليمي العربي بعيدا عن اهتمامات البحث التربوي وقد تركت معالجته للدراسات الأدبية مما تسبب في حصول تباين كبير في تحديد مفهومه تبعا لوظيفته فأدخل فيه شعر الحكمة والوصف والطرديات والزهد والشعر القصصي ومعظمها ليس منه إلا بالمعنى الواسع العام. ويظل مفهوم الشعر التعليمي العربي هو الشعر الذي نظم لأغراض تربوية وتعليمية. فهو أدب في شكله علم في مضمونه[1] إذ يقدم المادة الجافة شعرا كالنحو والصرف والبلاغة وأحكام التجويد أو العلم أو الأخلاق ليعين على فهمها وتلخيصها وبيان أوجه الإفادة منها بأوجز العبارات، ومهمته الأساسية هي التعليم والتهذيب[2].والشعر التعليمي فن منحدر من الشعر. ويعد عمود الثقافة العربية المتين، المنسجم مع طبيعة الذات العربية ويلبي الحاجات التعليمية.وقد أسفرت عنه متغيرات اجتماعية استجدت بتطور المجتمع وارتفاع قيمة العلم. كما استهوى الشعر التعليمي المعلمين والمتعلمين معا، فكثيرا ما كان طلبة العلم يطلبون من شيوخهم أن ينظموا لهم المحتوى الدراسي شعرا، وسار العلماء في هذا الطريق وأكثروا من هذا الشعر على مر الأزمان والعصور. لأنه وسيلة لتيسير الحفظ. وأقبل عليه المتعلمون جيلا بعد جيل إقبالا صار معه طريق العلوم الوحيد. وتشكل المنظومة الشعرية الواحدة منه وحدة معرفية محددة متكاملة. ويذهب عصمت عبد الله غوشة إلى القول بأن" الشعر التعليمي فن قديم الغرض من نظمه التثقيف والتعليم"[3] وتتساءل سلوى ناظم عما إذا كان الشعر وسيلة لنقل وتنظيم المعلومات المختلفة؟ لتثبت أن عرض المسائل العلمية يحتاج إلى النثر لا إلى الشعر. وهذا هو الذي دعا في نظرها إلى التخلي عن تسمية هذا النمط الأدبي شعرا، بل أطلق عليه اسم العلم المنظوم أو النظم العلمي[4] وهذا النوع من النظم لا يعد شعرا بالمعنى الخاص، ولكنه شعر من حيث الإطلاق، لافتقاره إلى العناصر الشعرية كالعاطفة والخيال والصورة، وإنما سمي شعرا من حيث الشكل.وقد استعمل بعض الدارسين مصطلح منظومة للدلالة على مجموعة أبيات منظومة في أبواب علمية متنوعة،

[1] ينظر الموقع الإلكتروني:WWW.P48bac.com/vb/.../t=27076html

[2] ماهر شعبان، التذوق الأدبي، دار الفكر عمان ط 3 –2003ص54

[3] ينظر عصمت عبد الله غوشة الشعر التعليمي في العصور الأربعة الأولى الهجرية، رسالة دكتورا 1970 ،جامعة القاهرة ص 6

[4] سلوى ناظم، منظومة القلادة لابن جبيرول، دار المستقبل 1989ص 15

ولم يستعملوا مصطلح قصيدة،بالنظر إلى خروج المنظومات عن شروط الشعر كما استخدم آخرون لفظة أرجوزة للتعبير عن القصيدة الموزونة على بحر الرجز، ويبني فيها كل بيت على قافية واحدة صدرا وعجزا، ثم بناء البيت الموالي على قافية أخرى في صدره وعجزه وهكذا تنسج إلى أخر بيت في القصيدة[1]ويسمى ناظمو الأرجوزة بالرجاز.

– ومن الدارسين من استخدم مصطلح المتن الذي يطلق على مبادئ فن من الفنون، في رسائل صغيرة غالبا، تخلو في الغالب من كل ما يؤدي إلى الاستطراد أو التفصيل كالشواهد والأمثلة إلا في حدود الضرورة، وتعد المتون الأقل ألفاظا الأحسن في ذاتها والأكثر قبولا للدارسين. ومن المعروف أن المتن هو الكتاب الذي تكتب فيه فيه أصول المسائل ويقابله الشرح للمتن، وسمي متنا لأنه يتضمن مختصرات علمية. وتنقسم المتون إلى قسمين:

أ– متون منثورة: وهي الأكثر عددا.

ب– متون منظومة: في أبيات شعرية تسمى الشعر التعليمي وتكون غالبا من بحر الرجز وقد تكون من غيره، والرجز بحر من بحور الشعر العربي، وتسمى قصائده الأراجيز واحدتها أرجوزة،وقد سمي رجزا لأنه تتوالى فيه حركة وسكون ثم حركة وسكون {مستفعل} وهو شبيه في هذا بالرجز في رجل الناقة ورعدتها، وهو أن تتحرك وتسكن ثم تتحرك وتسكن، ثم تتحرك وتسكن، فتسمى حينئذ رجزاء [2]

–وقد عرفت المتون قديما وكانت تسمى بالمختصرات والاختصار لغة يعني الإيجاز وترك الفضول وحذفه من كل شيء، يقول الخليل في كتاب العين:"الاختصار في الكلام ترك الفضول واستيجاز ما يأتي على المعنى وكذلك الاختصار في الطريق"[3] وجاء في لسان العرب "اختصار الكلام إيجازه،والاختصار في الكلام، أن تدع الفضول وتستوجز الذي يأتي على المعني"[4]ومن أهم أسباب ظهور المختصرات، الإحباط العام الذي أصاب الأمة مما اضطر العلماء إلى تبسيط العلوم.بحسب ما اقتضته الظروف الجديدة، فلما ضعفت الهمم

[1] جبور عبد النور، المعجم الأدبي، دار العلم للملاين ط1979ص14

[2] ابن منظور، لسان العرب، دار الحديث، القاهرة ، ، 2003 ج4 ص74

[3] كتاب العين للفراهيدي،باب الخاء والصاد والراء، دار الرشيد العراقية ج 4ص 183

[4] ابن منظور ،لسان العرب،243ط

عن جرد المطولات، ألف العلماء المختصرات الغاية منها ربط الطالب بالعلوم حتى لا يصرف عنه بالكلية..." [1].

وقد اقتضت الحاجة التعليمية إلى وجود منهج يسير عليه طالب يتمثل في:

-المتن

-شرح المتن

-حاشية على الشرح[2]

-وهذه المختصرات انتقدها ابن خلدون لإخلالها بالبلاغة، وكونها تؤدي إلى التعسير في الفهم والفساد في التعليم، خصوصا للمبتدئين، وبعض هذه المتون لا تفهم إلا بالشروح والحواشي.ولكن على الرغم من هذه الانتقادات الموجهة إلى شعر المتون والمختصرات، فإننا نجد فيها من جهة أخرى، عمقا علميا يتجلى في وفرة المعلومات وتنوعها وترتيبها ترتيبا محكما، بالإضافة إلى ما فيها من الفوائد والإضافات التي لا توجد في المطولات.كما أنها تقدم صورة مجملة في الفن الذي ألفت فيه، يستطيع الطالب الإطلاع عليه في زمن يسير، كما أنها تمثل مدخلا للعلوم وليست غاية أو خاتمة، وإنما هي بداية، تحتاج من الدارس أن يتحلى بالصبر والأناة والجد والاجتهاد في فهمها، مع العلم كذلك أن المتون تجمع حقائق العلم في صفحات يسهل حفظها،و استظهارها في الدروس والمناسبات،ورغم انتقاد ابن خلدون لهذه الوسيلة التعليمية إلا أنه انتفع بها في تكوينه الثقافي يوم كان طالبا للعلم.

وأخلص إلى القول أن مصطلح "الشعر التعليمي" يبقى محدد الدلالة في الإشارة إلى الشعر الذي يعبر عن معارف علمية، يبلغها إلى الناس بطريقة ميسورة موجزة سهلة للحفظ. فقد أصبح من الشائع والمشهور لدى جمهرة الدارسين والقراء أن الشعر التعليمي أو المنظومات لم تقتصر على موضوع بعينه وإنما تعدت إلى معالجة موضوعات شتى في الدين واللغة والنحو والفقه والسير والتاريخ والبلاغة والطب والفلك، ومن أشهر المنظومات التي بلغت ألف بيت أو ما يقاربها فسميت بذلك ألفية. ألفية ابن سينا في الطب، وألفيتا ابن معطى وابن مالك في النحو، وألفية العراقي في أصول الحديث،وألفية ابن زكري في التوحيد...

[1] عبد الكريم قبول، الاختصار والمختصرات في المذهب المالكي دار الفجر للطباعة،2006ص60

[2] ينظر الموقع الالكتروني: http/w.w.w.ajuny.com

_ غـايات الشعر التعليمي :

عرفت الثقافة العربية إنتاجا كبيرا في هذه المنظومات التعليمية في المشرق والمغرب وهذه الوفرة في الإنتاج التعليمي والتربوي تدل على الاهتمام بالتعليم في العالم العربي والإسلامي عموما،وتلك سمة حضارية تميز بها المسلمون عن باقي الأمم خصوصا في وسائل التعلم والتعليم فقد اعتنى العرب والمسلمون بعد الفتوحات الإسلامية بالشعر التعليمي عناية بالغة باعتباره وسيلة لتبليغ المعارف وتعليم الناس أمور دينهم ودنياهم.هذا وقد فاقت المنظومات التعليمية العربية من حيث كثرتها وتنوعها،غيرها من المنظومات في الآداب الأجنبية.

ومجمل القول أن هذا اللون من الشعر يهدف إلى تعليم الناس شؤون دينهم ودنياهم وتزويدهم بالحقائق والمعلومات المتعلقة بحياة الفرد والجماعة وأسرار الطبيعة وما وراء الطبيعة، كما تمكن القارئ أو السامع من زيادة رصيده المعرفي والثقافي والقيمي عن طريق اطلاعه على المنظومات التعليمية أو القصائد الشعرية ذات الصبغة التربوية التي تزيد الخبرة في الحياة[1]

والشعر التعليمي يجمع بين أوصاف الشعر وأوصاف النثر، ولذلك يجب أن يكون منطقيا صريحا واضحا قابلا للفهم بسرعة، ومن الناحية الشعرية يجب ألّا يخلو من الجمال الفني[2] والشعر التعليمي يهدف كذلك إلى تحقيق غاية تربوية وهي التعليم.و كثر النظم فيه وزاد زيادة عظيمة حتى صارت الألفيات والمنظومات التعليمية تعد بالآلاف في الأدب العربي.وأصبحت هذه الظاهرة جذرا من جذور الفكر التربوي العربي من خلال مشاركتها في تطور العمل التربوي مثل: إعداد المعلم وتأهيله والمنهج المدرسي والوسيلة التعليمية وطرائق التدريس وأساليبه.

ورغم أهمية الشعر التعليمي ودوره في تطور الفكر التربوي العربي، إلا أن النقد العربي لم يعالج ظاهرة الشعر التعليمي العربي الذي لم تزل آلاف المخطوطات مبعثرة في أنحاء متباعدة من العالم. إن هذا الحجم الكبير من المتون والمنظومات الشعرية جديرة باهتمام البحث التربوي.لان الشعر التعليمي ظاهرة تربوية نوعية صرفه.انصرف عنها النقاد

[1] ماهر شعباني عبد الباري،التذوق الأدبي، دار الفكر عمان ط3—2011ص28

[2] أحمد أمين، النقد الأدبي،دار الكتاب العربي بيروت،ط4–1967ص 101

إلى حكم عام مفاده أن هذا النوع من الشعر يفتقر إلى الخيال مع إهمال تام لمضامينه الفكرية التربوية وأصوله النفسية والاجتماعية وما يتمتع به من عوامل قوة وديمومة كانت جميعها دافعا قويا لتقبله والإقبال عليه وانتشاره بين المتعلمين على نطاق واسع خلال القرون الماضية. ولم يكن من شأن النقد الأدبي أن يعني بالمضامين والأصول التربوية لهذا النوع من الشعر كما يلاحظ غياب الرؤية الواضحة الدقيقة الصلة بين تطور التربية ونشأة الشعر التعليمي العربي وتطوره. كما يلاحظ قلة اهتمام البحث التربوي المعاصر باستقصاء جميع الأصول الثقافية للتربية العربية وتشخيصها والإحجام عن استكشاف ميادين معرفية أخرى لمصلحة البحث التربوي بسبب وقوع الشعر التعليمي بين الأدب والعلم. ولا يمكن البتة أن نغفل عن الدور الهام والأساسي للشعر التعليمي في تطور الفكري التربوي العربي عبر العصور.

وقد ظل الشعر التعليمي العربي بعيدا عن اهتمامات البحث التربوي المعاصر، تاركا معالجته للدراسات الأدبية تاريخا ونقدا مما تسبب في حصول تباين في مفهومه تبعا لوظيفته.وكل النقاد الذين تناولوا الشعر التعليمي تناولوه من وجهة نظر أدبية بحته، وقاسوه بمقاييس النقد الأدبي، التي هي غير معنية بتتبع دوره في تطور الفكر التربوي العربي، لأن ذلك لا يقع في دائرة مجالها.وهنا يجب التفريق بين شعر العالم الأديب وشعر العالم الفقيه، إذ يجب أن نفرق بين الشعر الذاتي والموضوعي، فلكل سماته ومواصفاته، ولا يمكن قبول عبارات الحط والتهوين من الشعر التعليمي والموضوعي عموما.إذ لا يمكن تطبيق مقاييس نقدية واحدة على شعر الأدباء وشعر العلماء، فالشعر الذاتي غايته المتعة الفنية، وغاية الشعر الموضوعي التعليمي التعليم،وذلك بذكر المعلومات من علم معين يعتمد على الدليل والبرهان،ويعبر عنه بلغة واضحة محددة الدلالة في أسلوب مباشر لا خيال فيه ولا عاطفة يخاطب العقل للإقناع[1] .

[1] ينظر الموقع الالكتروني:
www.damaseunivercitye.dwsy/mag/humaire/imagls/steryées/8500000///

_ ظاهرة الفقهاء الأدباء :

ولد الأدب المغاربي وترعرع تحت حراسة الفقهاء وإشرافهم، ومساهمتهم المؤثرة،وأهم شيء دخل إلى الأسر في التلول والصحاري والوهاد هو القرآن، وهذا يعني أن الوجه الجاد والديني هو أول من اكتسح من الثقافة العربية أكثر شرائح المجتمع المغربي. وهذا المجتمع الذي دان بالإسلام أنتج أدبا ربانيا متميزا.و عليه فإن ظاهرة الفقهاء الأدباء كانت فاشية في كل المراكز الثقافية المغاربية إذ حاول الكثير من الفقهاء قرض الشعر، فبدا فيه الفقه وعجزوا عن التحكم في الإبداع والتصرف في الشرعيات في وقت واحد. ثم إن عددا غير قليل من الفقهاء كانوا حريصين على إظهار ولائهم للحكام في المحافل الرسمية والدينية، فيتقدمون بقصائد الشعر يتلونها لكسب عطف الحكام، وقد يجيدون في صياغتها على الرغم من طغيان التملق فيها إلى حد المبالغة كما سنرى في شعر المولديات والمدائح في العصر الزياني على سبيل المثال.وهناك فئةً اتجهت إلى الأدب في شبابها ثم تخلت عنه لصالح الفقه والعلوم الشرعية بالنظر إلى النزعة الدينية وسيطرة مشاعر التقوى على تفكيرها.[1] وهناك فريق وفق إلى الجمع بين الكتابة الأدبية والشرعية وهذا الصنف مع ندرته كثر خلال القرن السابع والثامن الهجري ومن الذين يمثلونه محمد ابن إبراهيم الوغليسي ببجاية، وعبد الله بن علوان من رفقاء الغبريني الذي تميز شعره باللطافة والرقة والقاضي الفقيه ابن عبد النور التلمساني والطبيب محمد بن أبي جمعة التلالسي التلمساني الذي كان أديبا وشاعرا خلّف قصائد حسناء في مدح النبي صلى الله عليه وسلم وَله في كل المناسبات والأحداث التي كانت تقع بقصر السلطان أبي حمو موسي الزياني[2]

وقد بلغت النزعة الدينية أوجها وتشعبت فنونها خلال القرون السابع والثامن والتاسع، فقيلت فيه موشحات ومولديات ورسائل شوق إلى البقاع المقدسة ومنظومات علمية وشروح عليها كتبها محمد بن يوسف السنوسي التلمساني في القرن التاسع الهجري، وهناك شروح عديدة للبردة كشرح سعيد بن محمد العقباني التلمساني، وشرح ابن مرزوق التلمساني (إظهار صدق المودة في شرح البردة) وشرح الشقراطيسية لإبن مرزوق الحفيد وهي قصيدة في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم ليحيى بن علي الشقراطيسي التوزري ومعظم هذه الشروح

[1] إبراهيم حركات، مدخل إلى تاريخ العلوم،دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ط 1 2000 ج 1 ص 180

[2] ينظر إرشاد الحائر إلى آثار أدباء الجزائر، ط.داود بريكسي،تلمسان ط2 2005 ج 1 ص 292

تجمع بين الأدب واللغة وأحيانا بعض الأخبار والمعلومات التاريخية. هذا وتجب الإشارة إلى غلبة الشعر الديني خلال هذه القرون التي تراكمت فيها عوامل الضعف والانهيار على المجتمع الإسلامي من داخله وخارجه. وأما العلاقة بين العبد وربه، فقد عبر عنها الاتجاه الصوفي أبلغ تعبير ،ففيه ما يتصل بذات الله وصفاته وملكوته، وما هو ابتهالات وأشواق عن طريق التوسل بالرسول صلى الله عليه وسلم أو ببعض أوليائه.

الشعر التعليمي في الأدب الجزائري القديم ما قبل عصر الزيانيين :

أولا الشعر التعليمي العام : لا تكاد تخلو أي قصيدة في الشعر الجزائري القديم لا سيما الديني منه من روح تعليمية موجهة إلى القراء، إلا أننا لا نعثر على قصائد تعليمية مفردة إلا في القليل النادر، بل يمكن تلمس ذلك في ثنايا القصائد، ولعل البدايات الأولى لبروز هذا النوع من الشعر تعود بنا إلى العهد الرستمي في القرن الثالث الهجري، إذ يمكن أن تعتبر قصيدة أفلح بن عبد الوهاب الرستمي (في فضل العلم وأهله) ذات روح تعليمية من خلال توجيهات وإرشادات لطالب العلم، مع إبراز فضل العلم وأهله، والحث على طلبه وقصيدته هذه من بحر البسيط ومطلعها :

العلم أبقى لأهل العلم آثارا يريك أشخاصهم روحا وأبكارا

حي وإن مات ذو علم وذو ورع ما مات عبد قضى من ذاك أوطارا

ثم يبين طريق طالب العلم الذي عليه أن يسافر ويصبر في طلبه وأن يجالس العلماء وهذا ما يدعونا إليه الشاعر بقوله[1]:

أشدد إلى العلم رحلافوق راحلة وصل إلى العلم في الآفاق أسفارا

و اصبر على دلج معتسفا مهامه الأرض أحزانا وأقطارا

حتى تزور رجالا في رحالهم فضل فأكرم بأهل العلم زوارا

فصدرذي العلم إن راجعته جرح فقد برى الله هذا الخلق أطوارا

وارصد خواطرساعات النشاط له إذا أردت لبعض القول تكرارا

وأحسن الكشف عن علم تطالبه والزم دراسته سرا واجهارا

ولا تكن جامعا للصحف نخزنها كالعير يحمل بين العير أسفارا[2]

[1] – الباروني، الأزهار الرياضية، 2002ط3 دار البعث ،قسنطينة ص 250.

[2] – فيه إشارة إلى الآية "مثل الذين يحملون التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا" سورة الجمعة الآية 5.

و يستمر في نصائح وتوجيهات ثمينة مبينا نوع العلم النافع، والإخلاص فيه وتجنب الفخر المتعالي به مع تجنب المراء والجدل والمخادعة والمداهنة لأن فيها إضرارا بالدين ويختم هذه القصيدة بقوله:

و كن بربك لا بالناس معتصما و كفى بربك رزاقا وغفارا
سبحانه صمد لا شيء يشبهه أقررت لله بالتوحيد إقرار

وهي قصيدة من 44 بيتا من أروع ما قيل في الشعر الجزائري القديم ذي المسحة التعليمية لواحد من أبرز قادة وعلماء الجزائر، وهو ثالث الأئمة الرستمين بتاهرت المتوفي عام 240هـ .

كما يمكن أن نلحظ البعد التعليمي في قصيدته بكر بن حماد التاهرتي المتوفى عام 290هـ في قصيدة ذات روح دينية "وقفة بالقبور"، فبكر ابن حماد بالإضافة إلى شاعريته كان رجلا فقيها ومحدثا، يغلب على شعره الوعظ والزهد ويمتاز بوضوح المعنى ورقة اللفظ وهذا ما نلاحظه في قوله :

قف بالقبور فناد الها مدين بها من أعظم بليت فيها وأجساد
قوم تقطعت الأسباب بينهم من الوصول وصاروا تحت أطواد

إلى أن يقول :

و الله لو ردوا ولو نطقوا إذًا لقالوا التقى من أفضل الزاد

وفي هذه الأبيات عظة للقارئ وتذكير بالموت، ودعوة للاستعداد قبل الرحيل، وحث على التقوى لأنها أعظم زاد يلاقي به الإنسان ربه، وهذه الأبيات من بحر البسيط، معانيها بسيطة، ولغتها سهلة قريبة من لغة العامة وأفهام الناس .

ومن الشعر التعليمي في عصر الفاطمين والزيريين في القرن الرابع والخامس الهجريين الأرجوزة الفلكية[1] لعلي ابن أبي الرجال الشيباني التاهرتي المتوفى عام425هـ[2] الذي أثنى عليه ابن رشيق الذي نعته بواحد الدهر وسيد كتاب العصر ولقد كان يشغل رئيس ديوان الإنشاء ببلاط المعز بن باديس الزيري وهو أستاذ بن رشيق ومعاصره .

[1] – هذه الأرجوزة لم أعثر عليها .

[2] – شاعر جزائري، عاش مابين القرنين 4 و 5 الهجري .

و بالإضافة إلى شعره المتخصص في علم الفلك، له قصائد وعظية تدل اتجاهه الديني من ذلك قوله :

أمن الزمان زمانة العقل فاخش الإله وحل عن الجهل

و اعلم بأنك في الحساب غدا تجزى مما قدمت من فعل

فالروح التعليمية في هذين البيتين جلية وتتمثل في الخوف من الله والحذر من الوقوف بين يديه غدا في يوم الحساب .

ومن الشعر التعليمي المتخصص كذلك قصيدة الحسن ابن رشيق المسيلي المتوفى سنة 390هـ وابن رشيق من كبار أدباء عصره، فهو شاعر وكاتب وناقد، بل يعتبر أول واضع لفن النقد الأدبي بكتابيه: "العمدة في صناعة الشعر والأدب" و"قراضة الذهب في نقد أشعار العرب "، وتعتبر قصيدته "الصناعة الشعرية ووجه تعلمها " ذات وجهة تعليمية بادية للعيان حين يقول [1] :

لعن الله صناعة الشعر ماذا من صنوف الجهل منه لقينا

يؤثرون الغريب على ما كان سهلا للسامعين مبينا

ويرون المحال معنى فصيحا و خسيس الكلام شيئا ثمينا

فهو يوجه الشعراء إلى ضرورة تجنب الوحشي في الألفاظ والميل إلى السهولة والوضوح، مع المعنى الصائب والدلالة السامية والقصيدة نقدية تحفل بالأحكام النقدية في المبنى والمعنى أوردها العلامة ابن خلدون[2] وهي من القصائد النادرة في الشعر الجزائري التعليمي القديم نظمها على تفعيلات بحر الخفيف .

وفي عهد المرابطين والحماديين القرن السادس الهجري، يطالعنا يوسف بن النحوي البسكري الجزائري نزيل قلعة بني حماد المتوفى عام 513هـ وكان من أهل العلم والفضل شديد الخوف من الله، [3] ولذلك جاء غالب شعره في التضرع والابتهال، ومن أبرز آثاره قصيدته الخالدة التي يمكن إدراجها في الشعر التعليمي فهي تعلمنا كيفية التعامل مع

[1] – محمد رمضان شاوش، والغوثي بن حمدان،، إرشاد الحائر إلى آثار أدباء الجزائر، مطبعة داوود بريكسي، ط2، 2005م ج1، ص 60، نقلا عن العمدة لابن رشيق.

[2] – ينظر عبد الرحمن ابن خلدون : المقدمة، مؤسسة الرسالة ط1، 2007م ص ،645،644.

[3] – إرشاد الحائر إلى آثار أدباء الجزائر، ص 92.

الأزمات بروح تفاؤلية مستوحاة من قوله تعالى :"إن مع العسر يسرا" ألا وهي قصيدته الشهيرة المعروفة (بالمنفرجة) وتدعى كذلك "الفرج بعد الشدة" وهي من بحر المتدارك .

إن اللجوء إلى الله، والرضا بالقضاء والقدر، ولزوم الطاعة والاستغفار وتجنب المعاصي والشرور، وتلاوة القرآن بخشوع وتدبر، وقيام الليل هي سبل الخلاص من الهموم والشدائد مهما عظمت وفيما يلي مقطوعات مختارة من هذه القصيدة الرائعة التي تعد من روائع الشعر الجزائري التعليمي القديم، ومطلعها قوله :

اشتدي أزمة تنفرجي قد آذن ليلك بالبلج[1]

إنها الثقة في الله، مفرج الكروب، فليس بعد العسر إلا اليسر، ففي هذا المطلع ترى الثقافة الإسلامية واليقين الإيماني للرجل الذي يحمل بصمات حضارة الإسلام .

ثم يتابع الرجل دفقات إيمانية حية صادقة، يحسيها صاحب الإيمان واليقين في الله في شحنات روحية حية في قوله:

و الخلق جميعا في يده فذووا سعة وذووا حرج

فالحياة ابتلاء بالخير أو بالشر وكأنه استحضر الآية القرآنية في قوله تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [2].

إن النجاة في الدنيا والآخرة في نظر الرجل يتمثل في قوله:

و رضى بقضاء الله حجى فعلى مركوزته فعج

و إذا انفتحت أبواب هدى فاعجل لخزائنها ولج

إلى أن يقول:

و كن المرضي لها بتقى ترضاه غدا وتكون نجي

و اتل القرآن بقلب ذي حزن وبصوت فيه شجى

و صلاة الليل مسافتها فاذهب فيها بالفهم و جي

[1] – الغبريني : عنوان الدراية، دار البصائر، ط1، 2007، ص 153، 158.

[2] – الآية 35 من سورة الأنبياء .

إنها وصفة روحية ذاق حلاوتها الرجل، فيصفها لمن حاصرته الهموم وكروب الحياة، بشرط أن يستخدم هذه الوصفة بطريقة صحيحة فقراءة القرآن مثلا تتطلب الحزن ففي الحديث النبوي : "اتلوا القرآن وابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا"[1]، واقرأوا القرآن بصوت شجي وفي الحديث أيضا :" لم يأذن الله بشيء ما أذن لنبي يتغنى بالقرآن" [2]، إنه يستحضر الأحاديث النبوية التي تشرح كيفية أداء العبادات وتمضي القصيدة في تقديم تعليمات غالية وإرشادات روحية وإيمانية لا يعرفها إلا من ذاق حلاوة الإيمان بالله واستعذب أداء العبادات التي أوجبها الإسلام، والقصيدة ككل تفيض توحيدا بالله وإخلاصا.

كما أن ليوسف ابن النحوي البسكري (513-433هـ) أبيات أخرى عميقة ورائعة في التضرع والابتهال تفيض إيمانا وتقوى واعتصاما بالله، استمع إلى قوله [3]:

لبست ثوب الرجا والناس قد رقدو فقمت أشكو إلى مولاي ما أجد
وقلت يا سيدي يا منتهى أملي يا من عليه بكشف الضر أعتمد
أشكو إليك أمورا أنت تعلمها مالي على حملها صبر ولا جلد
وقد مددت يدي بالذل مشتكيا إليك يا خير من مدت إليه يد

وقصيدة المنفرجة من بحر المتدارك الذي ينسجم مع الحالة النفسية للشاعر الواثق من ربه، المتيقن في ربه .

وأما المقطوعة الثانية فقد انتقى لها بحر البسيط الذي ينسجم وتقرير الحقائق الروحية التي يستشعرها الشاعر، فيقررها في ثبات وقوة .

كما نعثر في هذا العهد على قصيدة يمتزج فيها المدح بالقيم التعليمية التي أراد الشاعر علي بن الزيتوني[4] تبلغها إلى القضاة، واختار لها الشاعر بحر الوافر، إذ يقول في مدح بعض القضاة العادلين[1] :

---

[1] – رواه ابن ماجه بسند جيد .

[2] – متفق عليه، رواه البخاري، الجامع الصحيح، دار الكتب العلمية، بيروت، 1981م، كتاب فصائل القرآن، باب من لم يتغن بالقرآن، ج 6، ص 107.و مسلم في الجامع الصحيح بشرح النووي، مكتبة الصفا، القاهرة ،ط1، 2003م، حديث 232، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن، ج6، ص 64.

[3] – ابن مريم، البستان ص 302-303.

[4] – علي بن الزيتوني : شاعر مثقف مغمور، ذكره صاحب خريده القصر وقال إنه شاعر المغرب الأوسط .

نهاه عن محارمه نهاه و قربه لخالقه تقاه
وقال الله ليس سواي ربي و لا لشريعتي أحد سواه
هو البر العطوف على البرايا و بالأيتام يرحم من أتاه

ففي هذه الأبيات توجيهات مبطنة إلى جميع القضاة، بالبعد عن الميل أو الحيف مع الهوى، وتجنب محارم الله، والدعوة إلى تقوى الله فالقاضي خليفة الله في الأرض ينفذ أحكامه، ويسهر على تطبيقها، مع الرحمة والبر بالعباد خصوصا المستضعفين منهم، ويواصل هذه التوجيهات إلى أن يقول :

أمين عدله غمر البرايا فما يخشى على أحد قضاه

فبالعدل وحده يتحقق الأمن للجميع، وتحقيق ذلك يقع على عاتق القضاة.

و أما في القرن السادس والسابع الهجريين وهو العهد الموحدي فقد تواصل النظم في **الشعر التعليمي العام:** وأعني به الشعر المبثوث في ثنايا القصائد ممزوجا بالأغراض الأخرى كما هو الحال في العصور السابقة للفترة الموحدية .

فقد استمر الشعراء الجزائريون في نظم الشعر الهادف الذي يحتفي بالقيم الدينية والاجتماعية، وأول شاعر يمثل هذه الفترة هو محمد بن علي المسيلي الملقب بالأرقم من شعراء القرن السادس الهجري، الذي يحث على طلب الرزق وهو موضوع اجتماعي ديني، يتوجه به إلى أفراد مجتمعه داعيا إلى الاجتهاد في طلب الرزق والتوكل على الله في ذلك بقوله [2]:

يقولون إن الرزق بالحرص يجلب و ليس بمقدور ينال ويكسب
فصوب في البلاد مطالبا لرزق تنل منه الذي تتطلب
وإياك والتضجيع[3] فيه فإنما أخو الرزق من يشقى عليه ويتعب

و هذه الصفة التعليمية تتوالى في القصيدة إلى أن يقول :

و لكن علينا الاجتهاد وأن نرى لرب الورى في الرزق ندعو ونرغب

[1] – إرشاد الحائر إلى آثار أدباء الجزائر: ج1 ص 113

[2] – إرشاد الحائر : ج1 ص117.

[3] – التضجيع : التقصير، تضجع في الأمر، إذا تقعد ولم يقم به، ينظر ابن منظور، لسان العرب ج5 ص 464.

فرب الورى يعطي ويمنع كيفما أراد وما في ذاك منه تعقب

رضيت به ربا ومولى وسيدا و حسبي من رب يرجى ويرهب

فكأني بالشاعر قد حاول ههنا التوفيق بين المتوكلين على الله في الرزق والمتواكلين المنتظرين بدون أن يبدلوا جهدهم في طلبه، حيث دعاهم إلى الاجتهاد مع التوكل على الله والرضا بقضائه وقسمته .

إن لغة هذه الأبيات تتسم بسهولة ألفاظها وبساطة تراكيبها، ذات معاني مباشرة ومسحة دينية يتوجه بها إلى الناس كمعلم ناصح .

و في هذا المنحى التعليمي التربوي، نلاقي الشاعر الصوفي أبا مدين شعيب المتوفى عام 596هـ والذي شغل الناس بكراماته ومنظوماته الصوفية.

وهو أحد العلماء الربانيين الذين بثوا الوحدانية في الناس بشعره الرباني الذي يفيض إيمانا ويقينا في الله، ومن شعره الرباني قصيدته التي تعرف "بالغيثية" والتي مطلعها[1]:

يا من يغيث الورى من بعد ما قنطوا ارحم عبيدا أكف الفقر قد بسطوا

و استنزلوا جودك المعهود فاسقهم ريا يريهم رضا لم يثنه سخط

وهذه القصائد ذات النهج الصوفي الرباني، تحتوي على حكم تعليمية بادية للقارئ تعلم كيفية التضرع إلى الله تعالى، واللجوء إليه وحده، والاستعانة به وحده عند اشتداد الكروب، واستشعار المعية مع الله، وحسن الظن به واليقين في رحمته ولطفه، وهذه المعاني الإيمانية نجدها في كل قصائده ومنها قصيدته "الله ربي"[2]:

الله ربي لا أريد سواه هل في الوجود الحي إلا الله

ذات الإله بها قوام ذواتنا هل كان يوجد غيره لولاه

فحب الله والأنس به وذكره والتمتع بذلك هي سبيل النجاة والطمأنينة في هذا الوجود.

وإذا ما تتبعنا «عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية» للغبريني فإننا نعثر على عدة مقطوعات وقصائد تتسم بالروح التعليمية الهادفة إلى غرس القيم الإيمانية، ومن ذلك ما كتبه الفقيه النحوي اللغوي أبو عبد الله محمد بن الحسن بن علي بن ميمون التميمي القلعي من قلعة بني حماد والذي وصفه الغبريني بقوله: "وكان رحمه الله

[1] – إرشاد الحائر ص 149 نقلا عن الديوان جمع للعربي الشوار.

[2] – المرجع السابق ص 150 نقلا عن (الديوان) جمع للعربي الشوار.

قويا في علم التصريف ....وأفضل من لقيت في علم العربية" ومن شعره التعليمي الديني قوله [1]:

و اعمل لأخرى ولا تبخل بمكرمة فكل شيء على حد إلى قدر
و خل عن زمن تخشى عواقبه إن الزمان إذا فكرت ذو غير
و كل حي وإن طالت سلامته يغتاله الموت بين الورد والصدر [2]

و هي قصيدة طويلة كلها في الوعظ والتذكير بالموت، وضرورة الحذر من الدنيا وتقلبها بأهلها .

كما أورد الغبريني قصائد تعليمية حسنة المأخذ لشعراء استوطنوا بجاية كأبي عبد الله محمد بن صالح بن أحمد الكناني الذي يقول[3] :

جعلت كتاب ربي لي بضاعة فكيف أخاف فقرا أو إضاعة
و أعددت القناعة رأس مالي و هل شيء أعز من القناعه

إنها المواجهة الحقيقية للفقر، بالقرآن والقناعة، وهذه قيم روحية راسخة يريد الشاعر أن يبثها في نفوس الناس .

و منهم كذلك أبو العباس أحمد بن الحسن بن الغماز الأنصاري[4] من أهل بلنسية الذي استوطن بجاية، ومن نظمه في الزهد ذو الأبعاد التربوية قوله[5]:

أما آن للنفس أن تخشعا أما آن للقلب أن يقلعا
تقضى الزمان ولا مطمع لما قد قضى في لذة مطمعا
و يا ويلتاه لذي شيبة يطيع هوى النفس مهما دعا

[1] – الغبريني عنوان الدراية ص 33.

[2] – معناه مقتبس من قول كعب بن زهير :

كل ابن أنثى وإن طالت سلامته..... يوما على آلة حدباء محمول .

[3] – الغبريني، عنوان الدراية، ص 40.

[4] – المرجع نفسه، ص 59.

[5] – المرجع نفسه، ص 59.

إنها الدعوة إلى الأوبة إلى الله إلى الخشوع إلى الإقلاع عن الذنوب إن الزمان يمر والنفس لها مطامع، رغم تقدم السن فكأنه يحذر من طاعة الهوى لاسيما عند الكهول والشيوخ، والشاعر يحيلنا إلى الآية القرآنية:

﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ [1] .

و من أروع ما قيل في تنزيه الباري سبحانه وتعالى ما قاله الفقيه الأديب المتقن محمد بن أبي زيد الخزرجي المتوفى بتلمسان عام 658هـ من بحر الكامل :

الله قل ودع الوجود وما حوى إن كنت مرتادا بلوغ كمال

فالكل دون الله إن حققته عدم على التفصيل والإجمال[2]

فالعارفون فنوا ولما يشهدوا شيئا سوى المتكبر المتعالي

و رأوا سواه على الحقيقة هالكا في الحال والماضي والاستقبال

إن الشاعر يعرف بالله وصفاته، يبني العقيدة، يدعو إلى الوحدانية ينزه الله ويسبحه، وألا كل شيء ما خلا الله باطل، فالكون كله يشهد بوجوده وبوحدانيته ويسبح بحمده .

والملاحظ أن لغة هذه المقطوعات والشواهد التي مرت بنا، تتميز بلغة فصيحة سليمة وسهلة التناول، موسيقاها مناسبة من البحور المختارة كالكامل والبسيط والوافر والمتقارب والطويل وغيرها .

وللخزرجي قصائد ذات أبعاد اجتماعية وإنسانية يوجه إليها الناس كظاهرة القناعة بقوله[3]:

قنعت بما رزقت فلست أسعى لدار أبي فلان أو فلان

وآثرت المقام بكسر بيتي فلا أحد أراه أو يراني

ولا ألقى خليلا غير صبر معين في المعارف أو معان

وقد أيقنت أن الرزق آت وإن لم آته سعيا أتاني

وقد حققته فهما وعلما وقد شاهدته رأي العيان

[1] – الآية 16 من سورة الحديد .

[2] –الحفناوي : تعريف الخلف برجال السلف، موفم للنشر/1991،ج2 ص 169، والمعنى في هذه المقطوعة مأخوذ من قول لبيد بن ربيعة المتوفى عام 40هـ: ألا كل شيء ما خلا الله باطل* وكل نعيم لا محالة زائل

[3] –إرشاد الحائر ص 212

إن الشاعر يؤكد أن القناعة تغني صاحبها عن الذلة والمسكنة، فهي كنز لا يفنى وجملة الآثار التراثية تمجدها وتدعو إليها وقد صاغ الشاعر معانيه بلغة بسيطة قريبة من لغة الجمهور المستهدف بألفاظ عادية مألوفة وتراكيب سهلة التأليف واضحة المعنى، واختار لها بحر الوافر وخلاصة القول عن هذا النوع من الشعر التعليمي، أنه ممزوج بأغراض أخرى كالوصف والزهد والشعر الديني عموما، والهدف منه تعليم الناس شؤون دينهم ودنياهم، ويزودهم بحقائق الوجود وأسرار الكون، ولا جديد في عصر الموحدين من حيث المضمون أو الشكل، فمضمون القصائد والمقطوعات التعليمية هو الدعوة إلى الأخلاق والقيم السامية، والتعلق بالله والتضرع إليه، بالإضافة إلى بث الروح والثقافة الإسلامية في الحياة العامة .

ومن الشعر التعليمي، شعر الألغاز الذي نجده عند الشاعر أبو الربيع سليمان الموحدي وهو من آل عبد المومن الكومي، نشأ بدار الخلافة بمراكش، ثم عينه ابن عمه الخليفة يعقوب المنصور واليا على بجاية ثم نقل إلى تلمسان عام 584هـ وبقي بها إلى وفاته.

و الألغاز تنشط الفكر بما تطرحه من أسئلة رمزية، ومنها قول الشاعر[1]:

و ميت برمس طعمه عند رأسه فإن ذاق من ذاك الطعام تكلما

يموت فيحيى ثم يفرغ زاده فيرجع للقبر الذي فيه نيّما[2]

فلا هو حي يستحق كرامة و لا هو ميت يستحق ترحما

و هذه الأبيات من بحر الطويل، وفيها إشادة بالقلم، وهي أبيات على جانب من الطرافة والظرف وحسن التعليل، يصف أدوات العلم والحضارة .

و في لغز آخر بديع يصف مادة الصابون بقوله :

و أسمر يصرف السودان بيضا ويخشى الشمس أن تعدو عليه

له في صنعة سر مليح و كل الناس محتاج إليه

[1] – إرشاد الحائرص 159.

[2] – يقصد القلم والدواة .

و في الألغاز جانب ترفيهي عن النفس، وتتميز غالبا بالدقة والعمق، وللأمير قصيدة رائعة تكشف التوجه الحضاري للأمراء الموحدين ومنها هذه الأبيات:

يا راقدا ملء عينيه يهدئه لين الفراش وعين الله ترصده
لو كنت تعلم فوز العانمين غدا يا راقدا ليله ما كنت ترقده
و كيف ترقد ليلا أو تلذ به و أنت تجهل ما يأتي به غده[1]

ويمضي قائلا للغافلين الذين انغمسوا في سبات عميق:

مهد بجنبك في التقوى بخشيته فليس شيء سوى التقوى تمهده
فسوف تجزى بماقدمت من عمل وزارع الخير في الدنيا سيحصده

و تتوضح الخلفية الثقافية والحضارية للأمير، فهو يدعو ههنا إلى التهجد والتبتل ليلا ونبذ النوم والاستعداد ليوم الرحيل، كما تبرز المقدرة الفنية والجمالية والتي انعكست على حرف الروي "الهاء" المضمومة الطويلة التي تفيد الانشراح وطول النفس، وحرقة الآهات، وأسلوب هذه المقطوعة مباشر خال من الصور والخيال وأساليبه متنوعة بين الخبر والإنشاء لتصل إلى أذهان المخاطبين .

و من الشعر التعليمي الإشهاري الذي يعرف بالبلدان ويرغب في زيارتها ما كتبه الحسن بن الفكون القسنطيني عن البلدان التي نزل بها في ارتحاله من قسنطينة إلى مراكش ومنه قوله[2]:

و كنت أظن أن الناس طرا سوى زيد وعمرو غير شيّ
فلما جئت ميلة خير دار أمالتني بكل رشى أبيّ
و كم أوردت ظبابتي ورار أوار الشوق بالريق الشهيّ
و جئت بجاية فجلت بدورا يضيق بوصفها حرف الرويّ
و في أرض الجزائر هام قلبي معسول المراشق كوتريّ
و في مليانة قد ذبت شوقا يلين العطف والقلب القسيّ
و في تنس نسيت جميل صبري و همت بكل ذي وجه وضيّ

[1] – محمد مرتاض: شعر الفقهاء في المغرب العربي في الخمسية الهجرية الثانية، رسالة دكتوراه، جامعة تلمسان، 1994م، ص 81،.

[2] – المرجع نفسه ،ص 167، نقله من الرحلة المغربية للعبدري .

و في مازونة مازلت صبّا بوسنان المحاجر لوذعيّ [1]
و في وهران أمسيت رهنا لظامي الخصر ذي ردف روي
و أبدت لي تلمسان قدودا جلبن الشوق للقلب الخليّ

ثم يواصل في وصف مدن المغرب الأقصى بلغة رقيقة عاطفية تدل على الروح المغاربية الأصيلة.و للشاعر قصيدة سلسة ذات إيقاع مطرب جميل يتسم بالمتعة وطلاوة المعنى في قصيدته الإشهارية الإعلامية التي نظمها في وصفه لمنظر بجاية الطبيعي، ومطلعها :

دع العراق وبغداد وشامهما فالناصرية ما إن مثلها بلد
بر وبحر وموج للعيون به مسارح بان عنها الهم والنكر

و القصيدة من بحر البسيط تعرفنا بالطبيعة الساحرة الجميلة لبجاية الناصرية .

و نفس هذا الشعر نجده عند ابن خميس التلمساني (708-645هـ) في قصائد بديعة عن تلمسان التي يلخص جمالها في هذا البيت :

كل حسن على تلمسان وقف و خصوصا على ربا العباد

وإذن فإن الشعراء وقفوا موقف المعلمين والمؤرخين[2] والمسجلين للمظاهر الكبرى، في مسير حضارة الموحدين، فكانوا أصحاب رسالة تعليمية تثقيفية وبعبارة أخرى حرص الشعراء المثقفون الذين حصلوا على المعرفة ورزقوا ملكة الشعر على أن يجعلوا من أنفسهم أساتذة معلمين ومؤرخين يعلمون الناس عن طريق الشعر السهل الرقيق .

. كما لا يفوتني في هذا المقام شاعر نحوي مثقف جزائري وهو محمد بن عبد الله الملقب بجمال الدين الشهير "بحافي رأسه" الزناتي أصلا التلمساني مولدا(680-606هـ) استقر بالإسكندرية بمصر وتصدر لإقراء العربية، وله أشعار جيدة ومنها قوله:

و معتقدا أن الرياسة في الكبر فأصبح ممقوتا بها وهو لا يدري
يجر ذيول الكبر طالب رفعه ألا فاعجبوا من طالب الرفع بالجر[3]

[1] – ميلة مليانة تنس مازونة : أسماء مدن جزائرية

[2] – مصطفى الشكعة، معالم الحضارة الإسلامية، دار العلم للملايين ط4، 1982ص 290.

[3] – إرشاد الحائر ص 218

فهو يمقت الكبر والمتكبرين، لأن الكبر لا يجلب لصاحبه إلا المقت من الناس جميعا وله كذلك أبيات في ذم البخل الذي عرف بثغر كان يسكنه بالإسكندرية :

يا منكرا من بخل أهل الثغر ما عرف الورى، أنكرت ما لم ينكر
أقصر فقد صحت نتانة أهله و من الثغور كما علمت الأبخر[1]

و يؤكد الشاعر حافي رأسه[2] موجها إلى وجوب دفع الأجور للمعلمين بقوله:

و معلمي الصبر الجميل بهجره فتى فؤادا عنه لم يك ينثني
لا بد من أجر لكل معلم و إلى السلو ثواب ما علمتني[3]

إن الروح التعليمية التوجيهية مبثوثة في هذه الأبيات الاجتماعية، منتقدا ظاهرة البخل والشح التي تسود المجتمع، مطالبا المجتمع بالاهتمام بالمعلمين ودفع أجورهم مقابل ما يقدمونه من جهد للمجتمع .

و لا بن معطي الزواوي مقطوعات من الشعر التعليمي العام توجه بها إلى طلبة العلم، حاثا إياهم على تحمل المسؤولية الثقيلة للعلم من جهة، والاشتغال بأفضل العلوم وأرقاها وذلك في قوله :

إذا طلبت العلم فاعلم أنه عبء لتنظر أي عبء تحمل
و إذا علمت بأنه متفاضل فاشغل فؤادك بالذي هو أفضل[4]

ثانيا: الشعر التعليمي الخاص: وأعني به الشعر الذي تخصص في علم من العلوم مقررا حقائقه واضعا قواعده مستنبطا قوانينه، ويختلف عن النوع الأول بكونه أفردت له منظومات مستقلة، ويتميز بأسلوبه العلمي، وهذا النوع من الشعر ليس على شيء من الناحية الفنية،عدا أنه كلام موزون مقفى وأغلبه كان على تفعيلات بحر الرجز، وهو نظم علمي

[1] – المرجع السابق ص 218.

[2] – لقب الشاعر بحافي رأسه لأنه كان مكشوف الرأس، وقيل إن رئيس الثغر أعطاه ثيابا جديدة لبدنه فقال : هذا بدني ورأسي حافي، فأمر له بعمامة فلقب بحافي رأسه .انظر إرشاد الحائر ج1، ص 218.

[3] – إرشاد الحائر ص 218.

[4] – إرشاد الحائر ص 178.

يخلو من العواطف والأخيلة ويقتصر على الأفكار والمعلومات والحقائق العلمية المجردة في الغالب الأعم.

وهذا اللون من الشعر قليل جدا في الشعر الجزائري القديم في هذه الحقبة، ولا أعلم أن أحدا من الجزائريين سبق يحيى بن معطي الزواوي البجائي في وضعه لمنظومات في النحو البلاغة والبديع، وستبقى ألفيته النحوية، ومنظومته البديع في علم البديع شاهدة على عطائه الفكري ومقدرته على النظم العلمي المتحصص .

و من الشعراء الجزائريين الذي عاشوا في عصر الموحدين وألفوا في المنظومات نذكر الشاعر إبراهيم ابن أبي بكر الأنصاري[1] التلمساني (690-609هـ) الذي ألف أرجوزة مشهورة في علم الفرائض تعرف بالتلمسانية، لم أستطع العثور عليها مع الأسف، ولم يعرف هذا النوع من الشعر الرواج في الأدب الجزائري إلا مع حلول القرن الثامن الهجري حسب علمي.

. مميزات الشعر التعليمي الجزائري القديم . : تتميز هذه القصائد المتنوعة الموضوعات بـ :

. بروز الخلفية الثقافية الحضارية المرتبطة بقيم الإسلام .

. إنه شعر ممزوج بالقيم الدينية الربانية .

. إنه صادر من شعراء مثقفين فقهاء لا يفصلون بين الدنيا والآخرة .

. الدعوة إلى طلب العلم والحث على التعلم .

. تضمين آيات القرآن والحديث النبوي في قصائدهم .

. النهي عن المضي في شطحات الهوى وضرورة الندم والتوبة والإقلاع عن الذنوب.

. الحث على العمل الصالح، وتقوى الله والاستعداد للآخرة .

. اللغة السهلة اللينة، ألفاظ رقيقة وعبارات بسيطة التراكيب .

. تنوع موضوعاته وموسيقاه .

وبتلك القيم الحضارية واجه المثقفون الجزائريون عصر ئذ مشاكلهم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية مع صعوبتها وبها تجاوزوا الصعاب والأزمات .

[1] – ابن مريم : البستان ص 210 .

الفصل الثاني

أنماط و أشكال الشعر التعليمي الزياني و العثماني

أنماط وأشكال الشعر التعليمي خلال العصرين الزياني و العثماني:

أ- نمط العلوم الشرعية:

النمط الفقهي : *ويشمل الاعتقاديات كوجوب الإيمان،والسلوك العملي في الحياة كالصلاة والبيع، ومسائل الأخلاق والتصوف ومعرفة الحلال من الحرام للالتزام به*، ومن أمثلته ما جاء في منظومات أحمد زروق الكثيرة[1] * ومنها منظومته التي تضمنت عقيدة الشيخ السنوسي الصغرى قال في مطلعها:

الحمد لله الذي عرفنا*** بنفسه والهدى شرفنا

إلى أن قال فيها:

وبعد فالمقصود من هذا النظام *** نظم عقيدة السنوسي الإمام

من غير تبديل ولا تغير *** سوى اختلاف اللفظ والتعبير

ومن هذا النمط كذلك، منظومة بيوع الأجل ومنها قوله:

الله أحمد مصليا على*** محمد مسلما على الولا

أما فخذ نظم بيوع الأجل ***مختصرا وقيت كل الوجل

من باع شيئه بنقد فاشتراه *** بثمن من جنس ما به شراه

من مشتريه قبل كان فيه***سبع وعشرون من الوجوه

يجوز ذا في عشرة وسبعة***وعشرة تمنع الذريعة

و الحكم في النقد ودون الأجل*** سيان في كل فلم تطول

وفي المسائل التي يحصل فيها السهو والنسيان يقول:

مسائل تجب بالذكر كما***تسقط بالنسيان فاحفظ وافهما

غسل أذى اللطخ وترتيب الصلاة***فور الوضوء تسمية عند الذكاة

كفارة الصوم الطواف للقدوم***قضاء قطع النفل حصل العلوم

[1] ينظر، ابن مريم ، البستان ص 09

* أحمد زروق البرنسي الفاسي ،فقيه محدث صوفي معروف بتأصيله لقواعد التصوف السني توفي قرب طرابلس ليبيا سنة 899هجري، وهو تلميذ الإمام احمد ابن زكري

وله منظومة أخرى في التسمية ومواضعها، جاء فيها:[1]

تشرع في مواضع التسميه *** أن تركب السفن أو المطيه
والأكل والشرب مع التطهر*** إطفاء مصباح،صعود المنبر
وطء، دخول منزل أو مسجد *** أو منه ما يخرج وضع الملحد
إغماض،ذبح ودخول بيت ما *** غلق،طواف،لبس أو نزعهما

وكل هذه المنظومات تضمنت مسائل فقهية تفيد المتلقين والعامة وتوجه سلوكاتهم وتعلمهم كيفية التعامل في حالات البيع والشراء وإحياء السنة الخاصة بمواضع التسمية وهي أراجيز تعليمية سهلة الفهم قابلة للحفظ لخفة موسيقاها لكونها من بحر الرجز، اسلوبها مباشر لا خيال فيه وإنما هي معلومات فقهية مفيدة. ومن النمط الفقهي في الشعر الجزائري القديم ما كتبه العالم عبد الرحمن الأخضري تـ 953 هـ في منظومته الشهيرة في علم المواريث والمسماة الدرة البيضاء ومنها قوله :[2]

ترتيب ما يبدى به في المال *** تدريه من تدوم* في مقال
الوارثون في الرجال عشرة *** من جهة الشرع اتت مقررة
أب وجد لابٍ إن انفصل ***بذكر وابن ومن منه انسفل
زوج أخ وأب أخ إن لم يكن *** للأم مولى نعمة أيضا فمن

وأما الوارثون من النساء يقول :

وسبع النساء هي البنت *** وبنت الابن زوجة وأخت
أم ومولاة وجدتان *** فما علا بالمثل تدليان
وهن أمهات الأم والأب *** أعد زيد* وأم جد قد أبى

وتمضي هذه المنظومة بأسلوبها السلس في بث أحكام المواريث بندا بندا وكأنها وثيقة قانونية مستمدة من الكتاب والسنة وأقوال العلماء واجتهاداتهم، ويلاحظ أن أسلوبها علمي يستخدم المصطلحات العلمية الفقهية، والمباشرة في التعبير بعيدا عن العاطفة والخيال. والمنظومة

[1] ابن مريم،البستان ص 11

[2] الدراجي، عبد الرحمن الأخضري، دار الأمل للدراسات والنشر والتوزيع ص 198

*تدوم:(التاء)تعني تجهيز الميت،(الدال)يعني تسديد ديونه،(الواو) يعني الوصية،(الميم) يعني الميراث .

*زيد : هو زيد بن ثابت من كبار الصحابة،عرف بالفقه في علم الميراث.

هي من الشعر التعليمي المتخصص في علم الميراث.ويعتبر الأخضري ههنا مقلدا لمن سبقوه في هذا الميدان فلم يأت بجديد.

وقد تطرقت المنظومات الفقهية إلى جميع مناحي الحياة الدينية والدنيوية كعلم التوحيد وفقه الصلاة والزكاة والصيام والحج وغيرها من الأحكام كما تطرقت إلى كل ما يهم المسلم في حياته من طهارة مادية ومعنويةو معاملات حياتية عديدة تهم المسلم في حياته.

_نمط الأخلاق والعقائد :

اعتبر الجزائريون علم التوحيد، أهم العلوم الشرعية على الإطلاق، لأنه يتعلق بالإيمان والعقيدة، وأساس الإسلام،لذلك سماه كثير من العلماء بعلم أصول الدين كما عرف فيما بعد بعلم الكلام، ويدرس حديثا باسم العقيدة، وكل هذه المصطلحات مترادفة موضوعها واحد. هو إيمان الإنسان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقضاء والقدر. والإيمان عند الأصوليين هو (ما انعقد عليه القلب، وصدقه اللسان وعملت به الجوارح)[1] وسمي هذا العلم بعلم التوحيد لأن أساس الإيمان ومنطقه وسر وجوده، هو التوحيد المطلق لله تعالى، الذي أمر القرآن به في سورة الإخلاص " قل هو الله أحد، الله الصمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفؤا أحد". وأما مصطلح علم الكلام فعرفه ابن خلدون بقوله:" هو علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية والرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات،عن مذاهب السلف وأهل السنة.[2]

ومن المعروف ان العقائد السائدة لدى الجزائريين هي عقائد جمهور أهل السنة {الأشاعرة}، وقد كانت مؤلفات محمد بن يوسف السنوسي في العقائد هي المصدر المحلي لدراسة علم الكلام. ومن ابرز مؤلفاته :

-* عقيدة أهل التوحيد والتسديد المخرجة من ظلمات الجهل وربقة التقليد المرغمة أنف كل مبتدع عنيد" وهي المشهورة ب {كبرى السنوسي} وهي أول مصنفاته في علم التوحيد.

-* العقيدة الوسطى، وهي اختصار للعقيدة الكبرى

[1] ينظر وهبة الزحيلي، تعريف عام بالعلوم الشرعية، دار الكوثر للنشر والتوزيع، برج الكيفان/الجزائر بدون سنة الطبع ص 89-90

[2] ابن خلدون، المقدمة، مؤسسة الرسالة ناشرون، ط 1 2007ص 477.

-*"ام البراهين في العقائد"وهي المشهورة،ب السنوسية الصغرى وأما في مجال المنظومات التعليمية، فينبغي الإشارة إلى منظومة أحمد بن عبد الله الجزائري (800/ 884هـ) المعروفة باسم المنظومة الجزائرية، وكان مؤلفها معاصرا للسنوسي، نظمها في مقتبل عمره، أرسل بها إلى السنوسي ليشرحها، وفعلا شرحها تحت عنوان(المنهج السديد في شرح كفاية المريد) وهو شرح للجزائرية على لامية ابي العباس احمد عبد الله الجزائري المسماة (الجزائرية في العقائد الإيمانية) أو (كفاية المريد) وهي منظومة في أربعمئة بيت ذات مستوى جيد مضمونا وأسلوبا مطلعها:[1]

الحمد لله فهو الواحد الأزلى*** سبحانه جل عن شبه وعن مثل

فليس يحصى الذي أولاه من نعم***أجلها نعمة الإيمان بالرّسل

من ذا من الخلق يقضي شكر واهبها***لو كان يشكر طول الدهر لم يصل

ثم الصلاة على خير الورى أبدا***وصحبه مع سلام طيب حامل

وبعد فالعلم بالتوحيد مفترض*** بالاحتلام وعقل غير مختبل

فبعد المقدمة التمهيدية التي أثنى فيها على الله الخالق المنعم على الخلق بنعم لا نقدر على إحصائها، وأعظم نعمة على الإطلاق هي نعمة الإسلام وإرسال الرسل، وهذه النعم لا يقدر الإنسان على شكرها ولو ظل طول الدهر يعبد.ثم التصلية على المصطفى صلى الله عليه وسلم وعلى صحابته ليشرع مباشرة في موضوع المنظومة الذي هو علم التوحيد الواجب تعلمه على كل إنسان بلغ الحلم ورشد إلى أن يقول:

بل كل ما بلسان الشرع تفعله***فرض تعلّمه وإن جهلت سل

فهاك نظم فصول من قواعده *** من رام بالنظم حصر الكل لم ينل

لعل قاريه بالنظم يحفظه *** فقد حوى جملا تنبيه عن جمل

وفي خاتمة هذه المقدمة التي أوضح فيها وجوب التعلم والسؤال،و سبب النظم هو تسهيل حفظه على المتعلمين والقراء ينهيها بقوله :

فالله نسأل في نفع الجميع به*** إذ لا يضيع فضلا كل ذي أمـل

[1] مخطوط خزانة "مكتبة الموهوب أولحبيب_ بجاية _ الجزائر، وعندي نسخة منها.

ثم يشرع في فصل تحت عنوان بيان حكم التقليد في قواعد التوحيد بقوله:

قد أنكر القوم تقليدا بلا نظر*** ولا دليل على التوحيد لم يقل.

فعلم التوحيد ينبغي فيه اليقين لا التقليد، بل على الإنسان أن يعمل عقله لإدراك الذات الإلهية (فاعلم أنه لا إله إلا الله)[1]

ثم يشرع المؤلف بعد مناقشة قضية التقليد في العقيدة في فصل جديد وهو المتمثل في أول الواجبات والاستدلال بالنظر في مخلوقات الله لأنها إدراك للذات الإلهية فيقول في لاميته:

من واجب أولا قصد إلى نظر *** صحيح معنى بلا نقص ولا خلل

فانظر إذا كنت ذا عقل وتبصرة*** فهل ترى غير الخلق الواحد الأزل

كم آية في كتاب الله ترشدنا***للفكر في خلقه طوبى لممتثل.

فيوجه الناظم الأنظار إلى ملكوت السماوات والأرض وما فيهن من آيات تدل على الواحد الأحد بقوله:

فانظر لخلقته السبع الطباق وفي ***عوالم الأرض من سهل ومن جيل

إذ قال سبحانه في أمره لهما ***أن ايتيا اتتا في الحين عن عجل[2]

إلى أن يقول إشارة إلى قدرة الله عز وجل:

أرسى الجبال بها كي لا تميد بنا*** ما في الهواء متى لم يحتبس يمل

فأعجب لقدرة مولانا التي بهرت***إذا زاد ما في الهواء ثقلا على ثقل

ثم يسوق الأدلة على قدرة الله وعظمته فيشير إلي السموات والشمس وتعاقب الليل والنجوم والقمر والأرزاق والخيرات التي انعم بها على العباد وبقوله :

والشمس تجري كجري البدر في الفلك***على التعاقب في الأوقات بالدول

تجيء دوما مع الإصباح مشرقة***والبدر يتلو غروب الضوء عن عجل

و في النجوم اهتداء ثم زينتها***من لم يفكر بنور العقل لم ينل

من ذا الذي لضروب الخلق يعلمها*** على التفاصيل في علو ومنسفل

إلا الإله الذي بالحق أبدعها*** سبحانه دايما في الصبح والأصل

[1] سورة محمد الآية رقم 19

[2] اشارة إلى قوله تعالى" ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللارض،ايتيا طوعا أو كرها قالتا: أتينا طائعين" سورة فصلت الآية رقم 10

وتمضي هذه اللامية في العقائد الإيمانية متماشية مع آيات القرآن وأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم في تقرير الآيات الكونية الدالة على وحدانية الله، بأسلوب سلس يخاطب العقل والوجدان معا في إيحاءات شاعرية محلقة في ملكوت السماوات والأرض بروح ربانية صوفية تثبت وحدانية الله وتدعوا إليها بأدلة مادية كونية يسوقها المرسل إلى المتلقي. والقصيدة في عمومها سهلة قريبة من عقول الدارسين، ومما زادها شهرة وانتشارا شرح السنوسي. فهو الذي حببها أكثر للطلاب والعلماء، كما شرحها آخرون واثنوا على مؤلفها، ويبقى شرح وتحليل السنوسي لها في حياة صاحبها هو الذي أكسبها هذا الزخم. بالإضافة إلى أن المؤلف أحمد بن عبد الله تلميذ الثعالبي "الذي يعد واحدا من المتكلمين الفقهاء من المشهورين بالصلاح والعلم والورع والتحقيق" وأما الطريق الأخر الذي اشتهر به أحمد الجزائري فهو إقامة زاوية باسمه في مدينة الجزائر[1] ويمكن القول دون مواربة أن دراسة علم التوحيد في الجزائر عصر ئذ كانت تقوم على إنتاج السنوسي والجزائري.

و في ختام اللامية في العقائد بعد الإشارة إلى صفات الله عز وجل وما يجوز في حقه وما لا يجوز، والإشارة إلى ثبوت رؤية المولى سبحانه يوم القيامة، خصص فصلا إلى مسألة النسخ في القرآن، وآخر إلى صفة النبوة وأنها غير مكتسبة بل منة من الله إلى من اصطفاهم بالرسالة بقوله:

وعند ختمي أدعو الله مرتجيا***عساه مولاي بالإيمان يختم لي
فاغفر الهي ما أسلفت من زلل*** وتب علي فان الظلم من قبلي
و أقبل دعاء كسير القلب ذي وجل***واقبله مني فهذا سؤالي وذا أملي
هب لقرائه عفوا ومغفرة*** واقبله مني فهذا سؤالي وذا أملي
بجاه خير الورى وأقوى وسائلنا*** وجاه كل نبي ثم كل ولي
عليه أزكى صلاة الله ثم على***كل النبيئين في الإصباح وفي الأصل

و القصيدة تعد من روائع الشعر الجزائري في القرن التاسع الهجري ذات أبعاد تعليمية واضحة تهيب بالمسلم أن يعتمد على العقل واليقين في عقيدته، وان يبتعد عن التقليد لان العلم بالله لا يكفي فيه التقليد بل لابد كفرض واجب أن يعلم الوحدانية ويدرك صفات الله وأفعاله وأن ينزهه عن الشريك، وذلك بالنظر في ملكوت السماوات والأرض استجابة للأوامر

[1] سعد الله، تاريخ الجزار الثقافي ج 1ص92

القرآنية " أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت و إلى السماء كيف رفعت، وإلى الجبال كيف نصبت، وإلى الارض كيف سطحت...."[1]

" قل انظروا ماذا في السماوات والأرض...."[2]

كلها دعوة إلى إعمال العقل والفكر في هذا الكون المحيط بنا من كل جانب.فالجانب التعليمي بيّن جلي في كل أبيات هذه القصيدة في مقدمتها وفي موضوعها وفي خاتمتها نلحظ فن الدعاء، فهذا العمل الشعري يعد وسيلة للمؤلف يتقرب بها إلى الله. ويرجوا بها أحسن الختام في حياته وغفران ذنوبه وزلاته وأن يتوب الله عليه معترفا بأخطائه، فهذا أمله ومرتجاه، كما يدعوا للقراء بالعفو والمغفرة متوسلا بالنبي صلى الله عليه وسلم وجميع الرسل عليهم السلام ويختم بالتحية والصلاة على النبي وكل النبيين وعلى الآل والصحب ثم التابعين لهم بإحسان.. وهذه الخاتمة تنبئ عن شخصية المؤلف المعتصمة بالله وبالوحي الذي يرجو ربه ويخاف ذنوبه، يحب الخير للناس جميعا ويحرص على تبليغ المعارف إلى الناس بلغة علمية أدبية ميسرة مصدرها الثقافة العربية الإسلامية فهو واضح التأثر بأسلوب القرآن الكريم وتوجيهاته، ففي كل بيت من الأبيات يستلهم من الآيات والأحاديث النبوية.فالدعاء أهم مستندات العبد الروحية والنفسية، وهو مَعين الحياة وينبوع السكينة ومنبع الاطمئنان ومصدر الراحة،فهو متنفس طيب من المتاعب الروحية والقلاقل النفسية.وهو الأمل التام للمستقبل الدنيوي والأخروي. [3]

ومن الذين ألفوا في علم الكلام أيضا العالم الفقيه أحمد بن زكري التلمساني الذي سمى منظومته (محصل المقاصد مما به تعتبر العقائد)[4] وقد صرّح باسم منظومته في قوله :

سميته محصل المقاصد ***مما به تعتبر العقائد

وعن عدد أبيات النظم يقول ابن زكري :

أبياته ألف ونصف ألف ***ونيّف تألفت بالالف

وعدة نيّف مثل حسنه ***كان كمال النظم أول السنة

[1] سورة الغاشية الاية رقم: 20.19.18.17

[2] سورة يونس،الآية 101

[3] محمد خليل جيجك، دروس الأدعية القرآنية ورسالاتهم،دار الكتب العليمة بيروت، ط 1 2013ص 10

[4] مخطوطة محصل المقاصد ،توجد نسخة من النظم عندي، ونسخ النظم كثيرة منها :

_ نسخة الخزانة العامة بالرباط_المغرب_رقم 1066 د في 1520 بيت

تسعين من بعد ثمانمائة*** كفى الآله شر كل فئه

وكان الفراغ من تأليفه أوائل سنة 890 هـ وقد ذكر اسمه في مطلع المنظومة في قوله :

يقول عبد للاله لله أحمد *** هو ابن زكري الله ربي أحمد

موضوعه : يتضمن نظم محصل المقاصد مقدمة وتشمل على تعريف بنظم محصل المقاصد وبيان مجمل لموضوعه وفيه بيان للحكم العقلي وأقسامه.كما فصل القول في مبادئ علم الكلام، ليعرف علم أصول الدين وبيان معنى الإسلام والإيمان والإحسان.ثم خصص فصلا في أسماء هذا العلم وموضوعه وواضع هذا العلم ثم ذكر مسائله وفائدته وبيان فضله ثم عرف النظر والمعرف والدليل وبيان حكم المعرفة وطريقتها وشروط التكليف، ليطيل في بيان حقيقته الجدل، ومشروعيته وشروط الجدل المناظرة وفوائدهما ثم تطرق إلى حد العلم وبين العلم الضروري والنظري وتقسيم العلم إلى قديم وحادث ثم بين حقيقة العقل.و حقيقة المعدوم والموجود، ثم أثبت العلم بالخالق،ليبين الطرق الموصلة اليه،ثم بين الناظم حقيقة العالم كما بين مخالفة الخالق للحوادث ولسائر المخلوقات ثم تطرق إلى الصفات التي تجب لله تعالى كالقدم والبقاء والقدرة والإرادة والعلم والحياة والإستدلال على صفات السمع والبصر والكلام .ثم تطرق إلى رؤية الله، وخصص مبحثا للجن والملائكة ومسئلة القضاء والقدر،والوعد والوعيد والشقاوة والسعادة، ثم فصل القول في النبوة والمعجزة وعدد الرسل والانبياء ومراتب الأولياء وتحدث عن حكم السحر،وخصص فصلا باليوم الاخر وحكم مرتكب الكبيرة ثم الشفاعة وعذاب القبر.ثم نجد فصلا في حقيقة الإيمان زيادته ونقصانه، وحقيقة الإسلام وعلاقته بالإيمان وحقيقته الكفر ثم يضل في التوبة .ثم ذكر الأمانة وأقسامها فصل فصل أمية فتحمد صلى الله عليه وسلم وختم النظم بالحديث عن التصوف .

_ جاء النظم على بحر الرجز ليسهل حفظه معبرا عين المعاني العميقة بألفاظ غاية في السهولة وعبارات واضحة الدلالة بلغة موجزة يشير إلى ذلك بقوله :

بالرجز المقرب البعيد ***يسهل الصعب على المريد

أصوغه لها وجيز اللفظ ***أصونه مسهلا للحفظ

ويصرح بأنه على مذهب أهل السنة وذلك في قوله :

يدعو إلى مذهب أهل السنة***يطعن في البدع بالأسنة

كما وصف منهج النظم بقوله :

ينحصر المقصود في مقدمة ***أبوابها ثلاثة محكمة
قد احتوى في كل على فصول***تقديمها ذريعة الوصول
وفي ثلاثة من الأقسام*** تضمنت مقاصد الكلام
وفي التصوف يكون خاتمة *** به النفوس من عيوب سالمة

ومن أهم ما يتميز به نظم إبن زكري الغزارة في المسائل الكلامية،وتنوع مسائله العلمية، ولذلك اعتمد عليه المدرسون للتوحيد في القرن العاشر وما بعده.

وكتب عبد الرحمان الحوضي ت 910هـ منظومة في التوحيد سماها (واسطة السلوك) مطلعها.[1]

الحمد لله الذي دل عليه *** ايجادنا ثم افتقارنا إليه
وبعد فالتوحيد أشرف العلوم*** وهو أساسها الذي تقوم

وبعد هذه المقدمة الموجزة يشير الى سبب وضعه لهذا النظم وهو إفادة الطلاب في المدارس وفتح طريق النظر أمام القارىء بدل التقليد راجيا أن يفيد هذا الرجز طلبة العلم وذلك في قوله :

وقد سئلت الله في تيسير *** أرجوزة مفهومة التعبير
قريبة المأخذ والمطالب*** يقرأها الصبيان في المكاتب
يخرج قاريها من التقليد*** ضرورة بنظر سديد
ورب منصف من الكبار*** بها اكتفى من أجل الاختصار
سميتها واسطة السلوك*** إذ بينت كيفية السلوك

وقسمها المؤلف الى فصول فكان هناك فصل في حكم العقل وآخر في الصفات وثالث فيما يجوز في حق الله ورابع في بعث الرسل ...

وهذه المنظومة في عمومها اتسمت بلغة عادية مألوفة سهلة المعاني بسيطة التراكيب .وهي من بحر الرجز المساعد على الحفظ بموسيقاه التي يتجاوب معها طلبة العلم حفظة المتون والأراجيز .

والجدير بالملاحظة أن الجزائريين قد انتجوا كثيرا في ميدان علم الكلام عشرات المتون الشعرية بالإضافة إلى الشروح العلمية لتلك المتون والمنظومات الشعرية،وقد اشتهر السنوسي

[1] ينظر سعد الله ،تاريخ الجزائر الثقافي ،ج 1،ص98-99

بوضع الشروح المفيدة للقراء ولذلك مدحه الشيخ أبو عبد الله محمد بن منصور المستغانمي بقوله[1] :

لقد من ذو الفضل العظيم بفضله*** علينا بنجم الدهر لائحا
فأبدى لنا التوحيد عذبا مخلصا*** وبالغ في التبيين للخلق ناصحا
وذاك السنوسي عم فضله غاية*** وحاز فخارا في البرية واضحا
فخار تلمسان عليك بكتبه*** فقد فاقت التبر المخلص طافحا

_النمط الصوفي :

يهدف التصوف أو الربانية إلى تهذيب النفس وترقيق القلب وتنمية المراقبة الذاتية لله تعالى والمحاسبة الداخلية للسلوك، ليبقى المسلم ملتزما بأحكام الشرع ومنصرفا في أعماله إلى مرضاة الله وذلك بإخلاص النية والبعد عن الرياء والمعاصي. يقول ابن خلدون عن هذا العلم إنه: "من العلوم الشرعية الحادثة في الملة... وأصلها العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالي والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها."[2] وقد كان للتصوف والمتصوفة شأن في التاريخ الإسلامي، كما كان له دور بارز في الدعوة الإسلامية وانتشار الإسلام في بعض القارات، كالطريقة السنوسية في إفريقيا والطرق المختلفة في جنوب السودان وغرب إفريقيا،لأنه يغطي زوايا حساسة ومهمة في حياة الأفراد،ويلبي حاجة الروح والنفس ويشبع الخواء الذي يعيشه الإنسان في حياته الفكرية وحضارته المادية.[3]

ومن المعلوم أن القرن الثامن والتاسع شهد شيوع ظاهرة التصوف مع المبالغة في بناء الزوايا وتعظيم الأولياء وبناء الأضرحة والسفر لزيارتها وكثرة إدعاء الكرامة مع ظهور السحر والشعوذة[4] وكان ذلك نتيجة طبيعية للحياة الاجتماعية المضطربة بسبب الحروب الدائرة بين أقطار المغرب الثلاث المتمثل في صراع الحكام والولاة الذي ترك آثارا عميقة في الإنسان المغربي، تجلت في رد الفعل المتمثل في الهروب إلى التصوف وأهله وإلى التصديق بالكرامات وتقديس الأولياء.ومن أبرز العلماء الجزائريين الذين شاع التصوف العملي وانتشر

[1] ابن مريم ،البستان ،ص 248

[2] ابن خلدون المقدمة،ص 500

[3] محمد الزحيلي، تعريف عام بالعلوم الشرعية،ص 190

[4] عباس ارحيلة، مقدمة الكتاب في لتراث الإسلامي وهاجس الإبداع، المطبعة الوراقة الوطنية مراكش ط 1 2003 ص 218

بسببهم، عبد الرحمن الثعالبي ومحمد بن يوسف السنوسي وهما من كبار الزهاد والعلماء في القرن التاسع الهجري،وقد جمع كل منهما بين الإنتاج العلمي والسلوك الصوفي، وانتفع بهما خلق كثير، وكان لهما تأثير في المعاصرين واللاحقين وكان كل منهما من أتباع الطريقه الشاذلية. واتخذ التصوف في الجزائر أبعادا اجتماعية بسبب الظروف المعيشية للبلاد، وانساق الناس وراء أئمتهم المتصوفة لما وجدوا في التصوف من مساواة وعدل وإحساس بالوجود،فقد كان شكلا من أشكال التعبير عن الغضب الشعبي من التميز الطبقي.[1]

هذا وقد نسبت إلى الثعالبي في الجزائر كرامات في منتهى الغرابة تصل إلى درجة الأساطير، كما نسبت إلى زعيم الطريقة اليوسفية دفين مليانة الشيخ أحمد بن يوسف الهواري تـ 927 هـ كرامات لا تقل عن كرامات الثعالبي[2] واستولى على العقول ركام من الخرافات، فقد عمت البلاد طوائف ذات نزعة زهدية في الظاهر لكن باطنها هو التكسب[3] وكان للزروقية نسبة إلى أحمد زروق أحد أتباع الحسن الشاذلي انتشار واسع في المغربين الأقصى والأوسط.واستولى الأولياء الأحياء منهم والموتى على حياة الناس فشلّت عقولهم وسدت أبواب الاجتهاد[4]

وأول طريقة صوفية في الجزائر هي طريقة أبو مدين شعيب التي عرفت شهرة واسعة وأتباعها في مختلف أنحاء العالم الإسلامي وازادات على يد شيخ الطريقة الشاذلية ألو الحسن الشاذلي. وانتشرت الزوايا والرباطات في الأرياف والمدن، وانضوى الآلآف من الناس فيها مركزين على الذكر والخلوة وآداب الصحبة وظهرت الطرق الصوفية الكبرى في أرجاء الوطن كالقادرية والشاذلية وغيرها. وتنوع الأدب الصوفي ذو الطابع التعليمي التربوي المتمثل في المدائح النبوية والحكم والأوراد وشعر التوسل والدعاء وشعر الزهد وغيره . وفي هذا الإطار تندرج جميع قصائد وأشعار إبراهيم التازي نزيل وهران تـ 866 هـ من ذلك قصيدته الشهيرة المسماة المرادية ومطلعها قوله:[5]

مرادي من المولى وغاية آمالي *** دوام الرضى والعفو عن سوء أعمالي

[1] ينظر الموقع الإلكتروني : موسوعة التصوف الجزائرية w.w.w.ar.wikipedia.org/wiki

[2] عبد االرزاق قسوم، عبد الرحمان الثعالبي والتصوف، ش.و.ن.ت الجزائر1978،ص 17

[3] ينظر جمال الدين بوقلي، الإمام ابن يوسف السنوسي، ص 31

[4] المرجع نفسه،ص 32

[5] ينظر المهدي لعرج، ديوان إبراهيم التازي،كتاب ناشرون لبنان ط 1 2013 ص 73،74

وتنوير قلبي بانسلال سخيمة ***به أخلدتني عن ذوي الخلق العالي
وإسقاط تدبيري وحولي وقوتي ***والصدق في الأحوال والفعل والقال
في حبه وحب صفوته الرضى *** ملائكة وأنبياء وأرسال
وحب النبي الهاشمي محمد *** وأصحابه الغر والأفاضل والآل
وحب رجال خالفوا النفس والهوى ***خافوا المقام الواحد الصمد العالي

إلى أن يقول :

رجال كرام قوتهم ذكر ربهم ***قيام قعود في صدور وإقبال

والقصيد كلها في وصف الأولياء الصالحين، الذين تخلصوا من أمراض النفوس واتجهوا إلى ربهم ذكرا وتسبيحا وأخلاقا سامية، وفي ختام المنظومة يقول عن شيخه الهواري:

وقد عدم الناس الشيوخ بقطرنا *** وآخرهم شيخي* موضع اجلالي
فقد قالي لي:لم يبق شيخ بغربنا ***و ذا منذ أعوام خلون وأحوال
يشير إلى أهل الكمال كمثله*** عليه من الله الرضى ما تلا تال
ونص على مدح التشبه شهمهم*** أبو مدين غوث المعاصر والتال
وقد قال:حب الأولياء ولاية *** وليّ الإله الشاذلي بن بطال[1]

وكان لتعليم أبي الحسن الشاذلي المذكور في البيت الخامس أثر كبير في الجزائر، فمعظم الطرق الصوفية التي ظهرت منذ القرن الثامن الهجري تتصل بالطريقة الشاذلية، وكان الشاذلي قد تأثر بتعاليم عبد السلام بن مشيش تلميذ أبي مدين شعيب. ويمكننا أن نعد الشيخ الهواري وإبراهيم التازي والسنوسي والثعالبي وأحمد المليانى وغيرهم من أتباع الطريقة الشاذلية.

وعن زيارة الصالحين ومحبتهم والإقتداء بهم يقول التازي:[2]

زيارة أرباب التّقى مرهم يبري *** ومفتاح أبواب الهداية والخير
وتحدث في القلب الخلي إرادة ***وتشرح صدراضاق من سعة الوزر
وتنصر مظلوما وترفع خاملا *** وتكسب معلوما وتجبر ذا كسر

[1] ثبت أبي جعفر البلوي،تحقيق عبد الله العمراني، دار الغرب الإسلامي، ط 1 1983 ص 327
*شيخي: يقصد شيخه الهواري العالم الزاهد توفي بوهران سنة 843 هـ
[2] المصدر السابق ص 328

إلى أن يصل إلى الحث على الزيارة والتأدب أثناءها سواء كان المزار حيا أو ميتا وذلك بقوله:

فزر وتأدب بعد تصحيح نية ***تأدب مملوك مع المالك الحر

ولا فرق في أحكامها بين سالك *** مربي ومجذوب وحي وذي قبر

وينهي القصيدة بالسلام على الأنبياء والصحابة التابعين.

والملاحظ أن هذه المنظومات الصوفية صيغت بلغة مألوفة عادية بسيطة التراكيب بأسلوب مباشر، وتكمن أهميتها في مضمونها أكثر من لغتها كونها موجهة إلى تلاميذ الزاوية والعامة. وللتازي قصيدة أخرى من البحر الوافر في النصح العام وتوجيه للمريدين، يحث فيها على ترك الدنيا وشهواتها والهروب إلى الله عز وجل:

أما آن ارعواؤك عن شنار؟ *** كفى بالشيب زجرا عن عوار

أبعد الأربعين تروم هزلا ؟ *** وهل بعد العشية من عرار

فخل حظوظ نفسك واله عنها *** وعن ذكر المنازل والديار

فما الدنيا وز خرفها بشيء*** وما أيامها إلا عوار[1]

وفي إطار شعر الحكمة والتوجيه العام يتوجه التازي بهذه القصيدة وهي من بحر الكامل بلغة مألوفة وتعابير مباشرة :

يا صاح من رزق التقى وقلى الدنا *** نال الكرامة والسعادة والغنى

فاصرف هوى دنياك واصرم حبلها *** دار البلايا والرزايا والعنا [2]

وعلى هذه الشاكلة جميع قصائد ديوانه تتروح بين الحث على العبادة وذكر الله والبعد عن الدنيا وشهواتها والدعوة إلى محبة بيته وآل بيته وتهذيب النفس ومخالفة الهوى ولا شك أن التصوف يعد من أهم روافد ثقافة إبراهيم التازي وعليه مدار شهرته وقد عاش ورعا زاهدا، معلما صالحا بمدينة وهران.فقد أثبت الوادي آشي 15 قصيدة للتازي في ثبته.ومن النمط الصوفي كذلك ما نجده في قصائد الرثاء والتأبين التي تعلم القيم وتربي على الأخلاق

[1] المصدر السابق ص 334_335

[2] المصدر نفسه ص 336

الحسنة ومنه ما كتبه أحمد بن عبد الله الجزائري في رثاء شيخه عبد الرحمن الثعالبي في القصيدة العينيه من بحر الطويل مطلعها :[1]

لقد جزعت نفسي لفقد أحبي*** وحق لها من مثل ذلك تجزع

ألم بنا مالا نطيق دفاعه *** وليس لأمر قدر الله مرجع

جرى قدر المولى بإنفاذ حكمه*** ومن حكمه أنّا نطيع ونسمع

فلا تعجبن إلا لغفلتنا التي*** دهتنا فصرنا لا نخاف ونسمع

فهو يتخذ من الرثاء مولجا إلى الوعظ والتذكير بآيات الله وقدره،فيحذر من الغفلة ولهو القلوب ويذكر بيوم القيامة ثم يدعوا إلى ترك الدنيا وشهواتها والمبادرة إلى تقوى الله والاستعداد لليوم الأخر وذلك ما جاء غي قوله:

وان فناء الخلق حتما وإنما *** دوام البقا حقا إلى الله يرجع

ومن بعده هو القيامة واللقا***فيا هول ما نلقى وما نتوقع

فدع عنك دنيا لا تدوم وإنها***وإن أظهرت حسنا يروق سيخدع

وبادر لتقوى الله ان كنت حازما*** هي العروى الوثقى بها النار تدفع

وشمر لأخرى واستمع قول ناصح***وحاذر هجوم الموت إن كنت تسمع

إنها دعوة للتأمل في الحياة والموت، ووجوب الاستعداد ليوم الرحيل بتقوى الله والعمل الصالح. إن موت العلماء كارثة حقيقية لأن فقدهم هو ذهاب للخير والنور والعلم وذلك ما ورد في قوله في نفس القصيدة :

فأين خيار الخلق رسلا وأنبيا *** وأين رواة العلم في اللحد أودعوا

فليس ذهاب الخير إلا بفقدهم ***وتشتيت شمل العلم قل كيف يجمع

ولا خير في الدنيا إذا لم يكن بها ***شموس بأنوار الشريعة تسطع

لا يوشك قبض العلم عنا بقبضهم ***كما قاله خير الأنام المشفع

ثم يشير إلى الآثار التي تركها موت العلامة عبد الرحمان الثعالبي بقوله:

لقد بان أهل العلم عنا بقبضهم*** منازلهم إنّا إلى الله نرجع

كما بان عنا شهمنا العالم الذي *** سناه بأنوار الحقيقة يسطع

[1] ينظر الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف موفم للنشر 1991 ج 1 ص 41،42

أبو زيد مشهور بالعلم والتقى *** له العلم فينا والمقام المرفع

إلى أن يشير إلى مجلسه الذي كان يشع بالنور والهدى نتيجة الإخلاص في العمل وذلك في قوله:

هو العالم الموصوف بالنفع للورى*** به عنهم خطب الحوادث يرفع
صبور كريم النفس يكسى مهابة***فما إن يراه المرء إلا ويخضع
إذا ما بدا، كالبدر بين صحابه *** وهم هالة دارت به حين يطلع
بمجلسه نور ورائق لفظه *** ضياء نفيس الدّرّ بل هو أرفع
فوائده تترى عليهم وكلها *** لها عند أهل العلم والفهم موقع
مجالس علم قد مضت فلو أنها *** تعود ولكن ما مضى ليس يرجع
نتيجة إخلاص وصدق كأنها*** سهام بها يرمي القلوب فتخشع

وهي إشارة إلى طريقته التربوية المؤثرة في المتلقين، نتيجة لشخصيته القوية وإخلاصه وصدقه في دروسه وهذه القصيدة العينية المؤثرة بمضمونها وأسلوبها ذات مستوى بياني جيد، في لغة وجدانية، تحمل عاطفة الحزن والأسى وشعور التحسر على فقد هذا العالم حتى يكاد يجزم الناظم أن لا أحد يمكن أن يعوضه فهو مصاب جلل وهذا ما نجده في قوله:

أصبنا به فالله يعظم أجرنا*** ويلهمنا الصبر الجميل ويوسع

ومن قصائد رثاء العلماء المؤثرة كذلك ما كتبه عبد الرحمن الحوضي تـ 910هـ في علاّمة علم التوحيد لجزائري الإمام محمد بن يوسف السنوسي قصيدته الطويلة ومنها:[1]

ما للمنازل أظلمت أرجاؤها *** والأرض رجت حين خاب رجاؤها
و أتى عليها النقص من أطرافها ***وتراكمت وتعاطفت ارزاؤها
زرء عظيم خطبه ومصيبة***لم ندر يا للقوم كيف عزاؤها
فقد السنوسي الإمام محمد***وهو ابن يوسف هدمنه علاؤها
قد كان بحرا للمعارف زاخرا ***فانزاح عنها حين بث عطاؤها
ودعا الى التوحيد دعوة مخلص***وإلى الشريعة فاستنار ضياؤها

[1] الحفناوي،تعريف الخلف برجال السلف،ج 2 ص 238،239

إنه مطلع يبهر القارئ ويشده إلى مضمونه، وموسيقى بحر البسيط وحرف الروئ الدال على الآهات والآنات من جراء فقد عالم كبير.إن فقد العلماء مصيبة حقا،فهم ورثة الأنبياء وهم نور البلاد، وبموتهم تضيع الأنوار العلمية انظر إلى قول الشاعر:

من للتآليف التي ألفتها ***يبدي بها ما استشكلت قراؤها

من للعلوم على اختلاف فنونها *** يبدي لها نكتا يروق سناؤها

من للقلوب إذا صدت وإذا قست*** تأتي مواعظه فيذهب داؤها

ما ذاك إلا من خصائلك التي*** أعطاكها ربّ له اعطاؤها

ما شئت من تقوى ومن ورع ومن***كرم ومن شيم تلا إحصاؤها

وبعد أن يعدد أعمال الفقيه وصفاته العلمية والخلقية يستسلم للقضاء والقدر فيقول:

لكن مشيئة ربنا تجري كما***سبق القضاء فلا يرد قضاؤها

إلى أن يقول :

إن تبكه عين فما أدت له*** حقا ولو مزج الدموع دماؤها

أو تبكه أبدا تلمسان ومن ***في حوزها ورجالها ونساؤها

لم يقدروا مقداره أنّي لهم ***ولقد بكته أرضها وسماؤها

وهي قصيدة بليغة الأثر مفعمة بعواطف الحزن والتحسر على فقد هذا العالم الذي قضى عمره في التعليم ونصرة التوحيد والدعوة إلى الله. صيغت بلغة جملية وجدانية منسابة ألفاظها رقيقة منتقاة موحية بمعاني الأسى.

و أما ما نظمه الحوضى في حب النبي عليه الصلاة و السلام وفي العشق الإلهي قوله :

لا تسل عن غرام قيس وليلى***واستمع سورة الهوى كيف تتلى

آي الحب في المجين وجد ***معه لا ترى الحياة بأولى

أنا صب متيم مستهان *** لم يدع لي من أحبه عقلا

قد سرى حبّه بكلي وبعضي*** وكيف أسلو وكيف لي أتسلى[1]

وله قصيدة أخرى على وزن وقافية بردة البوصيري، وكان الحوضي في قصائده يبث قيما دينية هامة للناس من خلال قصائده لا تخلوا من روح تربوية تعليمية، ومن المعروف انه كان بين تيار دنيوي تتجاذبه السياسة والجاه وتيار أخروي تتجاذبه عقائد صوفية.وأما

[1] سعد الله ،نقلا عن مجموع بالمكتبة الملكية بالرباط رقم 7440 ص 71

معاصره أحمد الخلوف فله ديوان في المدائح النبوية،ويسمى (جني الجنتين) حققه الأستاذ العربي دحو، وفيه قصائد طويلة تبلغ مئات الأبيات. وقد سار الخلوف في هذا الديوان سيرة الحوضي في (الوسائل العظمى) وقد مارس الكتابة السلطانية وكان سفره بين قسنطينة وتونس ومكة والقدس والقاهرة والمغرب،وقد ترك مؤلفات في علوم متعددة منها مؤلف في العروض، وآخر في البديع ورجز في الصرف وعمل في الفرائض.

ويبدوا أن روح التصوف قد طبعت أشعار القرن التاسع الهجري في الجزائر،فلا نكاد نجد عالما أو فقيها إلا وله قصيدة أو منظومة في موضوع ديني أو صوفي. وفي هذا الباب تدرج قصيدة إبراهيم التازي المعروفة بالمرادية، والمنظومة الجزائرية لأحمد بن عبد الله الجزائري وسينية ابن باديس،ومنظومة المراصد لابن زكري، وإلى جانب هذه الموضوعات تناول الشعراء العلماء عدة أغراض أخرى كالمدح والرثاء والشكوى والصيد والغزل،وفي هذا المجال نجد مرثية الحوضي في شيخه السنوسي، ومرثية أحمد بن عبد الله الجزائري في شيخه وصديقه عبد الرحمن الثعالبي وهي من أقوى قصائد الرثاء في زمنها مطلعها:

لقد جزعت نفسي لفقد أحبتي *** وحق لها من مثل ذلك تجزع[1]

وفي الشكوى من الأحوال التي ألمت بمدينة الجزائر في القرن التاسع وان كان العيش فيها رغدا يقول الجزائري :

دع الجزائر لا تحلل بساحتها *** في ذا الزمان،و لا تنزل بواديها [2]

_الجانب التعليمي في شعر الرثاء :

فهو يعلم القيم الأخلاقية ويذكر بالآخرة، فنجد فيه حكما قيّمة تصب كلها في التسليم بالأقدار،و وجوب الإذعان والخضوع إلى حكم الله.لان الموت في الحقيقة حكم صادر من الله وليس بوسع الخلق أن يحدثوا نسخا أو يؤخروا أجلا فهو حكم عدل نافذ على البشرية جمعاء لا فرق في ذلك بين عظيم في ملكه، أو غني في قصره، وبين المعدوم الفقير في كوخه، والضعيف في مأواه، فظاهرة الموت آية عظيمة لا تدركها الأفئدة ولا نشرحها العقول، وكذلك يتعين الرضوخ للأمر إذ كل شيء بقدر وتدبير من المتصرف الوحيد في الكون، فالموت يصيب الغني والفقير والعزيز والحقير، القائد والمقود،كما أن الشاعر يحلينا إلى قوله

[1] إرشاد الحائر إلى أثار أدباء الجزائر ص339

[2] المرجع نفسه ص340

تعالى : " أينما تكونوا يدركم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة"[1] وإلى قوله تعالى : " كل من عليها فان، ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام"[2]

إن رثاء الفقهاء يتسم بالطابع العقلي، وبالخضوع لإرادة الله،مع احتساب الأجر عند الله ومع أن غرض الرثاء من الشعر الذاتي، إلا أن الشاعر صبغه بطابع المنطق والهدوء والسكينة من غير عويل.

وجاءت قصيدته مطبوعة بطابع إيقاعي متناسب مع طبيعة الغرض من ذلك... ورود حرف السين وحروف الهمس عموما (الفاء والحاء والثاء والهاء ...) لتلائم الآهات ولغة القلب الحزين وهكذا تردد حرف السين مرات بينما جاء حرف الصاد 3 مرات.

لكن الظاهرة اللافتة للاهتمام هو غلبة حروف القاف على الحروف الأخرى، فلو كان ذلك في خطاب حماسي لكان مقبولا، أمّا كونه في موضوع رثائي،فإن هذا من شأنه ان يضخم من القعقعة والعويل والصراخ والجلجلة، من حيث لا يتناسب مع الموضوع؟ ! ان فقد العلماء في المجتمع ليس أمرا هينا بلا شك، ولذلك شخّصه وضخّمه."فالرثاء عند الفقهاء إذن،ينبعث عن إيمان بشخصية المرثي ويصدر عن قناعة مطلقة بعظم الفاجعة التي لحقت الأمة من جراء فقده"[3].

_نمط المدائح والسّير والتاريخ :

المدائح والمولديات فن أصيل في الثقافة العربية الإسلامية عموما وفي الجزائر خصوصا خلال العصرين الزياني ثم العثماني، ذلك أن المولد النبوي يعد مناسبة رسمية احتفالية تشرف عليها الدولة، إذ تبلغ غايتها من الزينة والفرح والبهجة على عهد أبي حمو موسى الثاني، الذي كان يشرف عليها بنفسه ويقيم لها بقصره عرسا من الزينة والجمال.

_ والمدائح النبوية من فنون الشعر التي أذاعها التصوف، فهي لون من التعبير عن العواطف الدينية، وباب من الأدب الرفيع، لأنها لا تصدر إلا عن قلوب مفعمة بالصدق والإخلاص.[4]

---

[1] سورة النساء، الآية78

[2] سورة الرحمن، الآية26-27

[3] محمد مرتاض،شعر الفقهاء في المغرب العربي(في الخمسية الهجرية الثانية)،رسالة دكتوراه،جامعة تلمسان 1994ص102

[4] زكي مبارك، المدائح النبوية في الأدب العربي، منشورات المكتبة العصرية، بيروت بدون سنة طبع ص 17

وفي الغالب الأعم، يراد بالمدائح النبوية، التقرب إلى الله بنشر الدين والثناء على شمائل الرسول. وترجع عادة الاحتفال بالمولد النبوي إلى القرن الرابع الهجري، ويبدوا أن الفاطميين توسعوا في إحياء هذه العادة أكثر ممن سبقهم، وأضفوا عليها مظاهر الجلال والعظمة.[1] ثم اتخذت هذه الاحتفالات صورا شتى. ففي تلمسان على عهد ابي حمو الثاني في القرن الثامن الهجري، تطورت الاحتفالات بالمولد النبوي تطورا بلغ غايته. ولنترك يحي بن خلدون يصف لنا إحياء ليلة المولد النبوي بقوله: "ففي عام 760 هـ كان استقرار مولانا الخليفة أمير المسلمين أبي حمو بدار الملك لسلفه الكريم، بعد صلاة الظهر من يوم الخميس المبارك غرة شهر ربيع الأول... وأطلت ليلة الميلاد النبوي... فأقام لها بمشور* داره العلية مدعى كريما وعرسا حافلة، احتشدت لها الأمم، وحشر بها الأشراف والسوقة، فما شئت من نمارق مصفوفة وزرابي مبثوثة،ومشامع كأنها الاسطوانات والخليفة أيده الله صدر مجلسها ممتطئا سرير ملكه... فلا تبصر إلا جمالا، وتسمع إلا همسا، يطوف عليهم ولدان ... وبأيديهم مباخر ومرشات، يغيم الدخان عنبر تلك المفغم للأناف الجو، فتمطر هذه الحفل وابلا من ماء الورد... وينشد خلال ذلك أمداح سيد الرسل وخاتم النبيين محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم[2]

وكان المحتفلون يقضون الليل كله في ترديد الأوراد والأذكار الخاصة بمدح النبي ويقدم لهم في آخر الليل بما لذ وطاب من الفواكه والحلواء، ولا يزالون كذلك إلى أن يصلوا صلاة الصبح مع الخليفة الزياني. "وعلى هذا الأسلوب مرّت الموالد النبوية بعد هذا في مدته السعيدة، طالت أيامه وانتشرت في هضاب المعالي أعلامه"[3].

[1] عبد الملك مرتاض، حركة الشعر المولدي في تلمسان، مجلة الأصالة العدد 26 ،1975 ص 311

[2] يحي بن خلدون، بغية الرواد، ج2 دار الأمل للدراسات والنشر والتوزيع، الجزائر 2007 ص 100_104

[3] المصدر نفسه ص 123

البعد التعليمي في مدائح أبي حمو :

لم تمر أي مناسبة للمولد دون أن يؤلف الأمير أبو حمو قصيده في مدح النبي محمد ففي سنة 760 هـ، أنشد الأمير ميميته التي مطلعها:[1]

نام الأحباب ولم تنم*** عيني بمصارعة الندم

والدمع تحدّر كالدّيم ***جرح الخدين فوا ألم

وزجرت النفس فما ازدجرت*** ونهيت القلب قلم يرم

و نذير الشيب لقد وافى***وحلول الشيب من الهرم

وهو كما نلاحظ في محاسبة النفس وزجرها عن التفريط في جنب الله والحذر من الغرور والانسياق وراء الشهوات رغم تقدم السن ونذير الشيب.ثم يواصل قائلا:

والعمر تولى منصرما ***آه للعمر المنصرم

والدار تغرّ بساكنها *** ويح الغرور بها النهم

يا نفس خدعت بزخرفها***كم ذا تغتر بها وكم

يا ربّ ذنوبي قد عظمت***فامنن بالعفو لمجترم

إلى أن يقول:

إني بذنوبي معترف *** والخوف أشد من الألم

يا ربّ إذ لم تعصمني*** مالي بذنوبي من عصم

كم أجني الذنب وتمهلني*** وتقابل ذلك بالنعم

ولكم أعصيك وتسترني*** يا ذا الأفضال وذا الكرم

مازلت بفضلك ترحمني ***وتجود على من القدم

والعبد ببابك ملتزم *** وبغير جنابك لم يحم

والقصيدة في أكثر من 44 بيتا من بحر المتدارك وردت في بغية الرواد، وكأن الأمير يتخذ من مناسبة المولد وسيلة للتقرب بشعره إلى المولى عز وجل، فهي تعلم طريق العودة والأوبة إلى الله وذلك بالندم على ما فات والبكاء بالدموع على التفريط في حقوق الله جل وعز وهذا أول شروط التوبة النصوح كما نص عليها فقهاء الإسلام. ثم يشير الأمير إلى النفس

[1] يحى بن خلدون ، بغثة الرواد ص 104

* المشور : دار الملك ومركز الحكم بناه يغمراسن بن زيان، أول ملوك بني زيان

الأمارة بالسوء ويتحسر على ما فات من عمره، ويعزم على الطاعة وعدم العودة إلى المعاصي. فكأني بالقصيدة كذلك تعلمنا أدب الدعاء وذلك بالثناء على الله تمجيدا وتعظيما، والاعتراف بالذنب ثم طلب المغفرة. وأغلب المعاني وردت في السنة النبوية الشريفة. وما من شك أن حضور العامة والخاصة في الاستماع لإنشاد الأمير، له وقعه وأثره، فالناس على دين ملوكهم فتكون هذه المعاني قدوة للأتباع. وسياسة عامة يسترشد بها الناس جميعا. فهذه سلوكات الخلفاء المرتبطين بالدين. ثم يتوسل إلى الله بالنبي الكريم ليغفر الله له في قوله:

يا ربّ سألتك تغفر لي ***بشفيع الخلق من الأمم

ثم يبدي حسرته على عدم استطاعته الرحلة للحج أو العمرة لزيارة المسجد الحرام والمسجد النبوي بسبب انشغاله بشؤون السياسية وتدبير أمور الدولة وذلك في قوله:

جسمي بتلمسان دنف*** والقلب رهين الحرم

و لأني أمر الخلق فلم*** أسطع سيرا من أجلهم

فأقمت أصلح ما خرقت*** بالغرب يد الفتن الدهم [1]

ولكن سؤاله ورجاءه في الله وحده إذ يقول :

والعبد ببابك ملتزم*** و بغير جنابك لم يحم[2]

أرجوا في الحشر جوائزها***من خير وفي الذّمم

_ كما نجد شعراء آخرين استغلوا المناسبة لمدح الأمير أبي حمو موسى مثل محمد بن يوسف القيسي الأندلسي الذي يقول في نفس الحفل:

أبلغ عن المولى أبي حمو الرضى*** المعتلى في كل فضل شأنه

أزكى سلام للنبي محمد *** كالروض صافح روحه ريحانه

فهو الذي حبّ النبي وآله***مازال منطويا عليه جناته

كم قام معتنيا بمولد وكم ***سهرت به شوقا له أجفانه

يرجوا شفاعته وسوف ينالها*** وينااله من ربه رضوانه

وهكذا يستمر الشاعر في الثناء على الأمير إلى نهاية القصيدة واصفا إياه بالكرم والشجاعة والقوة في الدين والدنيا. فأصبحت مناسبة المولد، تستخدم مطية للإشادة والثناء على الأمير.

[1] يحى بن خلدون، بعثة الرواد ص 109

[2] المصدر نفسه ص 106

وجل المدائح ذات توجه واحد تتضمن الشعور بانقضاء مرحلة الشباب الندم والبكاء من ضياع السنين في اللهو، والمصارعة مع النفس والغرور بالدنيا وختامها طلب المغفرة والعفو من الله والتوسل بالنبي من أجل ذلك يقول محمد بن أبي جمعة التلاليسي:[1]

فهل أنا أبكي لفقد الشباب*** وعصر التصابي بكاء التواكل

وليس البكاء على فقده*** ولكن لتضييع عمري باطل

مضى ضائعا في عسى ولعل*** وحتى وسوف اعتذار المماطل

أطاوع نفسي في غيّها***و أمسي عن الرشد لاه وغافل

إلى أن يقول :

شكوت إليك إلهي عسى***تمن وتسمح بالتوب عاجل

وتصفح عن زلتي إنني***أتيت ذليلا بابك سائل

فمالي سواك وأنت الإله***الذي لا تخيب لديه الوسائل

توسلت بالهاشمي الذي***بعثت رسولا فأدي الرسائل

نبي الهدى خاتم الأنبياء***شفيع العصاة وزين المحافل

ثم يختم هذه القصيدة بالإشادة بأبي حمو موسى الثاني وخصاله وإبراز انتصاراته.

والقصيدة من بحر المتقارب في 44بيتا أوردها يحي بن خلدون كاملة في بغية الرواد ويبدوا أن نفسية التلالسي مناسبة لتفعيلات بحر المتقارب الذي يناسب جوّ الحماسة والصدق والإخلاص.

فلشعر المدائح عموما أثر في تعليم الأدب والتاريخ والأخلاق الكريمة، كما يتلقي القراء طوائف من الألفاظ والتعابير تضاف إلى لغة التخاطب، كما عرف الناس أبوابا من السيرة النبوية ودروسا في كرم الشمائل والخلال الكريمة.

_ وأهم المضامين التي نجدها مبثوثة في كل المولديات الزيانية، ذكرها القرآن الكريم، وقصة الإسراء والمعراج، وحادثة انشقاق القمر،و فوران الماء بين أصابع النبي صلى الله عليه وسلم، ونطق الحيوان والنبات ومنه الضب والغزالة والذئب وأنين الجذع وحنينه،و تسبيح الحصى وكل هذه المعجزات وردت في كتب السيرة النبوية. ويتردد الحديث عن شفاعة النبي التي يرجوها كل شاعر،في كل المولديات.و بمناسبة المولد يعرج الشعراء نحو مدح

[1] يحي بن خلدون، بغية الرواد ج 2 ص 118_119

السلاطين والأمراء بالتقوى ونصرة الدين والشجاعة والجهاد ووصف الجيش وحسن سياسة الرعية والتهنئة بالإنجازات[1]

والجديد في مدائح المتأخرين خصوصا شعراء البلاط الزياني هو تخصيص جزء من المولدية لمدح أبي حمو موسى، وبذلك أصبحت هذه المناسبة فرصة لتعظيم السلطان وولي عهده وكأنها تجديد للولاء والبيعة في كل عام[2]

منهج المولديات:

تميزت المولديات في عمومها ب :

1_ المقدمة الغزلية (النسيب) وما يوحى بحبه للنبي

2_ ذكر بعض المعجزات عند ميلاده

3_ ذكر شهر ربيع الأول (ليلة الميلاد يوم الإثنين)

4_ ذكر ليلة الإسراء والمعراج

5_ شفاعته للخلق يوم الحساب

6_وصف ركب الحجيج

7_التلهف إلى زيارة قبر الرسول الشفيع في الأمة

8_مدح أولى الأمر والآباء والأجداد على أفعالهم في نصر الدين

9_ ذكر نذير الشيب

10_الندم على الغرور بالدنيا

11_ التوسل بالنبي لغفران الذنوب

12_وصف ركب الحجيج والتلهف إلى زيارة الروضة والقبر.

والمولديات تغرس وتعلم حب لنبي صلى الله عليه وسلم، فهي تعرف به وبصفاته وأفعاله ومعجزاته يقول محمد البطيوي في سنة 763هـ بمناسبة ذكرى المولد النبوي:[3]

لك يا ربيع قدوم أشرف مولد*** تزهو مطالعه بسعد الأسعد

[1] ينظر الطاهر توات،شخصيات تلمسانية اندلسية، دار الهدى، عين ميلة، الجزائر ط 2011 ص 74

[2] ينظر ،صابرة خطيف،فقهاء تلمسان والسلطة الزيانية،جسور للنشر والتوزيع 2011ص 244

[3] بوزياني الدراجي،أدباء وشعراء من تلمسان،ج 4 ص 35

لك يا ربيع على الشهور مزية*** عرفت بميلاد الرسول محمد
يا شهر جئت لنا بأكرم مرسل *** للعالمين هدى وأفضل مرشد

ثم يشير بعد هذا المطلع إلى بعض معجزات النبي صلى الله عليه وسلم بقوله:

قصور قيصر هدمت من ساسها***من بعد تأسيس وحسن تشيّد
وارتج إيوان لكسرى عندما***ظهرت براهين ليوم الولد
كم آية ظهرت له ودلائل *** جاءت بصدق هداية للمهتدي
منها انشقاق البدر والجذع الذي***أبدى لفرقته حنين توجد
وسلام أشجار إليه قد أقبلت***و كلام أحجار بغير تردد
والذئب أفصح ناطقا بسلامه*** أدى الشهادة حين قال له اشهد
وشكا البعير له بضر مشقة *** من معتدي فأزال ضر المعتد
وغزالة نادت محمد إن لي ***خشفا أرضعه وخفت تصيد
فأجازها من صائد قد صادها***وأنالها بالأمن أسنى المقصد
وله ذراع الشاة أخبر بالذي*** قد أودعته عداه من سم رد
وبكفه لله سبحت الحصى*** بتواضع كالعابد المتهجد
والضرع در له ومن بركاته*** جاءت أنامله بأغرب مورد
و أزال عن عيني علي تفله***رمدا فلم يشكو بجفن أرمد

وهذه المعجزات التي أوردها الشاعر وردت كلها في كتب السير والمغازي

و في سنة 771 هـ وبمناسبة الاحتفال بالمولد النبوي كتب محمد بن يوسف الثغري نونيته الشهيرة ومطلعها:[1]

أقصر فإن نذير الشيب وافاني***وأنكرتني الغواني بعد عرفان
وقد تماديت في غيّ بلا رشد***والنفس تأمرني والشيب ينهاني
فقلت للنفس إذ طالت بطالتها*** مهلا ألم يأن أن تخشي ألم يأن
كم من خطى في الخطايا قد خطوت ولم***تراقب الله في سر وإعلان
فلا تغرنك الدنيا بزخرفها***فيا ندامة من يغتر بالفانـــــــــــــــي
واسلك سبيلا إلى التقوى لتقوى بها*** على السلوك إلى جنات رضوان

[1] التنسي، نظم الدر والعقيان في شرف بني زيان،ص168.وينظر، بوزياني الدراجي أدباء وشعراء من تلمسان ص230

وهي قصيدة طويلة من أروع ما كتب محمد بن يوسف الثغري كونها تمتاز بمضمون جيد ولغة جميلة مؤثرة وجدانية سلسة .

و لمحمد بن مرزوق الخطيب مولدية طويلة بلغت 114 بيتا قال عنها بن الخطيب أنها من محاسنه قالها بين يدي أبي عنان زعيم المرينيين آنذاك في ليلة الميلاد المعظم من عام 763 هـ وهي من مجزوء الرجز مطلعها:[1]

أيا نسيم السّحر*** بالله بلغ خبري

إن أنت يوما بالحمى*** جررت فضل المئزر

وتستمر القصيدة في بث صور مناسك الحج منسكا بعد آخر تدل على معرفة تامة بأركان الحج وواجباته وسننه.

و أما المنظومات التي تؤرخ للأحداث فنجد منظومة لسان الدين بن الخطيب المسماة (رقم الحلل في نظم الدول) والتي تشتمل على ذكر الخلفاء والأمراء بدءا بذكر دولة النبي عليه الصلاة والسلام وما كان في أيامه من الحوادث ومطلعها:[2]

الحمد لله الذي لا ينكره***من سرحت في الكائنات فكره

ذي الفضل والقدرة والجلال***مخترع الخلق بلا مثال

الملك الحق بلا نهاية***ومن له في كل شيء آية

من رفع السماء من غير عمد *** دون معين أو ظهير أو ولد

و تستمر المنظومة في الثناء على الله وشرح صفاته وأفعاله ثم يصلى على النبي محمد صلى الله عليه وسلم ويبين صفاته وأعماله ثم يتحدث عن الخلفاء الراشدين ودولتهم ليستنتج قائلا:

و بعد فالتاريخ والأخبار *** فيه للنفس العاقل اعتبار

و فيه للمستبصر استبصار*** كيف أتي القوم وكيف صاروا

ثم يتحدث عن جميع الدول التي أعقبت دولة الخلافة كالأمويين والعباسيين ثم ملوك الترك ثم الأندلس ثم بني الأغلب ثم الشيعة ثم الدولة الموحدية ليتحدث بعد ذلك عن المرينيين والحفصيين والزيانيين فيذكر دولة بني زيان بتلمسان بقوله: [1]

[1] ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، دار الكتب العلمية بيروت، ج 3 ط 1 2003 ص 80

[2] ابن الخطيب، رقم الحلل في نظم الدول، دار الأمل للدراسات والنشر، الجزائر 2009 ص 11

أول أملاكهم يغمور *** ليث الشرى والبطل المشهور
لاقى الجموع من بني مرين*** كالليث يحمي جانب العرين
حتى إذا أودى به الزمان*** قام ابنه من بعده عثمان
ومات أثناء الحصار الأول*** ثم أبو زيان من بعد ولى
حتى إذ استوفى زمان سعده***قام أبو حمو بها من بعده
وهو الذي سطا عليه ولده*** حتى انتهى على يديه أمده

ثم يستمر في وصف الأحداث التي حلت بالزيانيين من حصار وحروب وانقلابات إلى أن يصل إلى القرن الثامن وخلافة أبي حمو موسى الزياني الذي أقام الدولة الزيانية من جديد بقوله:

حتى إذا ما فارس زار الثرى*** واضطرب الملك لما بعد جرى
بادرها الندب الهمام موسى***فأذهب الرحمن عنها البؤسا

وتتميز هذه المنظومة التاريخية باختصار شديد للأحداث التاريخية وقد كتبها بلغة فصيحة سهلة التناول بأساليب خبرية تفيد تقرير الحوادث.

والجدير بالذكر أن عشرات من القصائد والمنظومات قيلت في العصر الزياني بمناسبة الموالد النبوية ابتداء من سنة 760 هـ ومن أشهر الناظمين في هذا النمط:

_ ابن الخلوف القسنطيني ت 899هـ الذي أنتج ديوانا كله في المدايح والذي حققه الأستاذ العربي دحو والمسمى(جني الجنتين في مدح خير الفرقتين) الذي يتضمن عشرات القصائد الطويلة بلغة أدبية رصينة قوية ومعبرة وهو شاعر متمكن من ناصية اللغة إذ كتب عشرات من القصائد في المديح النبوي دن تكرار للجمل أو الألفاظ أو الصور بأسلوب متميز يعبر عن عواطف سامية جياشة تجاه الرسول صلى الله عليه وسلم في يقين إيماني عجيب يهدف إلى نصرة الدين والإسلام، وله قدرات خارقة في اشتقاق المعاني حتى أطلق على هذا الديوان تسمية أخرى وهي ديوان الإسلام .

كما كتب في المدائح يحي بن خلدون ومحمد ن مرزوق العجيسي المعروف بالحفيد، ومحمد بن محمد بن أبي القاسم المشدالي، ومحمد بن عبد الرحمن الحوضي، وحسن بن إبراهيم بن سبع وغيرهم كثير.

[1] المصدر السابق، ص 193_194

_ نمط القراءات والرسم:

القراءات: علم بكيفية أداء كلمات القرآن وهو علم يتعلق بطريقة النطق بألفاظ القرآن الكريم مع تعدد الطرق واختلاف الوجوه في الأداء المنقول حصرا عن النبي صلى الله عليه وسلم.[1] ومن العلماء الجزائريين الذين كتبوا منظومات في علم القراءات نجد منهم محمد بن أحمد المصمودي ت 897هـ الذي كتب أرجوزة سماها (المنحة المحكية للمبتدئ القراءة المكية) تناول فيها أوجه الخلاف بين قراءة عبد الله المكي وقراءة الإمام نافع وقد ابتدأها بسورة البقرة وانتهى بسورة الناس وهو رجز يمتاز باليسر والسهولة في عمومه ومنه هذه الأبيات:[2]

يقول عبد العظيم الجودي***محمد بن أحمد المصمودي

وبعد فالقصد بذا النظام*** تقريب فهم مقرأ الإمام

الفاضل السني عبد الله*** نجل كثير ذي الثنا والجاه

نزيل مكة التي قد شرفت*** بالبيت ذي الأمن العميم واكتفت

و ذاك فيما خالف الإماما *** المرتضي نافعا على ما

و في هذا العلم كتب أبو عبد الله محمد بن محمد بن أبي جمعة شقرون الوهراني المغراوي المولود سنة 879هـ، منظومة تقريب المنافع في الطرق العشر لنافع وهي منظومة في القراءات من ثلاثمائة بيت ذكر أنه ألفها في سن العشرين عام 899هـ مطلعها:

بدأت بحمد الله معتصما به*** نظاما بديعيا مكملا ومسهلا

و ثنيت بعد الصلاة على الرضى*** محمدنا والآلي والصحب والملا

وبعد فلما كان مقرأ نافع *** أجل مقارئ القرآن وأفضل

لما قيل فيه أنه سنة بدار***هجرة خير المرسلين وكيف لا

و قد أخذ الثبت المقدم مالكا*** به لا سواه من قارئها العلا

أتيت بنظم في رواتب التي*** بعشر سمت مما يكون محصلا

رواية ورش ثم قالون مثله*** و الأنصار إسماعيل واسحاقهم ولا

فالاثنان منهم والأولان ثلاثة*** لكل وباقيهم له اثنان فاعقلا

[1] محمد الزحيلي، تعريف عام بالعلوم الشرعية ص 27

[2] سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1ط 2007، ص 120_121

فورش روى عنه قل الأزرق الرضا***و عبد الصمد الأصبهاني تنقل[1]

وعارض ابن مرزوق الحفيد تـ 842 هـ منظومة الشاطبية المسماة (حرز الأمان ووجه التماني) لأبي القاسم الرعيني الشاطبي تـ 590هـ بمنظومة في محاذاتها.[2]

كما شرح محمد الحافظ التنسي تـ 899هـ متنا (مورد الظمآن في رسم أحرف القرآن) لمحمد بن أحمد الأموي الشريشي الشهير بالخراز تـ 718هـ، وركز على القسم الخاص بالضبط سماه (الطراز في شرح الخراز)[3] واشتهر في المغرب كذلك ابن بري تـ866هـ من خلال متنه المشهور(الدرر اللوامع في أصل مقرأ الإمام نافع). والكتابة في هذا النمط قليلة عند الجزائرين.

_نمط علم الحديث :

علم الحديث لغة هو إدراك الحديث أو معرفة أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفي الاصطلاح هو الإدراك والمعرفة بالقواعد والضوابط التي يعرف بها أحوال السند والمتن، ويهدف هذا العلم إلى حفظ أحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام وصونها عن الخلل ي النقل أو الخلط في الرواة والسند[4] وبحث العلماء في علوم الحديث ومصطلحه، كما اعتنوا به تدريسا وتأليفا ورواية وإجازة وهذا يعود إلى صلة علم الحديث بالدين والتصوف.[5]

وكان العمل بالكتب الستة يدرسونها ويسندونها ويحفظونها، وكانت عنايتهم بصحيح البخاري قد فاقت كل عناية فقد كان يدرس في الجوامع الكبيرة ومن أبرز العلماء الذين كانوا يدرسون الحديث نذكر : محمد التنسي وابن مرزوق الحفيد والكفيف ومحمد بن يوسف السنوسي وعبد الرحمن الثعالبي ومحمد بن عبد الكريم المغيلي وأحمد الونشريسي. ومن أهم المؤلفات في ميدان الشعر التعليمي الخاص علم الحديث نجد منظومة روضة الإعلام لابن مرزوق الحفيد

[1] ينظر الموقع الإلكتروني:/w.w.w.qora.com/v.pq

[2] ابن مريم البستان، ص 211

[3] المصدر نفسه، ص 248

[4] الزحيلي، تعريف عام بالعلوم الشرعية، ص 76_77

[5] سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المؤسسة الوطنية للكتاب بالجزائر، ج 2 ط 2 1985

التي جمع فيها بين ألفية العراقي وألفية ابن ليون، وقد سار في هذا النظم على طريقة العراقي التي يذكر أنه قرأها، كما قدم عملا آخر ملخصا عن الروضة وهو منظومة الحديقة [1]

و جاء في مطلع منظومة الروضة للحفيد قوله:

الحمد لله على عظمى النعم***هدي محمد هدي أعم

بين للناس الذي قد أنزلا *** من الكتاب بطريقة العلا

فليس من سواهما سبيل***إلى الهدى قد قاله الرسول

هما اللذان لا يضل من تبع*** أمرهما ولا يزيغ فاستمع

إلى أن يقول:

وبعد فالعبد الحقير المرموق*** لربه محمد بن مرزوق

يقول مما قد قضى الله القدير*** وما به من إنعام خطير

أني قرأت مع سادات على***في الفن من علم الحديث ذي الحلى

نظام شيخ العراقي الزيني***ثم نظام ابن ليون الليني

فذاك ما جرأني على نظام***يكون رابعة قواعد التمام

بزين زين الدين قد تزين***و اللين من ابن ليون أتقن

وما يدل على اهتمام الجزائريين بعلم الحديث، ما يرويه المقري عن الثعالبي: (وقال تلميذه الولي عبد الرحمن الثعالبي: " قدم علينا بتونس شيخنا أبو عبد الله بن مرزوق فأقام بها فأخذت عنه كثيرا وسمعت عليه جميع الموطأ وختمت عليه أربعينيات النووي، قرأتها عليه في منزله قراءة تفهم فكان كلما قرأت عليه حديثا يعلوه خشوع وخضوع، ثم يأخذ في البكاء فلم أزل أقرأ وهو يبكي إلى أن ختمت الكتاب")[2] وأما النظم الثاني الهام في علم الحديث ومصطلحه، فهو نظم ابن زكري التلمساني تـ 900هـ والمسمى (معلم الطلاب بما للأحاديث من الألقاب) ويقع في 170بيتا من بحري الرجز والسريع يعرفنا به بقوله:[3]

يقول بعد الحمد ثم الشكر *** عبد الإله أحمد بن زكري

[1] ينظر، المقري، نفح الطيب، دار الفكر بيروت، 1968ج5 ص 429، وينظر كذلك، زين الدين العراقي، التبصرة والتذكرة في علوم الحديث، تـ العربي الدائز مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع الرياض 1428هـ، ج 2 ص 26

[2] ينظر، نفح الطيب، ج 5 ص 425

[3] ابن زكري التلمساني، معلم الطلاب ما للحديث من الألقاب، تحقيق تـ محند أو إيدير مشنان، دار كردادة للنشر والتوزيع، بوسعادة الجزائر 2011 ص 13_14

ثم صلاة الله والسلام*** على الرسول سيد الأنام
و آله وصحبه الكرام*** الناقلين طرق الأحكام
أردت نظم لقب الحديث*** بشرحه للكهل والحديث
في رجز مختصر بديع*** أو ما يوازيه من السريع
سميته بمعلم الطلاب***بما للأحاديث للألقاب

و تستمر هذه المقدمة في 15 بيتا فصل فيها القول في سبب التأليف وهدفه ثم يبدأ في التعريف بعلم الحديث قائلا:

وما به يعرف حال السند *** والمتن، قل علم الحديث تهتد
ثم الحديث بعد ذا ينوع***لخبر وأثر يجمع

ثم يشرع في تقسيم الحديث إلى صحيح وحسن ثم ضعيف بقوله:

حديث منه صحيح وحسن*** ثم ضعيف بذا اقترن
و بعضهم ذكر قسما رابعا*** وهو الغريب فاجعلنه تابعا

وبعد أن يفصل القول في أقسام الحديث، يتعرض لتعريفات ألقاب الحديث ومصطلحاته وما يتعلق بها مما يناسب النظم ومقصوده وانتهى به المطاف إلى خاتمة ذكر فيها تاريخ إتمام المنظومة وعدد أبياتها وختم كما بدأ بحمد الله والصلاة على النبي وذلك بقوله:

قد تم نظم وبنهج مختصر*** في رجز وبسريع يعتبر
في سادس الأعوام والتسعينا***بعد ثمانمائة سنينا
أبياته عددها قد اكتمل ***بنقط قاف وبعين فاعتدل
فالحمد لله على إكماله *** من جوده ذاك ومن افظاله
ثم الصلاة والسلام دائما***على الذين شرع شرعا قائما
محمد وآله وصحبه*** و التابعين المؤمنين حزبه

مقررات الدرس الحديثي:

ذكر القلصادي والوادي آشي المقررات الحديثية والمتمثلة في: الموطأ، والصحيحين والسنن الأربعة، والترغيب والترهيب للمنذري، والعمدة للمقدسي، والشفا للقاضي عياض، ومؤلفات ابن مرزوق في الحديث. فالموطأ تلقاه ابن مرزوق الكفيف تـ901 هـ عن ابن مرزوق الحفيد تـ 842 هـ وعن ابن الإمام تـ 845 هـ ولما دخل الوادي آشي تلمسان أخذه عن ابن

مرزوق الكفيف، وتلقى بعضه عن أحمد ابن زكري التلمساني ت 900هـ في مسجده قرب بيته[1].

وأما صحيح البخاري فقد قرأه الحفيد ابن مرزوق الحفيد عن محمد بن مرزوق الجد ت781 هـ وتلقاه ابن مرزوق الكفيف عن ابن مرزوق الحفيد وعن ابن الإمام وعن قاسم بن سعيد العقباني ت 845هـ وأجازه فيه. وهذا يدل على اهتمام علماء تلمسان بالدرس الحديث من خلال مشاركة كثير من أعضاء الهيئة العلمية في دروس الحديث خصوصا عائلة المرازقة[2].

بـ_نمط العلوم العقلية:

_ نمط العلوم اللغوية: (النحو واللغة والبلاغة والعروض)

لم يؤلف الجزائريون كثيرا في علوم اللغة، إلا أنهم اهتموا بالنحو وتركوا بعض الآثار الهامة لهذا النمط اللغوي، وينبغي هنا أن نشير إلى جهود يحي ابن معطي الزواوي ت 628هـ[3] الذي وضع ألفية في النحو سبقت الإشارة إليها في رسالتي للماجستير التي بلغ عدد أبياتها 1021 بيتا شهدت للناظم بالمقدرة اللغوية إذ ليس من السهولة نظم ألف بيت شعري في علم النحو ومطلعها:

يقول راجي ربه الغفور***يحي بن معط بن عبد النور

الحمد لله الذي هدانا***بأحمد دينا له ارتضانا

ويلاحظ الدارس ضعف الإنتاج اللغوي، كالدراسات النحوية والقاموسية، وإن وجدت فهي تعاليق سطحية في النحو والصرف[4] ومن الذين اهتموا بالدراسات النحوية والبلاغية في القرن التاسع الهجري أبو جميل زيان إبراهيم بن فائد الزواوي ت 857هـ ومن نظمه أرجوزة نحوية بلغت 105 أبيات قصد بها كما قال إفادة الناشئة، وله شرح على ألفية ابن مالك، وقد اهتم بالنحو كذلك ابن قنفذ القسنطيني والمشدالي والمغيلي واحمد بن احمد البجائي الذي له شرح على الأجرومية[5] وعرف عن علماء الجزائر حفظ متون النحو وبعض الشروح، فابن مريم يخبر عن محمد الحاج المناوي ت 955هـ أنه كان يقول: "ألفية ابن مالك عندنا كخبر

[1] ثبت الوادي آشي ص 253_306_305

[2] محند أوإيدير مشنان، الدرس الحديثي في تلمسان الزيانية، مجلة الوعي العدد المزدوج 3_4 2011ص 44

[3] ينظر، الجيلالي، تاريخ الجزائر العام ج 2 ص 136

[4] ينظر، سعد الله، تاريخ لجزائر الثقافي، ج 2 ص 157

[5] سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1 ص 88_89

الجلوس" أي أنها محفوظة معروفة يتحدثون بها في المجالس. كما تميز القرن الثامن الهجري بضعف الإنتاج اللغوي وتراكم المنظومات والشروح، وهي ظاهرة ثقافية استمرت لمدة قرون حتى ظهور التعليم الحديث إذ اتسم الوضع الثقافي بـ :

_ انتشار ألفية ابن مالك وشروحها في النحو مثل شرح ابن عقيل المصري، وشرح المكودي الفاسي.

_ انتشار متن الأجرومية وشروحه، وانتشار المغني في النحو لابن هشام.

_ إشاعة النحو المبسط الموجز والمختصرات.

_أغلب الإنتاج النحوي كان شروحا أو تقاييد لمتون.

و أما علوم البلاغة والعروض فنجد أحمد ابن أبي القاسم الخلوف تـ 899هـ الذي كتب (مواهب البديع في علم البديع). كما وضع محمد بن عبد الرحمن القسنطيني ت 739هـ نظما في المعاني والبيان مع شرحٍ له[1] ولا يفوتني هنا أن أشير إلى أقدم منظومة بلاغية في الأدب العربي وهي منظومة البديع في علم البديع ليحي بن معطي تـ 628هـ وقد تخصصت هذه المنظومة في علم البلاغة وتتألف من 297 بيتا شعريا، و قد تضمنت 48 فنا من فنون البلاغة مطلعها:

يقول ابن معطي:قلت لا متعاطيا*** مقالة من يرجوا الرضا والمغانيا
بدأت بحمد لله نظمي مسلما*** على أحمد الهادي، إلى الله داعيا
و بعد، فإني ذاكر لمن ارتضى*** بنظمي العروض المجتلى والقوافيا

_ وأهم إنتاج جزائري في علم البلاغة هو نظم العلامة عبد الرحمن الأخضري في القرن العاشر الهجري المسمى(الجوهر المكنون في الثلاثة فنون) في علم البيان والمعاني والبديع الذي شرحه المؤلف وهو أرجوزه في 291 بيتا لخص فيها كتاب التلخيص في علوم البلاغة لجلال الدين بن عبد الرحمن القزويني تـ 739هـ يقول الأخضري في أرجوزته[2] والتي مطلعها :

الحمد لله البديع الهادي*** إلى بيان مهيع الرشاد
أمد أرباب النهى ورسما***شمس البيان في صدور العلما
فأبصروا معجزة القرآن***واضحة بساطع البرهان

[1] الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج1 ص 95

[2] بوزياني الدراجي، عبد الرحمن الأخضري، ص239 _241

إلى أن يقول :

وقد دعا بعض من الطلاب*** لرجز يهدي إلى الصواب

فجئته برجز مفيد***مهذب منقح سديد

ملتقطا من درر التلخيص***جواهرا بديعة التلخيص

سلطت ما أبدى من الترتيب ** وما ألوت الجهد في التهذيب

سميته بالجوهر المكنون*** في صدف الثلاثة الفنون

والله أرجو ان يكون نافعا*** لكل من يقرأه ورافعا

فقد انتهج الاخضري نهج القزويني في الترتيب للأبواب وقام بنظم المحتويات بمهارة. وقد وجدت منظومة الاخضري عناية كبيرة من قبل العلماء والطلاب على حد سواء، فحفظها الطلاب وشرحها العلماء. ومن مؤلفات العروض كتاب تحرير الميزان لتصحيح الأوزان لأحمد بن أبي القاسم الخلوف[1] والمفاتيح المرزوقية في العروض لابن مرزوق الحفيد.

نمط الرياضيات والحساب:

الحساب هو مدخل العلوم الرياضية كان ضروريا لبعض الفئات الاجتماعية كالتجار والصيارفة وعلم الفرائض(قسمة التركات) والشؤون المالية والزكوات... ولما كان ربط العلم بالدين أساسيا في الاختيارات الثقافية لدى الطلاب وأسرهم، فإن المؤلفات الأولى التي دونت ولها صلة بالمجال الرياضي هي كتب الفرائض. فالرياضيات تصبح في خدمة الدين والدنيا معا. مادامت قسمة الفروض شأن ديني ودنيوي[2] وبدأ عدد المهتمين بالرياضيات والحساب يزداد منذ القرن السابع الهجري بدول المغارب ليبلغ أوجه خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين. وإن أغزر علماء الرياضيات إنتاجا هو ابن البناء الأزدي ت721هـ يليه العالم الصوفي الجزائري ابن قنفذ القسنطيني تـ 810هـ، ومن شيوخ القرن الثامن الهجري الشريف التلمساني وابن النجار والآبلي وكلاهما من تلاميذ ابن البناء والعالم منصور بن علي، على أن أهم الدراسات الرياضية بالشمال الإفريقي ارتكزت منذ القرن السابع الهجري على أعمال ابن الياسمين وابن البناء واقليدس في الهندسة[3] وكان ابن خلدون من أقدر علماء

[1] الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج1 ص 215

[2] إبراهيم حركات، مدخل إلى تاريخ العلوم، ص 429

[3] ينظر، ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة ج 3 ص 328، وابن مريم البستان ص 115

الرياضيات، فضلا عن مشاركته الواسعة في الشرعيات وغيرها . وكانت تلمسان من أهم مراكز الرياضيات خلال القرن التاسع الهجري. وهناك فريقان أساسيان من طلاب المعارف الرياضية، أحدهما فريق الفقهاء الفرضيين، والآخر طلاب الرياضيات العام من جبر وحساب وهندسة، واشتهرت المدرسة اليعقوبية بتلمسان كإحدى المؤسسات التي يمكن لطلابها التخصص في الرياضيات كما أن بها شيوخا للشرعيات[1] ومن بين علماء الرياضيات في هذه المرحلة كذلك محمد بن قاسم بن توزت التلمساني وهو من شيوخ الإمام السنوسي الذي نوه به حسب رواية أحمد بابا في نيل الابتهاج. وهناك عالمان جزائريان نالا شهرة وهما محمد بن أحمد الحباك وهو من شراح تلخيص ابن البناء، وأبو الفضل محمد بن محمد المشدالي البجائي الذي تعمق في الرياضيات، فضلا عن غيرها من العلوم، وممن صنفوا في الحساب والفرائض، سليمان بن إبراهيم الحسناوي البجائي ومحمد بن محمد السعيد الصنهاجي الذي أنجز تذكرة الألباب في الجمع بين العدد والفرائض والحساب في القرن التاسع الهجري كما ألف ابن قنفذ القسنطيني بغية الفارض في الحساب والفرائض، وأنجز عيسى المنقلاتي الزواوي في القرن الثامن الهجري كتابا في علم المساحة. ونظم ابن مرزوق الحفيد أرجوزة تعليمية لخص فيها كتاب أعمال الحساب لابن البناء المراكشي كما شرحه القلصادي والسعيد العقباني وابن قنفذ. كما اهتم علماء تلمسان بأرجوزة ابن الياسمين في الجبر والمقابلة. ومن المعروف تاريخيا أن العلماء لعرب الأوائل اهتموا بالرياضيات وكان منهم من جمع بين الرياضيات والأدب ككتاب الجبر للخوارزمي كم نلاحظ تعانق الأدب والرياضيات في كتب البيروني[2] ومن أرجوزة ابن الياسمين في الحساب والجبر الأبيات التالية:[3]

على ثلاثة يدور الجبر*** المال والأعداد ثم الجذر

فالمال كل عدد مربع*** وجذره واحد تلك الأضلع

و العدد المطلق ما لم ينسب ***للمال أول للجذر فافهم تصب

[1] ينظر، القلصادي، الرحلة، ص 98، وابن مريم البستان ص 43

[2] ينظر، مجلة العربي العدد288_مايو 182 ص 164

[3] المرجع نفسه ص 165

وكتب العلامة الجزائري الأخضري منظومة في علم الحساب تحدث فيها عن الأعداد وعمليات الجمع والطرح والضرب والقسمة وأعمال الكسور وغيرها من مسائل الحسابية ومنها قوله عن الأعداد:[1]

حروفه معلومة مشهورة***من واحد لتسعة مذكورة
وجعلوا صفرا علامة الخلا*** وهو مدور كحلقة جلا
وأربع مراتب الأعداد*** أولها مرتبتا لآحاد
والعشرات بعدها الميئونا*** من بعدها الآلاف يذكرونا

وعن عملية الجمع يقول:

والجمع:ضم عدد لعدد***لكي تعده لفظ مفرد
فتجمع الآحاد للأحادي*** و هكذا الباقي على التمادي
ضف كل رتبة إلى الموضوع*** من تحتها ونظر إلى المجموع

وأما عن عملية الطرح فيقول :

الطرح: إسقاط قليل من كثير***و هو على ستة أقسام يصير
فإن طرحت القدر من كثير*** فالطرح فيه واضح التقدير

وأما عملية الضرب فيقول:

اعلم بأن الضرب تضعيف العدد*** بقدر ما في آخر من العدد
فجعلهما سطرين كل مرتبه*** مقرونة بأختها مرتّبه

وتمضي هكذا المنظومة بلغة سهلة مفهومة لطلبة العلم وتيسر التعليم.

النمط الفلكي:

للفلك في تاريخ العلوم في الإسلام مكانة متميزة وإضافات جيدة لأسباب دينية تخص معرفة الأوقات واتجاه القبلة. فقد ألف ابن مرزوق الحفيد أرجوزة المقنع الشافي التعليمية التي بلغت ألف وسبعمئة بيت كما ألف محمد بن أحمد المعروف بالحباك أرجوزة أخرى سماها بغية الطلاب في علم الإسطرلاب وهي منظومة تعليمية موجهة إلى طلاب العلم وفيها دلالة واضحة على احتفاء الشعر الجزائري القديم بالفلك والفلكي ممثلا في وصف الإسطرلاب وهي

[1] بوزياني الدراجي،عبد الرحمن الأخضري،ص 187_188، وسعد الله تاريخ الجزائر الثقافي ج 1 ص 115

مقسمة إلى عناوين وهي : أجزاء الإسطرلاب ورسومه، ومطالع البروج ومعرفة أصابع الظل وأقدامه والأوقات الخمس من النهار والليل والجهات الأربع ومعرفة الماضي من النهار.

والحباك هو شيخ الحسابيين والفلكيين الجزائريين والمهم في عمله هو مشاركته في العلوم العقلية في زمن اهتم الناس بغيره، وقام السنوسي تلميذ الحباك بشرح المنظومة حيث ربط بين عمل الإسطرلاب والقيام بالواجبات الدينية كالصلاة.[1] فقد اهتم بها الدارسون واعتمدوا عليها وعلقوا عليها بدأها الحباك بقوله:

بحمدك اللهم نظمي أبتدي*** مصليا على الرسول أحمد

و أرتجي أن تجزلن ثوابي***على نظام بغية الطلاب

وعلم الإسطرلاب هو علم يبحث عن كيفية استعمال آلة الإسطرلاب للتعرف على كثير من الأمور النجومية بأسهل طريق، كارتفاع الشمس ومعرفة الطالع وجهة القبلة .... ومن المؤلفات المهمة في هذا النمط ما كتبه أبو العباس أحمد بن الحسن المعروف بابن قنفذ القسنطيني ت 810 هـ تيسير المطالب في تعديل الكواكب وقد وصفه ابن مريم بأنه(لم يهتد احد من المتقدمين إلى مثله)[2]

وكتب(سراج الثقات في علم الأوقات) وكتب كذلك (القنفذية في إبطال الدلالة الفلكية) كما شرح المؤلف نفسه منظومة ابن أبي الرجال في الفلك.[3]

وعلم النجوم أو الفلك أو التنجيم هي مصطلحات متقاربة أحيانا وقد فسر حاجي خليفة في كشف الظنون علم النجوم بأنه علم يعرف به الاستدلال إلى حوادث الكون بالتشكلات الفلكية، هي أوضاع الأفلاك والكواكب، كالمقاربة والمقابلة والتثليث والتسديس والتربيع وهو ثلاثة أقسام: حسابيات وطبيعيات ووهميات، فالحسابيات يقينية لا منع في علمها شرعا، والطبيعيات مثل انتقال الشمس في البروج الفلكية إلى الفصول كالحر والبرد والاعتدال، فغير مردودة شرعا كذلك، وأما الوهميات كتأثير الكواكب على الحوادث من خير أو شر فمردودة

[1] ينظر، سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي، ط1 1998 ج 1 ص 116

[2] ابن مريم البستان، ص 309

[3] إبراهيم حركات، مدخل إلى تاريخ العلوم، ج1 ص 434 _435

شرعا.[1] على أن الجانب الغيبي شغل الكثير من الفلكيين والمنجمين، ما شغل فئات اجتماعية واسعة ومنها بعض الطبقات الحاكمة المشغوفة بالتنبؤات الفلكية.

_النمط المنطقي:

علم المنطق هو علم يبحث عن المعلومات التصورية والتصديقية من حيث أنها توصل إلى معرفة مجهول تصوري أو توصل إلى مجهول تصديقي، وموضوعه المعلوم التصوري والمعلوم التصديقي، وفائدته أنه يعصم الذهن عن الخطأ في الفكر، ويتميز بقدرته على إقامة الحجج والبراهين والدفاع عن العقائد[2]

_ وقد دارت مناقشة عن طريق المراسلة بين السيوطي ومحمد بن عبد الكريم المغيلي حول الأخذ بعلم المنطق، فقد كان السيوطي ينهى عن علم المنطق فرد عليه المغلي وفند حججه بقوله:

سمعت بأمر ما سمعت بمثله *** وكل حديث حكمه حكم أصله
أيمكن أن المرء في العلم حجة** وينهى عن الفرقان في بعض قوله
هل المنطق المعني إلا عبارة *** عن الحق أو تحقيقه حين جهله
معانيه في كل الكلام وهل ترى*** دليلا صحيحا لا يرد لشكله
أرني هداك الله منه قضية*** على غير هذا تنفيها عن محله
ودع عنك ما أدى كفور وذمة*** رجال وإن أثبت صحة نقده
خذ الحق حتى من كفور ولا تقم*** دليلا على الشخص بمذهب مثله
عرفناهم بالحق لا العكس فاستبن*** به، لا بهم إذ هم هداة لأجله
لئن صح عنهم ما ذكرت فكم هم *** وكم عالم بالشرع باح بفضله[3]

فمن خلال هذه لأبيات تتبين وجهة نظر المغيلي في المنطق، فهو يعتبره وسيلة مؤدية إلى الحق، فمعرفة الناس تكون بالحق، وليس معرفة الحق بالناس ويشير في البيت الأخير إلى الفيلسوف ابن رشد الذي لا يرى حرجا في الاستعانة بعلم الكفار أو المخالفين لنا في الملة إذا كان علمهم يؤدي إلى الحق أو يعصم الفكر من الزلل. وحين بلغت هذه القصيدة الإمام

[1] حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، بيروت، 1982ج 2 ص 1930
[2] الأخضري، السلم المرونق في المنطق، تحقيق ضيف الجزائري، دار ابن حزَن ط 1 2006 ص 26
[3] أحمد بابا، نيل الابتهاج، ص 267

السيوطي قال مدافعا عن وجهة نظره المنكرة لعلم المنطق ومعارضا لرأي المغيلي بنفس الوزن والقافية بقوله:[1]

حمدت إله العرش شكرا لفضله*** وأهدي صلاة للنبي وأهله
عجبت لنظم ما سمعت بمثله*** أتاني عن حبر أقر بنبله
تعجب مني حين ألفت مبدعا*** كتابا جموعا فيه جم بنقله
أقرر فيه النهي عن علم منطق*** وما قاله الأعلام من ذم شكله
وسماه بالفرقان يا ليته لم يقل***فلا وصف قرآن كريم لفضله
وقال فيه فيما يقرر رأيه***مقالا عجيبا نائيا عن محله
ودع عنك ما ابدي كفور وبعد ذا*** خذ لحق حتى من كفور بختله
وقد جاءت الآثار في ذم من حوى** علوم يهود أو نصارى لأجله
يعزز به علما لديه وأنه**** يعذب تعذيبا يلق بفعله
وقد منع المختار فاروق صحبه *** وقد خطى لوحا بعد توراة آله
وقد جاء من نهي إتباع لكافر*** و إن كان ذاك الأمر حقا بأصله
أقمت دليلا بالحديث ولم أقم*** دليلا على شخص بمذهب مثله
سلام على هذا الإمام فكم له*** لدي ثناء واعتراف بفضله

وواضح من أبيات السيوطي انه ينهى عن علم المنطق والاشتغال به وهو يمثل سائر رأي الفقهاء المسلمين الأوائل الذين رفضوا المنطق سدا للذريعة وخوفا من فساد القلوب.و أما المغيلي فقد تأثر بعلم المنطق على غرار ابن رشد لأنه منهج العلوم ووسيلتها الصحيحة للوصول إلى اليقين. إذ أن الإحاطة بالمنطق يعصم الذهن من الوقوع في الخطأ يقول المغيلي في أرجوزته (منح الوهاب في رد الفكر إلى الصواب) ومطلعها:[2]

الحمد لله الذي هدانا*** لدينه القويم واجتبانا
بخير من الوحي والكتاب*** وفى ومن دعا إلى الصواب
محمد صلى عليه ربنا***ما هب أو كف الصبا منشئنا
ثم على أصحابه وآله***ومن آتي مقتفيا بحاله

[1] المصدر السابق، ص 267_268

[2] المغيلي، مخطوطة منح الوهاب في رد الفكر إلى الصواب، وعندي نسخة منها .

و بعد لما كان علم المنطق*** رعية للذهن من غيّ يقي
نظمت نظما شاملا قواعدا *** راج من الله الكريم المددا
و حفظ حافظ له وناظر*** قد اخذ الإنصاف ثوبا ساترا

وهذه الأرجوزة هي من جملة المتون المقررة على الطلاب بتوات والسودان الغربي والتكرور، وهذا الاتجاه التعليمي العقلي ساد في المغرب الإسلامي مع الحافظ التنسي والإمام السنوسي وعبد الرحمن الاخضري الذي يشيد هو كذلك بعلم المنطق بقوله:

وبعد فالمنطق للجنان***نسبته كالنحو للسان
فيعصم الأفكار عن غي الخطا*** وعن دقيق الفهم يكشف الغطا

وهذان البيتان جزء من منظومة الأخضري في علم المنطق والتي سماها السلم المرونق في المنطق ومطلعها:[1]

الحمد لله الذي قد أخرجا ***نتائج الفكر لأرباب الحجا
و حط عنهم من سماء العقل*** كل حجاب من سحاب الجهل
حتى بدت لهم شموس المعرفة***رأوا مخدراتها منكشفا
نحمده جلّ على الإنعام*** بنعمة الإيمان والإسلام

و بعد هذه المقدمة التي مهد بها للموضوع يبدأ في تعريفنا بعلم المنطق وفوائده فيقول :

فهاك من أصوله قواعدا*** تجمع من فنونه فوائدا
سميته بالسلم المرونق*** يرقى به سماء علم المنطق
و الله أرجوا أن يكون خالصا*** لوجهه الكريم ليس قالصا
وأن يكون نافعا للمبتدي ***به إلى المطولات يهتدي

ثم يخصص فصلا في جواز الاشتغال به وفصلا آخر في أنواع العلم الحادث ثم يذكر أنواع الدلالة الوضعية ومباحث الألفاظ، ونسبة الألفاظ للمعاني، ثم بين الكل والجزء، ثم تحدث عن المعرفات، ثم فصل القول في القضايا المنطقية وأحكامها، ثم خصص فصلا في المتناقضات، ثم باب في القياس، وفصل في الأشكال ثم يختمها بقوله:

هذا تمام الغرض المقصود*** من أمهات المنطق المحمود

[1] الأخضري، السلم المرونق،ص 38_46

نظمه العبد الذليل المفتقر***لرحمة المولى العظيم المقتدر
الأخضري عابد الرحمن*** المرتجي من ربه المنان
مغفرة تحيط بالذنوب*** وتكشف الغطا عن القلوب
و أن يثيبنا بجنة العلا*** فإنه أكرم من تفضلا
وكن أخي للمبتدي مسامحا***وكن لإصلاح الفساد ناصحا
و أصلح الفساد بالتأمل*** وإن بديهة فلا تبدّل
إذ قيل كم مزيف صحيحا*** لأجل كون فهمه قبيح
وقل لمن لم ينتصف لمقصدي*** العذر حق واجب للمبتدي
ولبني إحدى وعشرين سنة*** معذرة مقبولة مستحسنة
لاسيما في عاشر القرون*** ذي الجهل والفساد والفتون
وكان في أوائل المحرم*** تأليف هذا الرجز المنظم
من سنة إحدى وأربعين*** من بعد تسعة من المئين
ثم الصلاة والسلام سرمدا***على رسول الله خير من هدى
و آله وصحبه الثقات***السالكين سبل النجاة

ومنظومة السلم المرونق من بحر الرجز كتبها الأخضري في مئة وأربعين بيتا لخص فيها علم المنطق موجهة لإفادة التلاميذ وتعليمهم أهم القضايا التي عالجها علم المنطق ألفها في مرحلة الشباب في سنة 941 هـ كما ورد في الأبيات السابقة وهدفه كما صرح، إصلاح الفساد محاربة الجهل الذي استشرى في القرن العاشر الهجري وتوجيه الناس نحو الحق الذي يجب أن يتبع.

_النمط الطبي:

شهد القرن الثامن الهجري عودة انتشار ظاهرة الفقهاء الأطباء، وقد مارس الكثير منهم الطب، فالأديب والعالم محمد بن أبي جمعة التلالسي الذي كان أديبا وماهرا في الطب، كان من أطباء السلطان أبي حمو موسى الثاني.[1] كما كانت تدرس في تلمسان أرجوزة ابن سينا في الطب التي تزيد على ألف بيت اختصر فيها كتابه القانون في الطب.[2] وقد وضع الشيخ

[1] الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج1 ص 250

[2] عمار طالبي، المؤلفات العلمية في تلمسان، مجلة الوعي،ص 59

السنوسي شرحا للأرجوزة لم يكمله[1] واحتلت تلمسان وفاس مراكز الصدارة في دراسة الطب خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين. وقد أنجز ابن قنفذ القسنطيني في القرن الثامن الهجري بعض الأعمال الطبية والتي يعد أكثرها في حكم المفقودة، منها أرجوزته الطويلة في الأغذية والاشربة[2]وضعها سنة 782هـ في 789 بيتا. كما كتب إبراهيم ابن أحمد التلمساني الثغري رسالة في الأدوية وكتب ابن قنفذ كذلك أنس الحبيب عند عجز الطبيب[3] وتبدوا المؤلفات الطبية قليلة إذ ما قورنت بالأنماط الأخرى.

أشكال الشعر التعليمي الجزائري القديم: من المعروف أن الشعر هو كلام ذو معنى موزون ومقفى، وهذا هو ابسط تعريف للشعر. والشعر التعليمي يعتمد على الأسلوب العلمي الذي هو أهدأ الأساليب وأكثرها احتياجا إلى المنطق السليم والفكر الصحيح **و** ينقسم الشعر التعليمي إلى قسمين: القسم الأول هو الشعر التعليمي العام، وأعني به ذلك الشعر المبثوث في ثنايا القصائد ممزوجا بالأغراض الأخرى، إذ لا تخلو قصائد الشعر عموما من المسحة التعليمية ومن أهم الأشكال في هذا المجال:

أ _ القصيدة التقليدية العمودية: وهي مجموعة من الأبيات الشعرية متحدة في الوزن والقافية والروي وهي أصل و أساس الشعر العربي و أصل كل أنواع الشعر التي أتت بعده وتقوم القصيدة التقليدية على شطرين متقابلين ويكون في كل شطر عدد متساوي من التفعيلات، وتتميز بالقافية الموحدة على طول القصيدة واستقلالية البيت من حيث المعنى وتمتاز باللغة الفصيحة واستخدام الصور وهي التي نظم فيها أغلب الشعراء الجزائريين في هذه الفترة المدروسة ومنها على سبيل المثال قول بركات ألعروسي ت 897هـ في الاتعاظ بالمشيب وبالموت:[4]

يا أيها العبد المسيء الجاني*** أو ما علمت بأن عمرك فاني
و إذا ملكت جميع ما في الأرض ما ***ترحل سوى بالقطن والكتان
أتظن أنك دائم ومخلّد*** والموت محتوم على الإنســـــــــــان

[1] ابن مريم، البستان ، ص 246

[2] إبراهيم حركات، مدخل غلى تاريخ العلوم، ص 418

[3] المصدر نفسه، ص 309

[4] محمد بن رمضان شاوش، والغوثي بن حمدان، إرشاد الحائر إلى آثار أدباء الجزائر، ص 348

فإلى متى يا غافلا والعمر قد*** ولى ولاح الشيب في الأذقان
يا أيها المغرور في غفلاته*** ضيعت عمرك في مدى العصيان
فانهض وتب وأندم على قد ما مضى***واندب كما ندب المسيء الجاني
وابسط يديك بذلة وتخضّع*** فعسى يجود عليك بالغفـــــــــــــــران

وهي قصيدة من بحر البسيط يحذر فيها الشاعر من الغفلة وهوى النفس والدعوة إلى مراقبة الله والحذر من غرور الدنيا. وهذا الشكل التقليدي العمودي هو الغالب في الشعر الجزائري القديم.

ب_ ومن الأشكال الشعرية التخميس: ان الأصل في إي قصيدة أن تكون أبياتها مكونة من شطرين. والتخميس لغة جعل الشيء ذا خمسة أركان، وفي الشعر جعل كل قطعة منه خمسة اشطر الأربعة الأولى لها قافية مختلفة ثم خمسة أشطر أربعة لها قافية واحدة، والشطر الخامس له قافية الخامس الأول. وهو نوع من انواع التفنن لدى الشعراء، وقد نظم الشعراء الجزائريون على هذا الشكل ومثاله قول أبي حمو موسى الزياني ليلة المولد النبوي بتلمسان سنة 762هـ متضرعا إلى الله تعالى:[1]

رحماك يا رب إن الذنب من قبلي*** فوفق العبد للإخلاص في العمل
وهب لي فرح يأتي على عجل *** بحق أحمد خير الخلق والرسل
من في غد من عظيم الذنب ينقذنا
يانفس لا تقنطي يا نفس و اصطبري *** ولازمي من الجد في ورد وفي صدر
لزورة المصطفى المختار من مضر *** فإن ختمت بهذا منتهى عمري
فقد ظفرت بعز دائم و هنا
يا رب عبدك موسى ذنبه عظما*** فهب له العفو جودا والرضى كرما
وارحم ضراعته يا خير من رحما*** يا رب لا تبعد الجاني بما اجترما
أنت الغني وما للخلق عنك غنى
أهلا بمولد خير الخلق حين بدا *** وفاض منه على الآفاق نور هدى
ارجو شفاعة يوم الحساب غدا *** يا رب صل عليه دائما أبدا
ما صافح الريح روضا او ثنى غصنا

[1] بوزياني الدراجي، أدباء وشعراء من تلمسان ج 4 ص 385

ج_ الموشحات: الموشح لون من ألوان النظم اخترعه الأندلسيون في القرن الثالث الهجري، وله قواعد خاصة في أوزانه و قوافيه تجعله يختلف عن الشعر العادي، وأحيانا يخرج على أوزان الشعر العربي وأحيانا يخلو من كل وزن، نشأ الموشح في أساسه مرافقا للغناء مهتما بالطبيعة والغزل والخمرة ولكنهم بعد ذلك جعلو في المدح والتهاني والصيد والهجاء ومختلف الأغراض الأخرى[1] ومنها موشح ذو صبغة تعليمية قاله التلالسي بمناسبة الاحتفال بالمولد النبوي عام 766هـ:[2]

قلبي المبلى له أوار*** والجسم أودى به السقام
لما تولى الشباب عني*** واستشعرت نفسي الحمام
لما رأيت الشباب ولى*** أذريت دمعي على الشباب*** إذ عهده بان واضمحل
وليس يرجى له إياب*** فقلت يا نفس ليس إلا *** ان تسأل الفوز والمتاب
فإن شيب الفتى وقار*** تقبح مبهما يدا الأثامي
يا نفس بادري دع التأني***فإنما عيشنا منام
دع عنك ذكر الصبا وبادر***يا نفس للحج وأقلعي***و اجتحدي واتركي المعادر
وجددي السير وأسرعي*** لعل أن تسد المقادر***لك بخير واسمعي
أما ترى العاشقين ساروا* وركبهم قاصدا أمام
حاديهم دائما يغني* هبوا إلى الكعبة الحرام

وهكذا وردت القيم التعليمية في كل الأشكال الشعرية التقليدية المعروفة وتتميز في عمومها ببروز الخلفية الدينية المرتبطة بقيم الإسلام كما أنها صادرة من شعراء مثقفين وفقهاء لا يفصلون بين الدنيا والآخرة وأغلب مضامينها مستمدة من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وأغلبها يدور حول نهي النفس عن المضي في شطحات الهوى وضرورة الندم والتوبة إلى الله والإقلاع عن الذنوب والخطايا وحثها على العمل الصالح وتقوى الله والاستعداد لليوم الآخر وأغلب هذه القصائد اتسمت بسهولة في ألفاظها، وبساطة التراكيب في عباراتها مع تنوع في مضامينها وموسيقاها.[3]

[1] محمد سعيد، وبلال جنيدي، معجم الشامل، دار العودة بيروت، ط 2 1985ص 937
[2] بوزياني الدراجي، أدباء وشعراء من تلمسان، ج 4 ص 63
[3] ينظر، محمد مرتاض، شعر الفقهاء في المغرب العربي، رسالة دكتوراه، جامعة تلمسان 1994 ص 69

ـ ***وأما القسم الثاني*** من الشعر التعليمي فهو الشعر التعليمي الخاص، وأعني به الشعر الذي تخصص في علم من العلوم، مقررا حقائقه وواضعا قواعده مستنبطا قوانينه، ويختلف عن القسم الأول بكونه أفردت له منظومات مستقلة، ويتميز بأسلوبه العلمي وهذا النوع من الشعر ليس على شيء من الناحية الفنية كما يقول عنه نقاد الأدب، عدا أنه كلام موزون ومقفى وأغلبه على وزن بحر الرجز، وهذه المنظومات العلمية تخلوا من العواطف والأخيلة وتقتصر على المضامين العلمية المجردة في الغالب كالمنظومات الفقهية والبلاغية والنحوية، أو منظومات الفلك والمنطق و الحساب والطب وغيرها من الموضوعات في العلوم الشرعية والعلوم العقلية. وتتميز باستخدامها لوزن بحر الرجز، والرجز هو أحد البحور الخمسة عشر التي ابتكرها الخليل ابن أحمد (100هـ–124هـ) ويبنى على مستفعلن ست مرات ثلاث في كل شطر[1] ويسمى بحر الرجز حمار الشعر لكثرة مايلحقه من الزحافات والاختصار نظمت عليه المطولات العلمية كألفية ابن معطي و ألفية ابن مالك في النحو. ويستعمل تاما (ست تفعيلات) أو مجزوءا (اربع تفعيلات) او مشطورا (ثلاث تفعيلات) أو منهوكا (تفعيلتان)[2] والرجز شعر متخصص يستخدم المصطلحات العلمية ويوجز القواعد العلمية ويختصر المطولات. وموسيقاه خفيفة تسهل الحفظ كما يكثر في الأرجاز والمنظومات التصريع الذي يساهم في إكساب الأبيات جرسا موسيقيا مع تنوع قوافيه وحروف رويه، وأغلب المنظومات تبدأ وتختتم باسم الله وحمده والصلاة على النبي تخاطب العقول لا القلوب وتعتمد على التمثيل ، وتسوق الأدلة. و تتميز أساليبها بالهدوء والبعد عن الإثارة والانفعال، وتعد من أهم الوسائل التعليمية التي استخدمها الشيوخ والمعلمون في تبليغ المعارف إلي الناس. ومن أمثلة الرجز منظومة الأخضري (السراج في علم الفلك) التي تحتوي على 296 بيتا افتتحها بحمد الله والثناء عليه والصلاة على الرسول ، مبرزا أهمية علم الفلك بقوله:[3]

الحمد لله العلي الحق *** المالك الوهاب ربّ الخلق

نحمده جل على الإنعام *** بنعمة الإيمان و الإسلام

ثم الصلاة على محمد *** خير الورى المشرف الممجد

وآله وصحبه وعترته *** وكل من وقره من أمـته

[1] مجدي وهبة، كامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان ط 2 1948ص176

[2] محمد سعيد و بلال جنيدي ، معجم الشامل ، ص 502

[3] فوزي مصمودي،العلامة الموسوعي ، عبد الرحمن الأخضري ص 89

وبعد فاعلم أن علم الفلك *** علم عزيز من أجلّ مسلك
أعني الذي تدري به الأوقات *** والفجر والقبلة والساعات
وما به تطرق للغيب *** فذاك الحرام بلا ريـــــــــــــب
واعلم بأن العلم بالنجوم *** علم شريف ليس بالمذمـــــوم
لانه يفيد في الأوقات *** كالفجر والاسحار و الساعات
واعلم ان الجهل بالاوفات *** جهل بأمر الصوم و الصلاة
فالعلم بالأوقات فرض يقبل *** لأنه به يتم العمـــــــــــل

ويلاحظ أنه التزم القافية الموحدة لكل شطر من أشطر الأرجوزة.

ومجمل القول أن الشعر التعليمي جاء في أشكال شعرية محدودة تمثلت في القصيدة المعروفة بأبحرها المختلفة وقوافيها أو في شكل أرجوزة تتميز باتحاد القافية في أشطرها كلها أو في شكل مزدوجات تتصف باختلاف القافية بعد كل شطرين. والجدير بالذكر والملاحظة تباين الناظمين في الشعر التعليمي، فقد حافظ بعضهم على شعرية منظوماتهم وأبقوا على بعض السمات الشعرية لاسيما في المقدمة، وأما البعض الآخر فقد أحالوا شعرهم إلى نظم خالص ليس له من الشعرية إلا الشكل الخارجي من حيث الوزن والقافية.

الفصل الثالث

الاتجاه التعليمي في(القرن10 هـ)

-الظروف السياسة والثقافية في العهد العثماني:

في نهاية العهد الزياني، اضطربت الأوضاع في تلمسان والمغرب الأوسط عموما، وبدأت في عهد من العنف والصراع وفي موجة من الفتن الداخلية والحرب الأهلية في صراع على السلطة إلى درجة الاستقواء بالأجنبي كالإسبان والأتراك والسعديين في بداية القرن 10هـ مما زاد التنافس للسيطرة على تلمسان، وتنصيب العملاء من بني زيان التابعين لهم . واستمرت هذه الفوضى سنوات مما أدى بالعلماء والمثقفين إلى دعوة صالح رايس حاكم الجزائر للتدخل لحماية الأهالي والمدينة، فأنهى ذلك دولة الزيانين في سنة 962هـ فألحق تلمسان بدولة الجزائر العثمانية، وقد تسببت تلك الأحداث في هجرة الكثير من علماء بلاد المغرب الأوسط إلى فاس. وتوالت على علماء تلمسان محن متوالية، وتعرضوا للضغط والمراقبة من السلطة الجديدة، إلا أن الكثيرين بقوا محافظين على موروثهم الثقافي وتراثهم الحضاري، واتسمت هذه الحقبة بتدني المستوى العلمي وغاب الإبداع وانتشر التقليد، وإعادة إحياء ما أنتجه السلف في القرون الماضية، فكثر التكرار والشروح ويبدو أن هذه الصفة قد عمت عهد المماليك والعثمانيين، فنعت بعصر الانحطاط في جميع شؤون الحياة العقلية والأدبية ومن نتائج هذه المرحلة خروج المسلمين من إسبانيا سنة 897هـ، ومن الناحية الثقافية مالت الأوضاع نحو القناعة العلمية والرضى بالقليل من الفقه والمعرفة والتغاضي عن العلوم العقلية والعملية وتفضيل علوم الدين والتصوف والفروع الفقهية على علوم الطب والجبر والهندسة والملاحة والقوانين التجارية، بل إن كثيرا من هذه العلوم تركت للأوربيين، وتنوسيت جهود العرب والمسلمين فيها، واستولى اليهود والأوروبيون على مراكز التجارة والنفوذ الاقتصادي وحتى السياسي في البلاد حتى كانوا كما قال المغيلي يؤثرون على ذوي السلطان فيعينون ويعزلون وهكذا وقع الفصل بين الدين والدولة. فأصبح العلماء في خدمة الحكام وانحدر المجتمع إلى الضعف والتدهور، فالعلماء قد انحدروا إلى السطحية العلمية والنفاق الأخلاقي والدروشة الصوفية، والحكام غرقوا في الاستبداد والفساد واللهو واللعب بمصير الشعب والمصير الديني أيضا فسقطت أجزاء كبيرة من المغرب الإسلامي واستولى العثمانيون على المنطقة.[1] وكانت بداية الحكم العثماني للجزائر في سنة 1518 في الجزائر العاصمة، إلا أنه في تلمسان لم ينشأ رسميا إلا في سنة 956 هـ، وبالنسبة لأقاليم الصحراء

[1] سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، دار البصائر 2007ج1ص134

والأوراس ومنطقة الزواوة لم يكن موجودا إلا ظاهريا.[1] وكان الدين والتعليم متلازمين أيام الحكم العثماني، وكان التعليم أهليا شعبيا لا دخل للحكومة فيه، إلا أنهم ساهموا في دفع التعليم برصد الأوقاف في سبيل ذلك، كمساعدة طلبة العلم الغرباء وصيانة المساجد وإرضاء الأئمة وشيوخ القرآن وتشجيع التعليم القرآني بين الأطفال وتعليم القراءة والكتابة ومبادئ الحساب وحفظ المتون الفقهية والنحوية والعروضية وعلم الميراث وهذا المستوى من التعليم منتشر بين الجزائريين، أما التعليم العالي فقد كان الطلبة يهاجرون من أجل العلم إلى بعض الدول الإسلامية.

وباسم العقيدة الإسلامية والولاء للسلطان، دخل الجزائريون في الرابطة العثمانية، فكان الجزائريون يستنجدون بالجيش العثماني منذ أواخر القرن التاسع الهجري حين عجزت الإمارات المحلية على صد الهجومات الاسبانية على السواحل،وتكرر هذا التعاون في بجاية وجيجل ووهران وعنابة ودلس والجزائر، والعثمانيون دخلوا الجزائر بطلب من أهلها وتحالفوا مع أهلها سياسيا وعسكريا، فامتلأت القلاع والثكنات والرباطات والسفن بالجنود الجزائريين الذين شاركوا في حروب الجهاد البرية والبحرية.[2]وتركزت الحياة الثقافية بالجزائر على العلوم الدينية.

- جوانب من الحياة الثقافية بالجزائر في القرن 10هـ:

إنَّ الحياة الثقافية بالجزائر انذاك كانت تتركز على العلوم الدينية من تفسير وحديث وفقه وعقائد، وكان المذهب الفقهي السائد في البلاد، المذهب المالكي. وبعد ارتباط الجزائر بالخلافة العثمانية، عزز المذهب المالكي بالمذهب الحنفي الذي كان المذهب الرسمي للخلافة، وكان من آثاره تعيين شيخ الإسلام الحنفي للرئاسة الدينية للبلاد، وكانت له مكانة حيث انه كان الشخصية الثالثة بعد الباشا.و لكن المذهب المالكي بقي محتفظا بمكانته. فإذا استثينا عاصمة الجزائر والمدية والبليدة نجد حل القضاة والمفتين داخل البلاد مالكيين،بل وحتى العاصمة فقد عين الباشا حسين بن خير الدين، خطيب الجامع الأعظم المالكي، محمد بن علي الخروبي ت 962هـ رئيسا دينيا بها. كما نلاحظ ازدهار بعض المعاهد التي كانت المواد المدرسة فيها لا تقل عن المواد التي تدرس بأشهر الجامعات الإسلامية

[1] سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر،عالم المعرفة،الجزائر، ط 2009 ج 5 ص 171

[2] سعد الله،تاريخ الجزائر الثقافي.ج 1 ص 141-140

كالزيتونة والقرويين. هذا وإن التعليم بجميع مراحله كان شبه مستقل عن الإدارة، إذ كانت نفقاته المختلفة من ربع الأحباس. وكان أمر المراقبة موكولا لنظار الاحباس من طرف السلطات، والجدير بالذكر أن الجزائر العثمانية لم تكن تتوفر على مؤسسة للتعليم العالي[1] كما أن هناك تآليف تعرض فيها اصحابها لوصف حالة البلاد بعد انهيار دولتي بني زيان وبني حفص. وقد تعرض لوصف حالة البلاد السياسية والثقافية عالم جليل هو عبد الكريم بن الفكون القسنطيني (988 هـ-1773هـ) في كتابه (منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية) الذي صاغه في قالب تراجم، وقسم مترجميه إلى أربع طبقات: الأولى: العلماء الذين عدهم قدوة، والثانية: من تولوا الوظائف العلمية كالقضاء والتدريس والإفتاء من دون استحقاق، وكانت وسائلهم لنيل تلك الوظائف الرشوة والتزلف. والثالثة: وهي التي ينطبق عليها عنوان التأليف، خصصها للمبتدعة الدجاجلة الكذابين على طريق الصوفية المرضية. والرابعة خصصها لبعض العلماء المعاصرين الذين خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا. وهذا التأليف يعد ذخيرة ومرجعا جوهريا للجزائر وتونس في المجال الثقافي والسياسي.

وانقسم سكان قسنطينة إلى قسمين : قسم أيد الحفصيين وكان يترأسه المفتي عبد المؤمن والقسم الثاني المنتصر للعثمانيين يترأسه المفتي عبد الكريم بن الفكون الجد المتوفى سنة 988هـ وهو جد المؤلف وقد تتبع المؤلف قضية احتلال قسنطينة بمزيد من الضبط والبيان. كما انه تعرض بنفس الدقة لاحتلال تونس التي بعدما دخلها خير الدين باشا، استعان الملك الحفصي على إخراجه بالطاغية الإسباني شارل لوكان الذي أباح لجنوده اقتحام جامع الزيتونة وقتل بعض علمائها في حلقات دروسهم. وكان من بين القتلى يحيى بن الفكون جد المؤلف[2] كما تعرض المؤلف لقضايا شائكة كانت تجتاح البلاد الإسلامية عامة، وبلاد الجزائر خاصة وهي الصراع بين السلفيين والمتصوفه. وقد سبقه إلى إثارة هذا الموضوع الشيخ عبد الرحمان الأخضري البنطيوسي الذي عاش نفس الأحداث بعد انهيار بني زيان وبني حفص، وصور لنا في منظومته الشهيرة (القدسية) المحتوية على 346 بيتا مناخ البلاد الثقافي والسياسي.

---

[1] ينظر سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، الشركة الوطنية وللنشر والتوزيع 1981 ص 178

[2] المهدي بو عبدلي، الجزائر في التاريخ، ج4 ص 128

الحضور الصوفي في الجزائر إبان العهد العثماني:

ولكي نعرف دور الصوفية السياسي وموقفهم من الوجود العثماني كسلطة بديلة، لا بد من الإشارة إلى ازدهار الحركة الصوفية في هذا العصر بالجزائر وبلاد المغرب الإسلامي والمشرق كما كانت من قبل، إذ كان معظم المرابطين الجزائرين قبل العهد العثماني من أتباع الطريقة الشاذلية، وكان تأثير هذه الطريقة يأتي عن طريق طلب العلم في المغرب الأقصى أو عن طريق الحج وكان الأتباع يأخذون العهد عن شيوخ الطرق الصوفية. وقد نشط معظم المتصوفة في تلقين أتباعهم الأذكار والأوراد معتزلين شهوات الحياة الدنيا وزينتها، مؤثرين حياة الاعتزال والعبادة، وحياة التعليم وتربية النشء وتوجيه المريدين والعامة مبادئ الدين من فقه العبادات والمعاملات وعلم المواريث والسيرة النبوية وغيرها. وكان يومئذ الحس الروحي الممزوج بالتصوف هو الذي يجمع شتات القبائل تحت مظلته، فكانوا يشعرون أن مصيرهم واحد إزاء الغزو الصليبي لهم. إذ توحدهم كلمة الجهاد في سبيل الدفاع عن الإسلام. فالصوفية هي التي كانت تغذي الروح الوطنية الدينية (سلطة الصوفية) ففي تلمسان عاصمة الغرب الجزائري الثقافية كانت عائلة ابن مرزوق تغذي الروح الصوفية، وكان قطب زمانه الشيخ أحمد بن يوسف الراشدي المتوفى سنة 927 هـ يروج للطريقة الشاذلية التي كان يرتدي خرقتها في كامل القطر وخصوصا في الجهة الغربية، وذاع صيته في الناس واستمال العامة ولقنهم الذكر فانتشرت الشاذلية في الجزائر. ومن أتباع بن يوسف الملياني في الجنوب الغربي من الجزائر الشيخ عبد القادر بن محمد بن سليمان المعروف باسم سيدي الشيخ (صاحب الياقوتة) والطريقة الشيخية امتد تأثيرها إلى الجنوب الشرقي فوصلت إلى ورقلة وعين صالح وأدرار وتأسست زوايا الشاذلية في الكثير من مناطق الوطن. ونظرا لأهميتها اتصل العثمانيون بممثلها واستمالوه لجهتهم وتحالفوا معهم على محاربة العدو المشترك (الاسبان) من جهة وسلطة الزيانين المتحالفة مع الاسبان. وفي الجزائر تحالف صوفية الثعالبة مع العثمانيين وعقدوا معاهدة مع عروج لمواجهة النصارى الاسبان وأما في عنابة فقد قصد العثمانيون عائلة الساسي البوني التي تمثل السلطة الروحية فلم تخيب العائلة قصدهم وتوطدت العلاقة بين الطرفين.

ولقد شجع العثمانيون رجال التصوف وشاركوا في بناء القبب والأضرحة والمزارات، كما ساعدوا الصالحين في بناء الزوايا والرباطات وأنفقوا الأموال السخية في ذلك وأعفوهم من

الضرائب ومنحوهم حرمة وحصانة. فالمستجير بحمى الشيخ لا يلحقه أذى ولو كان مجرما. وبذلك وجد التصوف المجال خصبا للنماء والانتشار والشيوع بين العامة والخاصة وانتشرت الخرافة والشعوذة، وعمت الطرقية والاعتقاد في الشيخ أو الضريح إذ يلجأ إليه الناس كلما أصابهم مرض او مصيبة، وكانت المؤسسة التعليمية المفضلة هي الزاوية التي كانت مواد الدراسة فيها اغلبه ديني ممزوج بالتصوف، فلا تخلو أي زاوية من الرسالة القشيرية وحكم ابن عطاء الله السكندري، وإحياء علوم الدين للغزالي وقوت القلوب لأبي طالب المكي. ولم يكن الشعب الجزائري مطلع القرن العاشر الهجري في حالة استقرار امني وسياسي حتى ينتج أدبا أو ثقافة علمية أو فنا راقيا، بسبب الحروب والفتن الداخلية والخارجية، وكان هم الناس في هذه الفترة التفقه في الدين ومعرفة علم الفرائض، فالعالم من فقه الدين وحفظ المصنفات الفقهية، فمعظم الشخصيات العلمية في هذا العهد مثل ابن أبي حيدة الوهراني ت 950 هـ ومحمد بن علي الخروبي ت 963 هـ وابن شقرون ت 983 هـ وعمر بن الكماد القسنطيني ت 960 هـ وعلي بن يحي الجاديري ت 972 هـ ومصطفى باش تارزي ت 980 هـ تركزت جهودهم على العلوم الدينية من تفسير وحديث وفقه وعقائد، وامتازت الجزائر في العهد العثماني بانتشار الطرق الصوفية التي كان جل المنخرطين فيها من حفظة القرآن ومن لهم مبادئ فقهية وعقائدية تميزهم عن العوام في سلوكهم الشخصي. وعليه فإن عدد المثقفين أقلية بالنسبة لمجموع السكان، لكن المنتسبين للطرق الصوفية كانوا أكثرية. وتحول التصوف عند البعض دروشة وحلقات طبول، وانتشر التوسل بالقبور والأضرحة والتذكير بكرامات الأولياء وانتظار قيام الساعة كما ظهر الإفتاء بغير علم واتخاذ الجهلاء رؤساء ونفس الامر ينطبق في المشرق العربي إبان هذه الحقبة من حيث الانحطاط الأدبي والفكري. ومن أبرز العلماء الذين تصدوا لهذا الانحراف الديني القائم على البدع والخرافات في القرن العاشر الهجري في الجزائر نجد الشيخ عبد الرحمن الأخضري المتوفى سنة 983 هـ الذي كتب منظومته القدسية حين ساد مجتمعه الفساد وعم الجهل وانتشرت الفتن وتفشت الأمية، وهي أرجوزة تعليمية تنتقد الأوضاع المزرية التي لاحظها الاخضري وّتقوم سلوك الأفراد والجماعات، وتنكر البدع والخرافات وتوجه الناس إلى التصوف الصحيح المستمد من القرآن والحديث النبوي، مع التحذير من التصوف المغشوش الذي ابتعد عن منهج الكتاب والسنة داعيا إلى علاج النفوس وتقويمها من الأخطاء والعودة إلى الطريق المستقيم.

_ أبرز شخصيات الاتجاه التعليمي في العصر العثماني :

_ عبد الرحمن الأخضري و منظوماته التعليمية :

– ولد عبد الرحمن الأخضري سنة 920 هـ بقرية بنطيوس نواحي بسكرة وفيها نما وشب وأخذ العلم عن والده محمد الصغير وهو من أعيان وعلماء منطقة بسكرة الذي تتلمذ على يد الشيخ أحمد زروق الفاسي الذي أقام بالمغرب الأوسط فترة من الزمن متنقلا بين بجاية والجزائر وتلمسان . ولوالده بعض المؤلفات في التصوف والنحو فاستفاد الأخضري من محيط أسرته وتربى على التقوى والزهد، وحذق العلم الشرعي بعيدا عن البدع والخرافات ثم طلب العلم بقسنطينة وأخذه على الشيخ عمر الوزان[1] ونبغ في جميع العلوم منقولها ومعقولها، ألف وهو حديث السن يدل على ذلك قوله في منظومة السلم المرونق في علم المنطق معتذرا وبتواضع :

وقل لمن لم ينتصف لمقصدي العذر حق واجب للمبتدي
ولبني إحدى وعشرين سنى معذرة مقبولة مستحسنة
لا سيما في عاشر القرون ذي الجهل والفساد والفتون
وكان في أوائل المحرم تأليف هذا الرجز المنظم
من سنة إحدى وأربعين من بعد تسعة من المئين [2]

فالشيخ عبد الرحمن الأخضري كان موسوعة علمية نادرة الوجود خصوصا في العهد العثماني الذي عاش الاخضري في بدايته، وكان متضلعا من العلم ذا خبرة بفن التعليم ومضامين منظوماته مفيدة صاغ مسائلها بأسلوب بسيط سهل ومنطقي[3]

ومن أبرز منظوماته التعليمية نجد أرجوزة القدسية في علم التصوف .

والقدسية هي أرجوزة منظومة على بحر الرجز تتميز بالطول وتقع في 346 بيت واعتز الفكون بها اعتزازا كبيرا وتمثل بها في منشور هدايته لأنه يتفق مع الاخضري في الحملة على الدجاجلة الذين ينتسبون إلى التصوف بغرض سلب الأرزاق من الناس. والاخضري لم يكن ضد التصوف في حد ذاته لأنه صوفي، ولم يكن ضد النعوت الصوفية كالولاية

---

[1] سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المؤسسة الوطنية للكتاب 1985، ط2 ج 1 ص 507

[2] الاخضري،السلم المرونق في علم المنطق، تـ ضيف الجزائري، دار ابن حزم بيروت، ط1 2006 ص 128

[3] محمد الطمار، تاريخ الأدب الجزائري، ص 291

والقطبانية وما إليها ولكنه ضد الأدعياء الذين يخالفون الكتاب والسنة، وانه لم يقبل بغيرهما حكما في الفصل بين الادّعاء والصدق أو بين الإفك والصواب كقوله في القدسية:[1]

واعلم بأن الوالي الرباني لتابع السنة والقرآن
والفرق بين الإفك والصواب يعرف بالسنة والكتاب

وفي بعض الأحيان نجده يعتمد على أقوال الصوفية المنصفين لاستنتاج بعض المقاييس التي يمكن له بواسطتها أن يحكم على صاحب الإفك من صاحب الصواب وفي ذلك يقول:

وقال بعض السادة الصوفية مقالة صادقة جلية
إذا رأيت رجلا يطير أو فوق ماء البحر قد يسير
ولم يقف عند حدود الشرع فإنه مستدرج وبدعي

ويبدو أن الاخضري قد وفق في قدسيته إلي تحديد المنهج الذي يجب أن يقوم عليه التصوف، ويتمثل في الحث على الرجوع إلى الكتاب والسنة لأن طريقة أهل السنة أو السلف الصالح تقوم على إقامة الشريعة أساسا للوصول أو الترقي في سلم الحقيقة. ومن أهم الأبيات التي يغمز بها الدعاة الذين يركبون الدين لابتزاز الناس قوله :

كفاك في جميعهم خيانة أن قتلوا العباد بالديانة

فقد وظف الأخضري عموما قدسيته لانتقاد أباطيل العصر، فإن بعضهم قد وظف النظم لنشر الطريقة الصوفية التي يعتنقها ويقدس الصوفية المنظومات الدينية .

_ متونه العلمية:

نوه المؤرخ الجزائري أبو القاسم سعد الله بالمكانة العلمية للشيخ الأخضري خلال القرن العاشر الهجري بقوله: (فإذا عدنا إلى دراسة الإنتاج العلمي، وجدنا منه كمية ضئيلة خلال العهد العثماني، ولولا بعض الأعمال التي كتبها عبد الرحمن الأخضري وسحنون بن عثمان الونشريسي وابن حمادوش لخلا هذا العهد أو كاد من التأليف في العلوم الحسابية والفلكية ونحوها...)[2] ويعد الأخضري من أشهر المؤلفين في هذه الفترة وقد عرف بمنظوماته التعليمية في شتى العلوم ومن أبرزها نذكر :

[1] مخطوطة منظومة القدسية للأخضري (عندي نسخة منها)

[2] سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي،عالم المعرفة الجزائر، ط 2011 ج2 ص 404

1_ الجوهر المكنون في صدف الثلاثة فنون : وهو نظم في البلاغة العربية ألفه عام 950 هجري وقسمه إلى ثلاثة أجزاء في 291 بيتا وشمل علوم المعاني والبيان والبديع وهو تلخيص لكتاب التلخيص للقزويني مطلعه:

الحمد لله البديع الهادي إلى بيان مهيع الرشاد

2_ منظومة السلم المرونق في علم المنطق وهي أرجوزة في علم المنطق نظمها سنة 941 هـ تحتوي على 143 بيتا، ويعتبر الأخضري أبرز من ألف في المنطق خلال العهد العثماني، فقد كان يجيده، ولذلك نجح في اختصاره ومطلع النظم :

الحمد لله الذي أخرج نتائج الفكر لأرباب الحجا

3_ منظومة الدرة البيضاء في الحساب والفرائض:وهي منظومة شعرية تعليمية تناول فيها علم الحساب والفرائض والتركات والقسمة في500 بيت ألفها عام 940 هـ مطلعها:

الحمد لله العليم الوارث الدائم الفرض القديم الباعث

نحمده كثيرا دائما وخالصا من كل شوب سالما

على جزيل نعم لا مما به فضلنا وخصا

ثم يبين في المقدمة الغرض من التأليف، وأهمية علم الميراث ثم يشرع في –القسم الأول– العمليات الحسابية الأربع، وحل الأعداد والكسور بأسلوب يسير موجه إلى طلبة العلم، وفي القسم الثاني يتحدث عن الفرائض وتقسيم التركات والمواريث وكيفية توزيعها ونصيب كل وريث حسبما ورد في القرآن والسنة النبوية وفصل القول في موانع الإرث، والسهام ومسألة الحجب، والوارثون من الرجال والنساء ومنها قوله :

ترتيب ما يبدى به في المال تدريه من تدوم في مقال

الوارثون في الرجال عشرة من جهة الشرع أتت مقررة

أب وجد لأب إن انفصل بذكر وابن ومن منه انسفل

زوج أخ وابن أخ إن لم يكن للأم مولى نعمة أيضا قمن

والعم لا للأم وابنه كذا وغير من ذكرته قد نبذا

4_ منظومة السراج في علم الفلك: وهي عبارة عن منظومة فلكية نظمها في حدود عام 939 هـ وتحتوي على 296 بيتا، ورغم شرحها إلا انها لم تجد الرواج والانتشار الذي عرفته

منظومة القدسية والدرة البيضاء والجوهر المكنون مثلا[1] وقد افتتح هذه المنظومة الفلكية بحمد الله والثناء عليه والصلاة على نبيه مبرزا أهمية علم الفلك ودوره في التعرف على الأوقات والساعات بقوله :

وبعد فاعلم أن علم الفلك * علم عزيز من أجل مسلك
أعني الذي تدري به الأوقات* والفجر والقبلة والساعات
ومابه تطرق للغيب * فذاك الحرام دون ريب
واعلم بأن العلم بالنجوم * علم شريف ليس بالمذموم
بأنه يفيد في الأوقات * كالفجر والأسحار والساعات
واعلم أن الجهل بالأوقات* جهل بأمر الصوم والصلاة

5_ منظومة الدرة البهية : وهي نظم الأجرومية في 170 بيت ألفها سنة 981 هـ جاء في خاتمتها قوله:[2]

تم بحمد الله ما قصدنا من نظم هذه التي أوردنا
سميتها بالدرة البهية فهي كما في أصلها محوية
وكان في محرم الحرام بدءا وختما لذا النظـام
في عام إحدى وثمانين سنة من بعد تسعمائة مستحسنة

6_ قصيدة اللامية في المدح النبوي: وهي في 254 بيتا ومما ورد فيها في المقدمة قوله: [3]

الله المقتدر الأول سبحانه جل عن المثل
سبحانه هو الصمد الفرض الجبار الأزل
لله الحمد على نعم منها الإرشاد إلى السبل
فهدى برسول الله إلى أزكى ما كان من الملل

وله رائية في المدح النبوي تضم 164 بيتا مطلعها:[4]

الحمد لله طول الدهر والعمر ثم الصلاة على المختار من مضر

وله التائية كذلك في المدح النبوي تتضمن 30 بيتا مطلعها:

---

[1] فوزي مصمودي، العلامة الموسوعي عبد الرحمان الأخضري، موفم للنشر، الجزائر 2008 ص 89
[2] المرجع السابق ، ص 54
[3] المرجع السابق ص 166
[4] بوزيان الدراجي،عبد الرحمان الأخضري ص 159

سرى طيف من من أهوى فأرق مهجتي*وما كدت أنجو من ضنائي وعبرتي
أيا لائمي في الحب أنك جاهل *كأنك لا تدري بشأن المحبة

7_ النمط الاجتماعي: وله قصيدة (نصيحة الشبان) وهي عبارة عن نصائح مباشرة في أرجوزة بلغت 23 بيتا استهلها بقوله:[1]

أُوصيكُم معاشرَ الشُبان *** عليكم بطاعة الرحمن
اياكم ان تُهمِلوا أوقاتَكم *** فتَندمُوا يومًا على ما فاتَكُم
فإنما غنيمة الإنسان*** شبابه والخسر في التّواني
ما أحسن الطاعة للشبان*** فاسعوا لتقوى الله يا إخواني
و عمّروا أوقاتَكم بالطاعة*** والذِّكر كلَّ لحظةٍ وساعة
ومن تَفتُه لحظةٌ من عمرهِ*** تكونُ عليه حسرةً في قبرِهِ
من يكن فرط في شبابه *** حتى مضى عجبت من تبابه
ويا سعادة امرئ قضاه *** في عمل يرضى به مولاه
أحبّ ربي طاعة الشباب *** يا فوزهم بجنة الرضوان
فتب إلى مولاك يا إنسان *** من قبل أن يفوتك الأوان
ومن يقل إني صغير أصبر *** ثم أطيع الله حين أكبر
فإن ذاك غره إبليس *** وقلبه مغفل مطموس
لا خير في من لم يتب صغيرا *** ولم يكن بعيبه بصيرا

8_ منظومة القدسية: وهي منظومة شعرية تحتوي على 346 بيت فرغ من تأليفها عام 944هـ وفيها يقول :

في أربع وأربعين قد نجز من عاشر القرون قل هذا الرجز

وكان عمره يومئذ أربع وعشرون عاما وهو رجز تصدى من خلاله لمتصوفة القرن العاشر الهجري الذين اتخذوا من التصوف وسيلة لتحقيق مآربهم الدنيوية وتتضمن هذه الأرجوزة آداب السلوك في الطريق إلى الله والاستعداد لليوم الأخر، وذلك بالكشف عن جوهر الإنسان وحقيقته العلوية بعيدا عن الخرافات والبدع، وفيها دعوة صريحة إلى وجوب التمسك بالعلم الموثق المستمد من القرآن والسنة الصحيحة والجمع بين علم الظاهر والباطن.

[1] فوزي مصمودي، العلامة الموسوعي عبد الرحمان الأخضري، موفم للنشر، الجزائر 2008 ص 183

والقدسية من وجه آخر هي نهي صريح عن الباطل والمنكر الذي شاهده الناظم عند بيئات المتصوفة المبتدعين والمشعوذين المدعين للولاية زيفا وكذبا الذين يمارسون الطقوس الخارجة عن دين الإسلام والذين وجدوا من السلطة العثمانية التشجيع لكونها تسعى إلى بسط النفوذ والتحكم في البلاد والعباد. يفتتح الأخضري قدسيته بقوله:[1]

يقول راجي رحمة المقتدر * المذنب العبد الذليل الأخضري

بحمد رب العالمين أبتدي * ثم صلاته على محمد

يا طالبا على كمال قدسه * وقاصدا إلى علاج نفسه

اعلم بأن الجوهر الإنساني * هو الذي يدعونه الروحاني

منشؤه في العلم العلوي * ومودع في القالب الجسمي

وقد اعتمد الأخضري على الكثير من الآيات والأحاديث النبوية في تبيان حقيقة التصوف الذي انتشر في ربوع بلاد المغارب في عهده. كما استفادا كثيرا من أفكار من سبقه وكتب شيوخه وشيوخ والده كالشيخ أحمد زروق الفاسي تـ 899 هـ وفي ذلك يقول :

ومن يرد معرفة بالبدع * وما يبنى عليه أصل المدعي

ففي كتاب شيخنا الزروقي * عجائب فائقة الرتوق

فالأخضري بسط آراء زروق الفاسي الذي كان أستاذ والده واشتهر الأخضري بمؤلفاته التي اعتنى بها أئمة العلم شرقا وغربا فشرحوها وعمموا تدريسها في المدارس الإسلامية[2]

فمنظومة القدسية للأخضري تعتبر نقدا علميا للتصوف المغشوش، إذ وجه فيها نقدا لاذعا لأدعياء التصوف الذين نسبوا لأنفسهم بعض الكرامات وجعلوا لأنفسهم درجات عليا لا يبلغها سواهم وابتعدوا عن منهاج السنة الصحيحة فقال فيهم :[3]

قد ادَّعوا مراتباً جليلة * والشرع قد تجنبوا سبيله

قد نبذوا شرعية الرسول * فالقوم قد حادوا عن السبيل

ثم يقول عنهم :

قد أحدثوا طريقة بدعية * ورفضوا الطريقة الشرعية

---

[1] نسخة مخطوطة للقدسية، عندي نسخة منها

[2] ينظر ناصر الدين السعيدوني، المهدي بوعبدلي، الجزائر في التاريخ، ج4 ص 197

[3] نسخة مخطوطة للقدسية، ينظر كذلك بوزياني الدراجي، عبد الرحمن الأحضري،ص 129

قد ملكت قلوبهم أوهام * فالقوم إبليس لهم إمـام
كفاك في جميعهم خيانة* إن اختالوا الدنيا بالديانـة

ثم يشير الأخضري إلى اتخاذهم شيوخا جهلاء زينوا لهم البدع بقوله:

قد أشرفوا على كهوف الكفر * وستروا بدعتهم بالفقر
واتخذوا مشايخ جهالا * لم يعرفوا الحرام ولا الحلالا
لم يقفوا عند حدود الله * وسنة الهادي رسول الله
فأعرضوا عن سبل الرحمن* واتبعوا مسالك الشيطان
وهدّموا قواعد الإسلام * واعتبروا خرائف الأوهام

وتنوعت هذه المؤلفات من البلاغة إلى المنطق و الرياضيات وكان في طليعتها منظومته المسماة (القدسية) موضوع الدراسة في هذا النظم والتي ضمنها آراء شيخ والده، زروق وقد نظمها وبسطها لتسهيل حفظها. وقد لقيت إقبالا لا نظير له حيث كانت تدرس في معظم المعاهد العلمية بالجزائر، ولم يقتصر عبد الرحمن الأخضري على محاربة البدع بل خصص قصائد أخرى لإصلاح المجتمع كاللامية في مدح الرسول التي انتقد فيها (علماء السوء) وحذر منهم ، لأنهم يقولون مالا فعلون و يراؤون الناس بأعمالهم والتي قال فيها :[1]

فعليك بأهل العلم إذا * عملوا بالعلم هدى تنل
واحذر علماء السوء فقد * خصوا بالإفك وبالخطل
حفظوا الأقوال وما عملوا * بالعلم فساء القوم قل

إلى أن قال:

لا يكسبون العلم سوى * لرياء الناس وللجدل
طمس الأقوال تملقهم * لولاة السوء ذوي خلل

ثم يقول:

حاشر علماء الخير أولى * حظ في العلم وفي العمل
فعليك أخي بمجالسهم * واظفر بمحبتهم تصل

وما ورد في القصيدة القدسية، وقصيدته اللامية، يبتدّى لنا الصراع بين السلفيين والصوفية ابتداء من القرن الثامن الهجري في الجزائر وقد أدركه العهد العثماني، وكان موقف

[1] فوزي مصمودي،العلامة الموسوعي عبد الرحمن الأخضري، ص 51

العثمانيين معتدلا إلى حد بعيد، خصوصا أن كثيرا من أنصارهم كانوا من المتصوفين ورجال الطرقية. وقد أثبت التاريخ أن الطرق الصوفية كان لها تأثير قوي في مجرى الأحداث في العهد العثماني. ثم يتحول عن توجيه النقد إلى المتصوفة المنحرفين الضالين، إلى بسط الحديث عن الربانيين الأتقياء وأولياء الله الحقيقيين الذين فقهوا الشرع وفهموا حقائقه ومقاصده من الكتاب والسنة الذين وزنوا التصوف بميزان الشرع و ذلك في قوله:

وقال بعض أولياء الله * السالكين بصراط الله

من ادعى مراتب الجمال* ولم يقم بأدب الجلال

فارفضه إنما الفتى دجال * ليس له التحقيق والكمال

ورغم انتشار الجهل بالدين في عاشر القرون الهجرية، إلا أن الأخضري يشهد بوجود علماء متصوفة حقيقيين فندوا مزاعم وأباطيل أدعياء التصوف بقوله:

وقال بعض السادة الصوفية * مقالة صادقة جليّة

إذا رأيت رجلا يطير * أو فوق ماء البحر قد يسير

ولم يقف على حدود الشرع * فإنه مستدرج بدعي

ثم يوضح الناظم صفات وأخلاق الصوفي الرباني الحقيقي بقوله:

واعلم بان الخارق الرباني * لتابع السنة والقرآن

والفرق بين الإفك والصواب * يعرف بالسنة والكتاب

فالعودة إلى الكتاب والسنة هو الفيصل بين الحق والباطل حسب الأخضري، ولا يختلف الناس حول هذا الميزان الشرعي بقوله:

و الشرع ميزان الأمور كلها * وشاهد لأصلها وفرعها

ثم يتأسف في أبيات أخرى من الأرجوزة لانكفاء العلماء والفقهاء المخلصين الصادقين على أنفسهم وضياع منهج الحق، منهج رسول الله صلى الله عليه وسلم، في تغوّل وطغيان أهل البدع والباطل وأهل الأهواء إن ترك الميدان بدون نهي عن المنكرات في التصوف المغشوش سيؤدي إلى الكوارث.حيث يقول :

وأسفاه على حماة الدين * أولي الذكا والعلم والتمكين

آه على طريقة قد ذهبت * وهدمت أصولها وقلبت

وهاج إفك المدعين فيها * وصار من يطلبها سفيها

آه على طريقة الكمال * أفسدها طوائف الضلال
آه على طريق أهل الله * آه على طريق حزب الله
طريقة أفسدها أهل البدع * فتركت مهجورة لا تتبع
طريقة أفسدها الفجار * فكثروا وانتشروا وثاروا

وفي هذه الأبيات يبدي أسفه الشديد وحسرته على الطريقة الربانية الصحيحة التي أفسدها هؤلاء الدجاجلة فهدموا قواعدها وأصولها بضلالهم وبدعهم، حتى صار من يطلبها سفيها ثم يوضح الطريق الصحيح للتصوف الشرعي الرباني وهو الذي يقوم على الزهد وذكر الموت والاستعداد لليوم الآخر إذ يقول إن هذا الطريق إلى الله لا يتأتى:

إلا باخماص البطون والسهر * والصمت والعزلة عن كل البشر
والزهد في الدنيا وتقصير الأمل * وفكرة القلب وكثرة العمل
والخوف والذكر بكل حال * والصبر والقوت من الحلال
وفعل أنواع المعاملات * وفعل أركان المجاهدات
من بعد تحصيل فروض العين * علما وأعمالا من غير مين

ثم يقارن بين هؤلاء المخلصين الصادقين العاملين، وبين المدعين للطريقة الصوفية بغير عمل فيقول في متصوفة زمانه:

فأين حال هؤلاء القوم * من سوء حال فقراء اليوم
قد ادعوا مراتب جليلة * والشرع قد تجنبوا سبيله
قد نبذوا شريعة الرسول * فالقوم قد حادوا عن السبيل
لم يقتدوا بسيد الأنام * فخرجوا عن ملة الإسلام
لم يدخلوا دائرة الشريعة * وأولعوا ببدع شنيعة
لم يعملوا بمقتضى الكتاب * وسنة الهادي إلى الصواب

فمثل هؤلاء قد سيطر عليهم الشيطان، فخانوا الدين وانتهكوا القيم فساءت أخلاقهم فيقول عنهم الأخضري:

قد ملكت قلوبهم أوهام فالقوم إبليس لهم إمام
وانتهكوا محارم الشريعة وسلكوا مسالك الخديعة
من كان في نيل الكمال راجيا وعن شريعة الرسول نائيا

فإنه ملبس مفتون وعقله مختبل مجنون
هذا محال لا يصح أبدا لأن سيد الورى باب الهدى

فما ذكره الأخضري وقرره في القدسية يعد قواعد موجزة شرعية، إذ لا يمكن أن يعبد الله على جهل، والطرق الصحيحة للعبادة هو طريق رسول الله وهو طريق الهدى. ومن أراد البحث عن الحقيقة فليزن أقواله وأفعاله ويعرضها على الكتاب والسنة في نظر الأخضري إذ يقول :

والفرق بين الإفك والصواب * يعرف بالسنة والكتاب

لأن ميزان التصوف الحقيقي هو الالتزام التام ومعياره هو الالتزام التام بما ورد في الشريعة الاسلامية بدون تقصير أو ابتداع يشهد على ذلك آثار الأولياء والصالحين المخلصين يقول الاخضري في ذلك :

وقال بعض أولياء الله * السالكين بصراط الله
من ادعى مراتب الجمال * ولم يقم بأدب الجلال
فارفضه إنما الفتى دجال * ليس له التحقيق والكمال

ثم يقدم وصفا لأحوال القرن العاشر بقوله :

هذا زمان كثرت فيه البدع * واضطربت عليه أمواج الخدع
وخسفت شمس الهدى وأفلت * من بعد ما قد بزغت وكملت
والدين قد تهدمت أركانه * والزور طبق الهوى دخانه
وظلمات الزور والبهتان * تزخرفت في جملة الاوطان
لم يبق من دين الهدى إلا اسمه * ولا من القرآن إلا رسمه

إلى أن يقول :

وهاجت الطائفة الدجاجلة * السالكون للطريق الباطلة
وكثرت أهل الدعاوي الكاذبة * وصارت البدعة فيهم غالبة

وهذه الأبيات في فضح وتقريع هذه الطائفة الكاذبة التي اختارت الابتداع في الدين، ليوضح بعد ذلك المنهج الصحيح الواجب إتباعه والتشبث به في قوله:

من لم يلذ بالمنهج المحمدي * باء بسخط الله طول الأمد

هيهات أن يطمع في نيل الوفا * من حاد عن شرع النبي المصطفى

فإنه هو السراج الأنور * وباب حضرة الإله الأكبر

فكل من يرغب عن سنته * فليس عند الله من أمته

ليقرر حقيقة شرعية مفادها أن أفضل وسيلة للتقرب من الله هو إتباع رسوله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم، بقوله:

والمصطفى خير وسيلة إلى * إلهنا رب السموات العلا

صلى عليه الله ما هب صبا * وما إليه قلبي عاشق صبا

والطريق إلى الله عز وجل تستوجب نهي النفس عن الهوى وتطهير القلوب من الأمراض النفسية ومجاهدة النفس والتوبة إلى الله بصدق وإخلاص وذلك ما نجده في قوله :

من قطع العلائق النفسية * ولج باب الحضرة القدسية

فاشدد إزار الحزم والمجاهده * عساك ترق منبر المشاهدة

وقف على باب الكريم باكيا * وكن هناك خائفا وراجيا

معترفا بالذنب والجناية * عساه أن يمن بالهداية

فليس للباب الكريم غالقا * إذا توجه المريد صادقا

والصدق والإخلاص في الأمور * شرط به يكون قدح النور

إلى أن يقول :

فارحل إلى المهيمن القدوس * وابن علي تزكية النفوس

أفلح والله امرؤ زكاها * يوما كما فد خاب من دساها

وهنا نلاحظ الاقتباس من القرآن الكريم مستخدما الآية القرآنية " ونفس وما سواها، فألهمها فجورها وتقواها، قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها "[1] وتتميز القدسية بشكل عام بلغتها السهلة البسيطة وجملها القصيرة، وتنوعت أساليبها بين الخبر الذي يقرر الحقائق وينصح المتلقي ويعظه، والإنشاء متمثل في كثرة الأوامر بغرض الحث والتوجيه كقوله (واخرق

[1] سورة الشمس، الآية رقم :10.9.8.7

حجاب النفس بعد الجسم) (واعلم أن طرق التطهير، فعالج الخواطر الردية، فاخلع نعال الكون) والاستفهام (أين رعاة الدين؟) والنداء والنهي في قوله (يا صاحي لا تعبأ بهؤلاء) ومن أبرز الأغراض الأدبية لهذه الأساليب النصح والإرشاد والحث والتقرير

كما كثرت في القصيدة ألوان البيان كالتشبيه في قوله (القلب كالمرآة للتجلي) وقوله (القلب كنز) وقوله (وسار كالغذاء للقلوب) وأما الاستعارات فنجدها في قوله (ويقذف الأنوار، حملت الأوقات، سنام الطور، سلم الحقيقة) بهدف توضيح المعاني وإقناع المتلقي، كما أن في المنظومة ألوان من البديع كالطباق والجناس مثل (حجاب ظاهر وباطن، الكشف والغيوب) والجناس التام (الصبا والصبا) (الطريقة والحقيقة) وتبرز أهمية الطباق في كونه يوضح الفكر ويقويها وأما الجناس فيكسب الأبيات رنينا موسيقيا ويحدث تأثيرا في نفس السامع.

ونختم الحديث عن المنظومة القدسية بذكر البوعبدلي لها حيث أشار بفضلها في تعميم مذهب أحمد زروق، بعدما أفرغ في بوتقة روعي فيها الرأي العام المنقاد إلى فقهاء المذهب المالكي حيث برهنوا أنهم كانوا حماة الشريعة الإسلامية في أحرج الأوقات التي اجتازتها الجزائر[1]،

وقد كان انتشار مذهب زروق عن طريق محمد الخروبي وعبد الرحمن الأخضري، ومن المعلوم أن أحمد زروق عندما وصل إلى بجاية وجد الكثير من المبتدعين قد تقمصوا أثواب الصلاح والولاية فتصدى لمحاربتهم، وألف كتابه (قواعد التصوف) ثم (أصول الطريقة) ونظم عيوب النفس وبهذه المصنفات ضبط علم التصوف واجتث فكرة أن الحقيقة تخالف الشريعة وقام محمد بن علي الخروبي بنشر جل تآليف أستاذه زروق[2] التي تعهدها بالشرح والتعليق وأما الذي خلد تعاليم زروق ونشرها عند الخاصة والعامة فهو ولد تلميذه: عبد الرحمن الأخضري من خلال منظومته المسماة القدسية.

ـ محمد بن علي الخروبي:

ومن الشخصيات العلمية التي أسهمت في النشاط التعليمي بالجزائر محمد بن علي الخروبي الإمام المفسر الأصولي الفقيه الصوفي ولد بالقرب من طرابلس الغرب ثم رحل إلى تونس ثم

[1] ينظر المهدي البوعبدلي، عبد الرحمان الأخضري وأطوار السلفية في الجزائر، مجلة الأصالة، الجزائر، العدد53 جانفي 1978ص 27

[2] احمد زروق البرنوسي الفاسي دفين مصراته (ليبيا) ت 899هـ من علماء الصوفية أقام ببجاية وقسنطينة وتلمسان

استقر بالجزائر، وفي هذه المدينة اشتهر اسمه وشارك العلماء في مجالسهم[1] وكان خطيبا للجزائر. وله جاه عند أمراء بني عثمان، فقد استعملوه في السفارة بين المغرب الأوسط والمغرب الأقصى توفي بالجزائر ودفن بها سنة 963هـ ومن أبرز مؤلفاته:

تفسير القرآن، وكفاية المريد وحلية العبيد، وله الحكم الصغرى، وله كذلك أبيات الأمان في مدح خير عدنان، وله منظومة في أسماء النجوم ومن حكمه الصغرى[2] التي تشبه الحكم العطائية قوله:

(حب الدنيا سبب انحطاط الفقير عن الدرجة العليا)

(استبعاد حضور الأجل يكسل عن النهوض إلى الأعمال)

_(رؤية الأعمال حجاب عن شهود الجمال، وعدم اشتغال العبد بأنواع العبادات المشعرة برق العبودية لعدم علمه بحقوق الربوبية)

(إنما أوجدك لتربح عليه، لا ليربح عليك)

(يا ابن آدم أوقاتك أجزاؤك، كلما مضى وقت مضى جزء)

(إذا اتصف القلب بالمعرفة، صغر كل شيء سوى الله لديه، وهان كل شيء عليه واستوت عنده الأضداد)

(من أراد الإقلاع عن إتباع الهوى، والميل إلى الشهوات فليكثر من ذكر هادم اللذات)

وهي حكم موجزة العبارة تتضمن أفكار صائبة تقر بها العقول وتمتاز بوضوح أفكارها وجمال عباراتها وتهدف في مجملها إلى إصلاح النفوس وتوجيهها.

وللخروبي كذلك ابتهالات ومناجاة، وهذا النوع من الذكر والأوراد كثير في الشعر الصوفي اشتهر به بعض أقطاب الصوفية في البلاد العربية والإسلامية ومنه قوله:

"إلهي، لا خروج لي عن عبوديتك، وإن كنت من أوصافها بعيدا ولا براح لي عن بابك وإن كنت على حالة أستحق أن أكون بها عنه طريدا".

إلهي، أسرع لي بشائر الوصول ولا تفجعني بالقطيعة وعدم الدخول.

إلهي، اجعلني خليفة بي يهتدى، وإماما بي يقتدى[3]

---

[1] ينظر ترجمته في تعريف الخلف برجال السلف،ج2ص481 وينظر ترجمته تاريخ الجزائر العام ج 3 ص 109

[2] محمد بن علي الخروبي، الحكم الصغرى، دار كردادة للنشر والتوزيع بوسعادة ط2011 ص 17

[3] المرجع نفسه ص 29_ 30

وقد ترك الخروبي عدة أعمال في التصوف، وله تأثيره الديني على معاصريه، ومن أهم أعماله الصوفية، شرح الصلاة المشيشيه وأصول طريقة الشيخ زروق ورسالة في الطرق الصوفية .

وتمثل الأدعية والمدائح والتوسلات في الشعر الجزائري القديم جزءا من هذا التراث العربي الإسلامي الذي ظهر في الأدب العربي، وارتبطت نشأته بالفكر الصوفي. ففي هذا العهد الذي نحن بصدده أي القرن العاشر الهجري، عم فيه الجهل وطغت روح الجمود في الفكر والأدب، وانتشرت الخرافات والأوهام وكثرت الصنعة اللفظية والتقليد الأعمى للأقدمين وكان الانحطاط عاما في الأدب العربي[1] فكثر شعر الزهد والتقشف، ولاذ الناس بالطرق الصوفية، وانتشرت المدائح بالفصحى والعامية، وغلب شعر النظم في تناول حياة النبي صلى الله عليه وسلم، وكثر التوسل بالنبي وبالصحابة والأولياء في هذا العصر خاصة بعد أن بدأت الدول الغربية في شن حملات على السواحل المغاربية فاحتلت بعض المدن كوهران وبجاية وعنابة .... وإلى جانب هذا كثر الحديث عن الشوق إلى البيت العتيق وإلى المدينة المنورة تماشيا مع الاتجاه الصوفي السائد حينئذ فكثر نظم القصائد في المدائح النبوية ممزوجة بمدح الحكام العثمانيين والدعوة إلى محاربة الكفار.

_ عبد القادر بن محمد السماحي و منظومته الياقوتة:

ومن الشعر التعليمي الصوفي كذلك في القرن العاشر الهجري نجد منظومة الياقوتة التي نظمها العلامة الشيخ أبي محمد عبد القادر بن محمد بن سليمان بن أبي سماحة البكري المولود سنة 940 هـ والمتوفى سنة 1025هـ وهو ولي صالح تعلم في الزاوية الشاذلية كان كثير الترحال إلى وهران وتلمسان وعاش في الفترة التي احتل فيها الإسبان الشواطئ والمدن المغاربية من أهم آثاره منظومة الياقوتة في موضوع التصوف مطلعها:[2]

بدأت بحمد الله قصدا لنجح ما * أروم من استفتاح نظم القصيدة
وأهدي صلاة ثم أزكى تحية * على المجتبى الهادي شفيع البرية
صلاة وتسليما مجددا * إحاطة علم الله في كل لحظة
وبعد ففضل الله يأتيه من يشاء * بمحضي تفضل ومنّ ورحمة

[1] عبد الله الركيبي، الشعر الديني الجزائري الحديث، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،ط1 1981ص 48

[2] نسخة مخطوطة للياقوتة، عندي نسخة منها.

ومهما اجتبى عبدا سعيدا لقربه * تخيره وذلك ليس لعلـة
و يمنع من يشاء جل بعدله * ويحرم فيض الفضل من غير قلة

وهي منظومة طويلة تفوق 179 بيتا يختمها بالصلاة على النبي بقوله :

هو النبي المبعوث للخلق كلهم* وحامل اللواء كامل الشفاعة
وآله والأصحاب ثم جميع من * قفا نهجه القويم في كل وجهة

والطريقة الشيخية فرع من الشاذلية، ظهرت على يد الشيخ عبد القادر بن محمد بن سليمان بن أبي سماحة المعروف ب (سيدي الشيخ) دفين مدينة الأبيض سيدي الشيخ بولاية البيض،و أما والده محمد فهو دفين الشلالة ت 940هـ، وأما جده سليمان فهو دفين بني ونيف، حين كانت الجزائر تحت الحكم العثماني وهو العهد الذي شهد ازدهارا للحركة الطرقية بسبب التشجيع والاحترام العثماني لحركات التصوف عامة مما سهل لها الانتشار في الأوساط الشعبية[1]، وقد عرف أتباع مؤسس الطريقة ب(أولاد سيدي الشيخ) . و عرِف عبد القادر بن محمد كعالم متصوف وانتشرت الطريقة الصوفية بصفة خاصة بالمنطقة الجنوبية الغربية من الجزائر والمنطقة الجنوبية الشرقية وفي شرق المغرب الأقصى، واهتم بتكوين المريدين بعد أن أنشأ زاوية تدعى العباد تيمنا بعباد سيدي بومدين بتلمسان، وقد عرف بعلمه وتقواه وزعامته للطريقة الصوفية وله احترامه الخاص بين سكان المنطقة الجنوبية الغربية وقد أوصى مريديه باتباع الطريقة الشاذلية. وتقوم الطريقة الشيخية على :
إلزام المريدين بأذكار وأوراد يومية من أجل الحفاظ على الدين واجتماع المريدين وأداء صلاة الجماعة ولاسيما في البيئات الصحراوية.
ومن أبرز مميزاتها التقشف في المأكل والمشرب والمسكن، والزهد في الحياة وامتهان الحرف الحرة والتربية والتعليم .
يفتتح سيدي الشيخ عبد القادر بن محمد السماحي البوبكري تـ 1025هـ سلسلة شيوخه في منظومة الياقوتة بشيخه المباشر محمد بن عبد الرحمان صاحب زاوية السهلي تـ 990هـ وينتهي بها إلى رسول الله محمد بن عبد الله إلى جبريل عن المولى عز وجل، في قوله :[2]

[1] خليفي عبد القادر،الطريقة الشيخية، مجلة سلسلة القوافل العلمية، العدد 4 منشورات وزارة الشؤون الدينية الجزائر 2011 ص 15

[2] ينظر الياقوتة، مجلة سلسة القوافل العلمية العدد4 منشورات وزارة الشؤون الدينية الجزائر ص 163

فشيخ الشيوخ ذلك شيخ زماننا إليه انتهت فنون هذي الطريقة
فمن شيخنا عن شيخه عن شيوخه تسلسلت الأشياخ أهل العناية
فأولهم في الذكر شمس وجودنا وقطب النهى علومنا اللدونية
أبو عابد الإله يسمى محمدا إلى عابد الرحمان يعزى بنسبة
فبالراشدي اقتدى وعن الزروقي اهتدى عن الحضرمي ثم شيخ القرافة
عن ابن عطاء الله بحر علومنا عن المرتضى المراسي أحمد حلة
إلى الشاذلي السامي أبي الحسن الذي بحوز الكمال أضحى بحر الحقيقة
عن ابن مشيش قطب دائرة العلى عبيد السلام ذي العلوم الرفيعة
عن المدني المرتضى غوث زمانه أبي يزيد النحرير تاج الأحبة
عن الشيخ شيخه مريد شعيبهم أبي احمد السني بدر السعادة
أخي لذ به واضع سمعا لاسمه أبي مدين إمام هذي الطريقة
لقد أخذ الأسرار عن قطب غربنا الإمام أبي يعزى نور البصيرة

فندرك من خلال هذه الأبيات في منظومة الياقوتة سلسلة شيوخها وهي كما أوردها : محمد بن عبد الرحمان السهلي، أحمد بن يوسف الراشدي المليانى، أحمد زروق البرنوسي الفاسي، أحمد بن عقبة الحضرمي، أبو العباس الحسن القرافي، تاج الدين بن عطاء الله السكندري، أبو عباس أحمد المرسي، أبو الحسن الشاذلي، عبد السلام بن مشيش، المدني ابو فريد، عبد الرحمان العطار،أبو أحمد جعفر بن عبد الله بن أحمد الخزاعي، أبو مدين شعيب الحسني الأندلسي، أبو يعزا يلنر بن ميمون، أبو الحسن ابن حرزهم، أبو بكر يحي بن العرب الإشبيلي، أبو حامد الغزالي أبو المعالي الجويني، أبو طالب المكي أبو محمد الجريري، أبو القاسم الجنيد، السري السقطي بن المغلس، معروف الكرخي، داود الطائي، الحبيب العجمي البصري، الحسن البصري، علي بن أبي طالب عن النبي محمد الهادي صلى الله عليه وسلم، . والجدير بالملاحظة والذكر أن أوراد هذه الطريقة كانت تتلى في مسجد سيدي الشيخ بمدينة ورقلة بحي المخادمة مما يدل على انتشار هذه الطريقة في الجنوب الشرقي للجزائر.[1]

[1] نقلا عن رواد مسجد سيدي الشيخ بالمخادمة الذين أكدوا لي ذلك .

المؤسسات الثقافية في العصر العثماني:

وتتمثل في المسجد والمدرسة والزاوية والمكتبة، وكلها تبث الثقافة العامة والتعليم العام وكانت هده المؤسسات ينفق عليها من الأوقاف، والوقف مظهر إسلامي حضاري يدل على روح البذل والتكافل .

ومن أهم ما استعمل الوقف فيه العناية بالعلم والعلماء وطلبة العلم، خصوصا الفقراء منهم وذوي الحاجات كالعجزة والأيتام وأبناء السبيل والعناية بالمساجد والمدارسة والزوايا والمقابر .... وهو مصدر الحياة لنمو المؤسسات الثقافية آنذاك، وأغلب الحكام العثمانيين الذين تعاقبوا على حكم الجزائر بنوا مساجد أو كتاتيب أو زوايا، وهذا فيه دلالة على اهتمامهم بالدين وشعورهم بالواجب الديني والاجتماعي، ومن أقدم الواقفين خير الدين بربروس[1] و تتضح أهمية الوقف في الجزائر خلال العهد العثماني من خلال خدمة الدين والتعليم والتضامن الاجتماعي.

1* المساجد: كانت الجوامع والمساجد للعبادة والتعليم ومركز لتلقين الأذكار وأداء الصلوات باعتبارها أماكن للعبادة ونشر العلم، وهي منتشرة في أغلب المدن الجزائرية والأرياف، والعناية بالمساجد وكانت ظاهرة بارزة في المجتمع الجزائري المسلم فلا نكاد نجد قرية أو حي في المدينة أو القرية بدون مسجد فهو ملتقى العباد ومجمع الأعيان ومنشط الحياة العلمية والاجتماعية فهو قلب القرية في الريف وروح الحي في المدينة، وحوله تنتشر المساكن والأسواق والكتاتيب[2]

2* الزوايا: يتميز العهد العثماني في الجزائر بانتشار الطرق الصوفية وكثرت الزوايا في المدن والأرياف في الجبال والصحاري عاش أكثر المتصوفة يبثون عقائدهم ويلقنون أتباعهم الأذكار والأوراد مبتعدين عن مشاكل الحياة. مفضلين العزلة والعبادة يعلمون المريدين والعامة مبادئ الدين، فإذا اشتهر أحدهم أسس مركزا يستقبل فيه الزوار والغرباء وطلبة العلم ويتبرع الناس لهذا المركز ويسمونه زاوية سيدي فلان فإذا مات الشيخ دفن في الزاوية ويصير الضريح علامة عن الزاوية وكان الناس يقدسون الزوايا، وكانت كل مدينة محروسة بولي من الأولياء فاعتقاد العامة فهو الذي يحميها من العين ومن الغارات فهناك صلحاء

---

[1] ينظرسعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1 ط2011 ص . 235

[2] المرجع السابق،ص 246

تلمسان وصلحاء قسنطية والجزائر وبجاية .... وقد تحدث ابن مريم كثيرا عن صلحاء وأوليا تلمسان في كتابه الشهير البستان كما نظم البوني ألفيته (الدرة المصونة في صلحاء بونة) وكانت مدينة الجزائر عاصمة الدولة تعج بالزوايا والأضرحة والقباب المقامة على الأولياء والصالحين كزاوية وضريح عبد الرحمان الثعالبي وزاوية عبد القادر الجيلاني وزاوية سيدي أحمد بن عبد الله الجزائري صاحب المنظومة الجزائرية ....

كما كانت لبعض العائلات الكبيرة زواياها الخاصة مثل زاوية أولاد الفكون بقسنطينة بالإضافة إلى مئات الزوايا الأخرى في أرض الجزائر والتي كانت لها أهمية خاصة في ميدان التعليم ونشر الوعي الديني بين السكان، وفي بداية العهد العثماني كانت الزوايا عبارة عن رباطات أمامية ضد الأعداء، وكان المرابطون يقودون الأتباع في الحروب الجهادية وينصرون المجاهدين ويطعمونهم في زواياهم ويتحالفون مع الأمراء والمجاهدين من أجل الدين وحماية للبلاد، ولذلك تحالف بعضهم مع العثمانيين وقدموا لهم المساعدات وجندوا من ورائهم الشعب وجمعوا لهم المؤن والمعدات ورفعوا الراية المعنوية للمحاربين.

وكانت الزوايا تقوم بدور إيجابي في نشر التعليم بجميع مستوياته كزاوية الفكون في قسنطينة وزاوية مازونة وزاوية محمد التواتي ببجاية وغيرها...

3* المدارس: كثرت المدارس في الجزائر فقد كانت تلمسان عاصمة الدولة الزيانية قبل مجيء العثمانيين قد اشتهرت بوفرة المدارس والعلماء رغم تدهورها السياسي في بداية القرن العاشر وهذه المدارس أشاد بها الكاتب المغربي الحسن الوزان وأشاد بعناية أهل تلمسان بتشيد المدارس والإنفاق عليها عشية استقرار العثمانيين بالجزائر [1]

وقد وجد الفرنسيون فيها بعد الاحتلال 50 ابتدائية ومدرستين للتعليم الثانوي [2] ونفس الشيء في قسنطينة والعاصمة إذ كانت أقل وحدة للتعليم الابتدائي هي الكتّاب المخصص عادة لتحفيظ القرآن الكريم وتعليم مبادئ القراءة والكتابة للأطفال وكانت الكتاتيب منتشرة في جميع الأحياء تثقف وتربي الأطفال على قواعد الإسلام وتقوم بتحفيظ القرآن وتعلم مبادئ العلوم والقراءة والكتابة.

---

[1] ينظر حسن الوزان، وصف إفريقيا ،ط 2 دار الغرب الإسلامي بيروت ج2 ص 19

[2] سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ط2011ج1ص 275

4*المكتبات: كانت الكتب في الجزائر تنتج محليا عن طريق التأليف والنسخ أو تجلب من الخارج من الأندلس ومصر والحجاز وإسطنبول، وكان في الجزائر مكتبات قبل مجيء العثمانيين. فقد كانت تلمسان عاصمة علمية مزدهرة تؤلف الكتب وتنسخها وكذلك كانت بجاية وقسنطينة، بل إن إحدى الزوايا بمدينة وهران خلال القرن التاسع الهجري كانت تضم مجموعة من الكتب العلمية والآلات الجهادية أي مكتبة ومتحف في نفس الوقت[1] وكانت الكتب تنتقل مع الحجاج والعلماء إلى الأماكن البعيدة فقد روى العياشي في القرن11 الهجري أنه وجد في قرية قريبة من ورقلة لدى أحد الصالحين نسخة من (نوازل البرزلي) بخط الإمام ابن مرزوق وعليها إضافات بخط مشرقي لأتباع الطريقة القادرية[2]

وكان التأليف من الطرق الهامة لنمو المكتبات إذ لا نكاد نجد عالما إلا وله قائمة من المؤلفات في مختلف العلوم المعروفة ومن أشهر المؤلفين في تلك الحقبة محمد بن على الخروبي وعبد الرحمن الاخضري وأحمد الونشريسي وعبد الكريم المغيلي وأكثر المؤلفات مضمونها ديني من كتب التفاسير والأحاديث النبوية والفقه والتوحيد والعلوم اللغوية والأدب واللغة والصرف والبلاغة والتاريخ والجغرافيا والمنطق والفلسفة بدرجة أقل، وأغلب هذه المكتبات تعرضت للنهب والتهريب والإهمال بسبب الحروب والاحتلال.

[1] سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ط 2011، ج1 ص285 ، نقلا عن بن صعد ،النجم الثاقب، مخطوط

[2] العياشي،الرحلة، ج 1 ص 40_ 41

الفصل الرابع

دراسة الأسلوب في الشعر التعليمي الجزائري القديم

أ-دراسة الأسلوب : يمكننا التمييز في الشعر الجزائري القديم بين أسلوبين أو بين لغتين:

1-أسلوب الشعر التعليمي العام : لغة الشعر التعليمي العام ذاتية أدبية في عمومها، فإذا تتبعنا المولديات بصفة خاصة نجد لغتها تتسم بالشعرية المفعمة بالعواطف الفياضة تجاه شخصية النبي صلى الله عليه وسلم شوقا إليه وإلى المدينة المنورة حيث مسجده ومصلاه وآثاره المادية والمعنوية مثل ما جاء في قصيدة الشاعر الأديب محمد بن يوسف الثغري والتي مطلعها: [1]

سر المحبة بالدموع يترجم * فالدمع إن تسأل فصيح أعجم
والحال تنطق عن لسان صامت * والصَّب يصمت والهوى يتكلم
كم رمت كتمان الهوى فوشى به * جفن ينم بكل سر يكتم

وبعد هذه المقدمة الوجدانية المؤثرة يقول:

قسما بزمزم والحطيم وما حوى * من رحمة ذاك الحطيم وزمزم
وبحرمة الحرم الشريف ورفعة * البيت المنيف ومن ينجد خيموا
ومقام إبراهيم والركن الذي * تحمى به الآثآر ساعة يلثم

ثم يقول:

متنزل الوحي الذي يتلى فلا * سمع يمل ولا لسان يسأم
يتنزل الروح الأمين به على * خير الورى صلوا عليه وسلموا
شمس الرسالة والنبوة والهدى* بدر الجلالة نورها المتجسم
هو رحمة الله التي يهمي بها * في الخلق بالحق المبين ويحكم

فنلاحظ اللغة الوجدانية التي تحمل عواطف الحب لهذا الدين وللبقاع المقدسة وشخصية النبي صلى الله عليه وسلم، فالألفاظ لينة موحية بمعاني الإيمان والشوق إلى آثاره (الحرم الشريف، الحطيم، زمزم، مقام إبراهيم، البيت المنيف، الروح الأمين، حير الورى،صلوا عليه، شمس الرسالة، بدر الجلالة .... كلها ألفاظ ترتبط بالمكان الذي عاش فيه صلى الله عليه وسلم ألفاظ مستمدة من الثقافة والتاريخ الإسلامي، أما العبارات فبسيطة التراكيب سهلة المعاني كما لجأ الشاعر إلى التصوير عن طريق التشابه والاستعارات المتنوعة كقوله

[1] ينظر التنسي،نظم الدر والعقبان في بيان شرف بني زيان وذكر ملوكهم الأعيان، ومن ملك من أسلافهم مما مضى من الزمان ص 168_169

(شمس الرسالة، بدر الجلالة، سر المحبة، فالدمع فصيح أعجم، الهوى يتكلم، وشى به جفن) إن كثرة الصور بهذا الحجم في القصيدة توحي بشديد الحب، فهي تجسد المعاني في صور محسوسة وتوضح المعنى، كما نجد ألوان البديع التي أسهمت في تقوية المعنى وتوضيحه كالطباق والتصريع وجناس الاشتقاق في البيت الأول :

سر المحبة بالدموع يترجم * فالدمع إن تسأل فصبيح أعجم

وتعد هذه القصيدة من الروائع في شعرنا الجزائري القديم الذي يرتبط بمهبط الوحي مكة والمدينة، اعتمد فيها الشاعر على اللغة البسيطة، فألفاظها مألوفة موحية وجدانية وعباراتها متينة السبك ليس فيها عويص ولا مبهم والقصيدة من بحر الكامل الذي تناسب موسيقاه أجواء الشاعر النفسية، وأجزاؤه: (متفاعلن متفاعلن متفاعلن) وللشاعر قدرة تعبيرية فنية إذ برع في استخدام الروابط بدقة متناهية في التعبير عن المعنى فقد تفنن في استخدام حروف الجر و العطف كقوله :

يتنزل الروح الأمين به على * خير الورى صلوا عليه وسلموا

وقوله :

هو رحمة الله التي يهمي بها * في الخلق بالحق المبين ويحكم

وقوله:

رفعت لك الحجب العظيمة فاعتلى* بك للعلا ذاك المقام الأعظم

حتى سمعت صريف أقلام *بها* * في اللوح محفوظا تخط و ترسم

ونلاحظ النمط الوصفي في أسلوب الثغري من خلال كثرة النعوت والإضافات: (سر المحبة) (لسان صامت) (كتمان الهوى) (طير الكرى)(شكوى الصبابة) (الحرم الشريف) (الروح الأمين) (بالحق المبين)

إن كثرة النعوت والإضافات في القصيدة فيه دلالة على عواطف وأحاسيس الشاعر الفياضة يؤمن بها في يقين تام وإيمان صادق وحب عميق.

وأما بنية القصيدة فتتمثل في المطلع الغزلي المفعم بالشوق والمحبة، ثم حديثه عن الحرم المكي والمدني ثم عن الوحي الإلهي المتنزل على الرسول صلى الله عليه وسلم فيمدحه بعدة صفات بدءا من مولده وما أحدثه من تغير وتحولات في العالم كخمود نار الفرس وتضعضع الإيوان وسقوط أصنام مكة وانشقاق القمر، ثم أشار إلى بعض معجزاته كحنين الجذع إليه

ونطق الجماد ثم وصف جملة من أخلاقه. وينهي مديحه بالدعاء لينتقل بعد ذلك إلى مدح السلطان أبي حمو موسى الذي أقام ليلة الاحتفال وأعد لها .

والمولدية الثانية قالها الثغري سنة 771 هـ وتتضمن قيما تعليمية مطلعها:[1]

أقصر فإن نذير الشيب وافاني * وأنكرتني الغواني بعد عرفان

وقد تماديت في غي بلا رشد * والنفس تأمرني والشيب ينهاني

فقلت للنفس إذ طالت بطالتها * مهلا ألم يأن أن تخشى ألم يان[2]

كم من خطي في الخطايا قد خطوت ولم * تراقبي الله في سرّ وإعلان

فلا تغرّنك الدنيا بزخرفها * فيا ندامة من يغتر بالفاني

– في هذا المطلع حديث الشاعر إلى النفس يحذرها من التمادي في الهوى مع نذير الشيب مشيرا إلى الصراع داخل النفس بين داعي الهوى وصوت العقل والحكمة. بين مغريات الحياة الدنيا وفضائل الآخرة، ويحذرها من الغرور بزخارف الدنيا التي لا طائل من ورائها، إذ لا خير في شهوة يعقبها ندم، فالثغري ينشد طريق التوبة حين أحس بانفلات الزمن منه ويأمل المغفرة من الله .

فلغة محمد يوسف الثغري بسيطة في عمومها، توحي وتصور الصراع الداخلي والنفسي الذي يعتمل داخل نفس البشرية. تنوعت الأساليب بين الخبر والإنشاء فمن الخبر قوله (أنكرتني الغواني) (وقد تماديت في غني) (فقلت للنفس) بغرض تقدير حالته ووصف وضعيته النفسية، وأما الإنشاء فنجد: (أقصر) (مهلا) (فلا تغرنك) فاستخدم فعل الأمر، واسم فعل الأمر والنهي بغرض الحث والنصح والتوجيه للذات. وبغرض تجسيد هذا المونولوج النفسي استخدم الشاعر بعض الخيال البسيط ومنه الاستعارات المكنية (الشيب ينهاني) (فلا تغزنك الدنيا).

كما استخدم ألوانا من البديع في زخرفة أسلوبه، ومنه التضاد والتصريع في قوله:

أقصر فإن نذير الشيب وافاني * وأنكرتني الغواني بعد عرفان

(تأمرني /–/ ينهاني) (سرا /–/ إعلان) (في غي /–/ بلا رشد)

---

[1] الدراجي بوزياني، ادباء وشعراء من تلمسان ص 230_ 231

[2] سورة الحديد،الآية رقم16 ، فهو إقتباس من الآية (الم يان للذين آمنوآ ان تغشع قلوبهم لذكر الله.....)

الجناس الناقص (خطى– الخطايا)، فقد أدت دورها في إكساب هذا المطلع رنينا موسيقيا يتناسب مع الحالة النفسية للشاعر، كما نلاحظ ثقافة الساعر الإسلامية والتأثر بالقرآن والحديث من خلال استعماله للألفاظ القرآنية: (الغي، الرشد، النفس تأمرني) واستخدامه للآية القرآنية من سورة الحديد كذلك في قوله : (ألم يأن) فهو مآخوذ من قول الله تعالى { ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله }

ثم يتواصل هذا الجو النفسي من خلال الأساليب الإنشائية المتتابعة متمثلة في الأمر بغرض التنبيه والنصح وذلك في قوله :

واسلك سبيلا إلى التقوى لتقوى بها * على السلوك إلى جنات رضوان
وانهض لمغنى رسول الله تحظ بما * تشاء من خير أوطار وأوطان
واركب إليه جواد الجد مجتهدا * ولا تكن في السّرى والسير بالواني
يا مزمع السير نحو المصطفى عجلا* يحدو إليه بأحداج وأظعان
بلغ تحية مشتاق لروضته * إن الطليق يؤدي حاجة العاني

غلبت صيغة الأمر عليها مع استخدام الجناس لتشكل مع تفعيلات بحر البسيط الجو الموسيقي للقصيدة ككل التي تتناسب مع شوق الشاعر إلى الرحلة للحج ثم يعبر الشاعر عن شوقه للمدينة المنورة ويشرع في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم، وذلك ما نجده في قوله :

عندي لطيبة أشواق مضاعفة * أذبن قلبي وقد أنحلن جثماني
مهما تذكرت بعدي عن معاهدها * سحّت بوابل دمعي سحب أجفاني

و تتواصل الأبيات في الحديث عن نسيمها وريحانها وروضة الحبيب المصطفى ليخلص إلى المدح وطلب الشفاعة في قوله:

يا أفضل الخلق من عرب ومن عجم * وخير آت بآيات وفرقان
عساك يا خير خلق الله تشفع لي * يوم الحساب فإني مذنب جان
وانت لي أمل إذ ليس لي عمل * من التقى يقتضى ترجيح ميزاني
لعل حسن يقيني فيك يمنحني * شفاعة ويقيني لفح نيران

فكل ما يتمناه الشاعر هو زيارة للقبر الشريف، وأداء الحج والعمرة يعبر عن كل ذلك بلغة جميلة مؤثرة ألفاظها منتقاة وعباراتها بسيطة التراكيب واضحة المعاني يكثر فيها الإطناب

بالتكرار والترادف لأنها نابعة من عاطفة متألمة ونفس تمزقها الحسرة على الماضي وتنشد التوبة إلى الله.

ويغلب على القصيدة الأسلوب الإنشائي المناسب لمقام التوجيه والنصح والتحذير، وصيغ الإنشاء التي اعتمدها الشاعر تتراوح بين الأمر والنهي والنداء وكلها أساليب طلبية أما الأساليب الخبرية فتفيد الوصف والتقرير كقوله (قد تماديت في غي بلا رشد) (وأنت لي أمل) وقد جسد الشاعر بعض معانيه في صور بيانية جسدت المعنى كالاستعارة في قوله:

واركب إليه جواد الجد مجتهدا ولاتكن في السرى والسير بالواني

وفي قوله :

عندي لطيبة أشواق مضاعفة أذبن قلبي وقد انحلن جثماني

وقد وضح بهذه الصور أفكاره ومعانيه وانعكست فيها عاطفته.

ثم يعرج الشاعر إلى سرد معجزات النبي صلة الله عليه وسلم المتمثلة في حنين الجذع له وانشقاق البدر، وكلامه مع الحيوانات، وسيلان الماء من أصابعه بقوله :

وأي عذر لقلب لا يحن له * والجذع حن له تحنان لهفان

والبدر شق له والضب كلمه * والظبي والذئب تكليما بتبيان

وفاض ينبوع ماء من أنامله* بورده العذب روّى كل ظمآن

أعلى الورى من سرى ليلا لخالقه* بما له من علاء القدر والشان

أعظم بقدر رسول الله حين دنا* من ربه حيث قاص ولا دان

وعاد قبل ظهور الفجر منقلبا * عن قاب قوسين لم يخصص بها ثان

وفي خاتمة المولدية يعرج على مدح السلطان ابي حمو موسى الثاني الذي أشرف على تنظيم ليلة الاحتفال بالمولد في قوله :

فالسعد مقتبل والعز متصل* والدهر محتفل في زي جذلان

والملك مبتسم بالبشر متسم* من قام بالعدل فيه خير سلطان

أفاض في مولد المختار نائله* فانظر إلى ملتقى حسن وإحسان

موسى الخليفة والإجماع منعقد* عليه لم يختلف في فضله اثنان

كأنه للورى روح وهم جسد* ولا حياة بلا روح جثمان

له وقار نهي في طيه فطن * إن يرسل الظن يأتيه بإيقان

وبعد ان يفيض القول في صفاته الخلقية والشخصية يشير إلى جملة من أخلاقه وقيمه بقوله:[1]

تنهاه عفته عن أمر بطشته * يرعى الرعايا بعين العاطف الحاني
فالحق في الخلق جار في إيالته* مستضعف وقوى فيه سيان
أعاد دولة عبد الواد ثانية * حتى استقامت بأساس وأركان
يا ناظم الملك بالأموال ينثرها * كم كف كفاك من أزمات أزمان
نوالك الغيث إلا أن ديمته * صوبان من ورق محض وعقيان
وجيشك البحر لكن من عجائبه * عقبان خيل عليها أسد فرسان

ومن خلال هذا المدح المفعم بمشاعر التعظيم والتقدير للسلطان، المعبر عنه بالصور البيانية كالتشابيه والاستعارات كقوله: (نوالك الغيث) (جيشك البحر) (كأنه للورى روح) (والدهر محتفل) .... نلمس عواطف الحب والولاء للسلطان .

وهذه القصيدة النونية لمحمد بن يوسف الثغري في عمومها وجدانية لا تخلوا من رقة وسهولة وإيحاء. ليّنة وتعابيرها بسيطة، ولغتها ملائمة لجوّ القصيدة العام ذات جرس موسيقي عذب ينبعث من تفعيلات بحر بسيط : (مستفعل فاعلن مستفعل فاعلن) الذي تنسجم تفعيلاته مع عظمة الموضوع،وهو مدح المصطفى صلى الله عليه وسلم ثم مدح السلطان أو الخليفة الزياني أبي حمو موسى وذلك بالتركيز على الجوانب الشخصية المتمثلة في الصفات الخلقية والخُلقية وإيراد البطولات والمعجزات الخارقة للممدوح الأول وهو النبي وبطولات وانجازات الممدوح الثاني وهو السلطان.

ومن المعروف لدى الدارسين أن البحر البسيط يشبه الطويل ويلتقي معه في الموضوعات الجادة والجديرة بالاهتمام، ويمتاز بجزالة موسيقاه ودقة إيقاعه وهو يقترب من الطويل في الشيوع والانتشار في شعر المدائح الزيانية. كما ينسجم مع مشاعر الشجن والحنين والإنشاد الديني بشكل عام، إذ أن الاحتفالات بمناسبة الموالد النبوية تعتمد على الإنشاد ألمدائحي والسماع للمنشدين والمسمعين بمختلف أداءاتهم وإيقاعاتهم.

و أما القافية فهي من المكونات الأساسية للشعر العربي عموما وهي ضرورة في الشعر، لأنها شريكة الوزن في الاختصاص بالشعر، وجعلت القافية أهم شي في البيت الشعر العربي

[1] بوزياني الدراجي، أدباء و شعراء من تلمسان ، ص 235

بسبب التكرار والتوازي الذي يحسه ويشعر به المتلقى في النص الشعري. والقافية في الغالب الأعم تأتي متمة للوزن، إذ العلاقة بينهما عضوية. ففي المولديات الزيانية نجد أن التنويع على مستوى الوزن كان ثريا، صاحبه تنوع أخر على مستوى القوافي التي أكسبت الشعر جرسا ورنينا موسيقيا مكملا، وعلامة صوتية على انتهاء المعنى والانتقال إلى معنى أخر في البيت الموالي.

وهناك حروف رويّ كثرت في شعر المدائح الزيانية كالميم والنون والباء واللام ثم بنسبة أقل حروف الدال والراء[1]

ونلاحظ في القصيدتين السابقتين الميمية والنونية أن كليهما يعلّمان القيم الروحية والأخلاقية من خلال سرد صفات النبي صلى الله عليه وسلم ومعجزاته وأخلاقه،ومن خلال سرد بطولات أبي حمو موسى،و مواقفه وشيئا من صفاته ومميزاته الشخصية.

– هذا وقد تغنى عشرات الشعراء الجزائريين في العصر الزياني والعثماني بمدح الرسول صلى الله عليه وسلم، شأنهم في ذلك شأن ش سابقيهم من شعراء المدائح في العالمين العربي والإسلامي، وفي العصور السابقة كالعصر المرابطي والموحدي .....ألا أن أغلبهم كانوا مقلدين لمن سبقهم، وقد تميز منهم السلطان الزياني أبو حمو موسى، ومحمد بن أبي جمعة التلاليسي، ومحمد بن يوسف الثغري القيسي، ومحمد بن أحمد بن محمد بن مرزوق العجيسي المعروف بالحفيد ومحمد بن عبد الرحمن الحوضي، وأبو عبد الله محمد البطّيوي، والفقيه عبد المؤمن بن يوسف المديوني وغيرهم كثير، وفي القرن العاشر الهجري كتب في المدائح النبوية كذلك العلامة عبد الرحمن الأخضري، والعلامة عبد الكريم المغيلي.

فمن قصائد أبي حمو موسى المعروفة اللامية المولدية في سبعة وثلاثين بيتا مطلعها: [2]

دمع ينهل من المقل * لقبيح كان من العمل

وجوى في الصّدر له حرق* فالقلب لذلك في شغل

ونهيت النفس فما ازدجرت* وثناء الصبر فما حيلي

ناس ركبوا التقوى ولقد* ركبت نفسي طرق الزلل

[1]. ينظر، احمد موساوي، المولديات في الأدب الجزائري القديم، رسالة دكتوراه، جامعة تلمسان 2003 .

[2] المؤلف مجهول،زهر البستان في دولة بني زيان ،ت محمد بن أحمد باعلي، الأصالة للنشر ط 2 2012 ص 47

وبعد هذا المطلع الشجن بسبب الإحساس بالتقصير ووطأة الآثام أدى به إلى البكاء ندما على ما سلف من الزمان فيقول:

أبأذني الوقر فما سمعت * والذنب تكاثر من خلل

ليلي سهر يومي فكر *دمعي درر برء العلل

ولا منقذ للمبتلى بالذنوب إلا الله عز وجل بإعلان التوبة النصوح والندم على ما فات فيقول:

من ينقذني من يسعدني * من يرحمني من يغفر لي

إلا مولى يسدي الطولي* رب الأعلى شافي عللي

منشي الرمم ومعطي القسم * باري النّسم محي الدول

إلى أن يقول شاكرا المولى عز وجل الذي أحيا دولة بني عبد الواد به :

الله قضى والحكم مضى * ولنا فرض فدعوا عزلي

فله الشكر وله الأمر * منه النصر لا من قبلي

حمّلني الملك ومن يقوى * حملا ما فيه من الثّقل

إلا بمعونة خالفنا * مولى النعماء وخير ولي

وهنا تبدوا قيمة عقائدية إيمانية وهي إرجاع الحول والقوة والقدرة إلى الله عز وجل وحده وشكره وحده في إنجاز المهام وتسيير الدولة والقيام بشؤونها، وهذا اعتراف واضح وإيمان راسخ لدى السلطان أبي حمو موسى الثاني يدل على ثقافته الدينية وارتباطه بعقيدة الإسلام.

ثم يذكر في نفس القصيدة اللامية مبادئه وسياسته مع العامة والخاصة فيقول موضحا برنامجه السياسي الاجتماعي :

أحمي المظلوم وأنصره * وأقيم الحق على عجل

أنزلت الناس منازلهم * وتركت الظالم في وجل

فأنا للطفل كوالد * وأسوق الشيخ على مهل

والرفق كذلك من شيمتي * والعدل به أعطي أملي

وأنيل القاصر حاجته * وأحيل المال بلا ميل

ثم يختم قصيدته بذكر فضل الله عليه ومنته فيقول :

فبفضل الله ورحمته * أرشدت إلى أهدى السبل

و أنا أرجو من منته * أن يغفر لي يوم الخجل
بعناية أحمد سيدنا * وهو المبعوث إلى الملل
مبدي الإسلام ومظهره * علم التقوى خير الرسل

إن الرعية حين تسمع رئيس الدولة يشيد بالقيم الروحية والأخلاقية، ويعلن أمامها برنامجه السياسي والاجتماعي والاقتصادي والمتمثل في:

(حماية المظلوم، إقامة الحق، إنزال الناس منازلهم، الاقتصاص من الظالم، رعاية الضعفاء أطفالا وشيوخا، والرفق بالناس وإقامة العدل بين الرعية و المساواة إلى درجة نيل القاصر حوائجه، وتوزيع المال على مستحقيه، بعيدا عن الفساد والهوى) فمن دون شك، ستترك هذه القيم أثرها الفعال في الناس حبا للسلطان وتقديرا واتخاذه قدوة يقتدى به وتنتشر الأخلاق والقيم الإيجابية في المجتمع فيتعلم الناس منها فعل الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والناس على دين ملوكهم كما ورد في الأثر. ومن القيم التعليمية المستفادة من هذه القصيدة كذلك بكاء الأمير لقبيح فعله وندمه على آثامه وإعلان أمله أن يركب سفينة المتقين وأن يتوب إلى الله وأن لا أحد ينقذه إلا الله، كل هذا سيثبت العقيدة في النفوس ويقوي الاتصال بالله ويبدوا ههنا في هذه القصيدة أن السلطان أبي حمو موسى يريد أن يحي ما كان عليه السلف الصالح من الخلفاء الراشدين في فترات الممالك والحكومات الراشدة المتعاقبة التي كان شعارها:

إعلان العبودية لله والبراء من الحول ومن القوة إلا بالله، وإعلان التبعية للرسول صلى الله عليه وسلم شفيع الأمة وقائدها ورمز التقوى والعدل.

وتتميز القصيدة بموسيقاها الخفيفة المتأتية ومن تفعيلات البحر المتدارك القائم على تفعيلة (فعلن) مرة بكسر العين وأخرى بسكونها، وهو أحد الزحافات التي تلحق تفعيلات المتدارك وأما لغتها فمألوفة وعادية في اغلبها، يغلب عليها الأسلوب الخبري المفيد للتقرير، وسرد حقائق عايشها الأمير القائد كالاعتراف بنعم الله وفضله عليه كما توحي بشخصية الأمير التي غلب عليها التوجه الديني الإسلامي إذ نلاحظ في هذه القصيدة وغيرها من القصائد في الشعر الجزائري القديم وخصوصا في شعر الزهد والمدائح الدينية شيوع المعجم الديني المرتبط بالإسلام ينظر مثلا الألفاظ التالية : (التقوى، الذنب، نهيت النفس، ربي الأعلى، منشي الرمم، معطي القسم، باري النسم، الله قضى، له الشكر، منه النصر، بمعونة خالقنا،

مولى النعماء، الرفق، العدل، فبفضل الله ورحمته، يغفر، خير الرسل ....) فلقد اختيرت هذه الألفاظ لتناسب هذا المقام بالاعتراف بفضل الله والمعبرة عن محبة الرسول الكريم، كما يثبت هذا النص ثقافة الشاعر الإسلامية وحضور الذات الإلهية في حياته توحيدا وعبودية وخضوعا له ورغبةً فيه ورهبةً منه.

وحين حفظ أبو زيان محمد ولد أبي حمو موسى الثاني سورة البقرة أقام أبو حمو حفلا بهذه المناسبة، فأنشد الثغري قصيدة في مدح آل زيان منها: [1]

تهلل وجه الروض وابتسم الزهر * وغارت به في أفق الأنجم الزهر

وضاحكت الأرض السماء مسرة * وقابلها من كل ريحانة ثغر

إلى أن يقول:

و إن أبا زيان زين لذاته * زكا منه نجل حين طاب له نجر *

وقد حذق القرآن حذق مجود * فأشرق منه القلب وانشرح الصدر

فيا ملكا فاضت أشعة نوره * فأشرق منها للعلا أنجم زهر

وهي قصيدة جميلة الإيقاع حسنة المضمون اختار لها الشاعر تفعيلات بحر البسيط وروي الراء المضمومة ضمنها العديد من الصور البيانية المجسدة لمعاني القصيدة كالاستعارات المكنية التي تبين فرح الطبيعة والناس بحفظ القرآن في قوله : (تهلل وجه الروض) (ابتسم الزهر) (وضاحكت الأرض السماء مسرة) (ومالت قدود القضب زهوا) وهذه الاستعارات المتتابعة توحي بجو المسرة والفرح بهذا العمل المثمر وأسهمت الألوان البديعية المستخدمة في القصيدة في إضفاء النغم الموسيقي للقصيدة كالتصريع والجناس في البيت الأول بين (الزهر، الزهر) والجميل في القصيدة أن الشاعر اتخذ من مظاهر الطبيعة وسيلة للتعبير الفني وتشخيصا للمعاني مع اختيار المعاني الموحية والإكثار من النعوت والإضافات.

ومن المولديات التي تضمنت أحداثا من سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم فتحدثت عن المعجزات التي أكرمه الله بها قول الفقيه أبي محمد عبد المؤمن بن يوسف المديوني الذي عاش

---

[1] عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي، دار العلم للملايين بيروت ط1 1983 ج 6 ص 538

* الثغري : ولد الثغري بتلمسان ونشأ فيها وكان وثيق الصلة ببلاطها من شعراء القرن الثامن الهجري

* النجر : الأصل

خلال القرن الثامن الهجري ومن قصيدة طويلة مطلعها :[1]

مدح النبي المصطفى العدنان * هو عدتي لقيامتي وكفان

صيّرته شغلي وغاية مقصدي* حتى جرى بجوانحي وجنان

وسخت محبته بقلبي فاكتفى * وجرت مجاري الروح من جثمان

لما لا وهو خير العباد المرتضى * وأحلى من وطء الثرى ببنان

الهاشمي الأوفى الكريم المجتبى * من جاء بالنور وبالبرهان

والشاعر هاهنا يعتقد أن مدح النبي هو عدته يوم القيامة وهو شغله في الحياة الدنيا وغايته، ثم يستمر الشاعر في تعداد خصاله وصفاته فهو زين القيامة والشفيع المشفع ورسول البشرية جمعاء ودليل الجنة ومن أجله خلقت السماوات والأرض وكل شيء خلق من أجله في اعتقاد الشاعر عبد المؤمن بن يوسف المديوني ليتحدث عن ليلة ميلاده فيقول:[2]

وضعته أمه لم تجد في وضعه * ألما كما يأتي إلى النسوان

في ليلة أهدت لنا كل المنى * بظهور خير الخلق من عدنان

أربيع زرت زيارة محمودة * أزهارها عبقت بكل مكان

ثم يوضح نزول الوحي عليه صلى الله عليه وسلم وقيامه بالدعوة إلى الإسلام بقوله :

وأتاه وحي صادق من رّبه * ودعا إلى الإسلام والإيمان

ثم يعدد معجزاته التي خصه الله بها بقوله:

كم ذل له من معجزات جملة * ظهرت وما خفيت على إنسان

منها الذراع بسمّها قالت له: * يا احمد المحمود يا ذا الشان

لا تأكلن اللحم سمّي قاتل * من فعل أهل الزيغ والعدوان

والجذع حن له بمحضر صحبه * ويكابد مع ساجم بهتان

والبدر أكبر آية في شقه * دلت عليه لمن له عينان

ثم الغمامة فوقه مهما يسر * هذا لعمرك أعظم البرهان

والضب خاطبه ونادى معلنا * حييت يا من خص بالفرقان

والماء حتى من أصابعه جرى * فروى جميع الجيش دون توان

---

[1] المؤلف مجهول ،زهر البستان في دولة بني زيان، ص 44_ 45

[2] المصدر السابق، ص 46

ثم الحجارة كلمته بلا امترا * من غير جارحة وغير لسان

وكعادة المولديات يختتم المولدية بالدعاء للخليفة أبو حمو الثاني ويمدحه بالصفات الخلقية السامية فيقول :

وانصر بجاهك يا مجيب إمامنا * خير الملوك وسيد الشجعان

ملك همام في الحروب غضنفر* مفني العداة بمرهف وسنان

قهر الملوك بمشرق و مغرب * وسما على الأملاك من قحطان

تاج العلى بدر الدجى سيفدى * كهف الضعيف وملجأ اللهفان

وهذه القصيدة من بحر الكامل (متفاعن متفاعن متفاعلن) مع بعض الزحافات التي تلحق التفعيلات، فتفعيلة بحر الكامل (متفاعلن) تأتي بحركات ثلاثة في الحروف الثلاثة الأولى وقد تتحول إلى متفاعل بحركة وساكن وبعدها متحرك. وقد تأتي التفعيلة في أخر الشطر على متفاعل بالوقوف على الساكن، وهذا التغير قد يعطي حركة وجرسا موسيقيا متنوعا من حيث أن الزحاف والعلة في الأوزان الشعرية وعلاقتها بالألفاظ يعد عاملا من عوامل التنويع في الشعر وتطويع التفعيلة لتناسب الفكر المحتوى في الألفاظ.

كما نلاحظ الجانب التعليمي في مولدية القاضي أبي عبد الله محمد بن أحمد الحسني الشهير بابن يعلى* التي أنشدها عام 761 هـ و يتجسد من خلال سردها للحوادث التاريخية في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم من خلال قصيدته الرائية ومطلعها : [1]

ظهرت فأظهرت السرور الأبهر * وسمت فأخفضت الهلال الأزهر

إلى أن يقول متحدثا عن المولد النبوي وما حدثت فيه من معجزات :

لله منها ساعة مسعودة * جاءت بمنتها بعيش أخضرا

جاءت بأحمد هادي ووأمهل * ومبشرا ومحررا ومطهرا

خضعت ركاب المشركين لبعثه * وتضعضع الإيوان منه وكسر

وكذاك نيران المجوس بفارس * خمدت لمولده لما قد سطر

---

[1] المرجع السابق، ص 84_85

* أبي يعلى: من شعراء و فقهاء تلمسان في القرن 8 الهجري

ونلاحظ ها هنا أن هذه المعجزات أشار إليها كل الشعراء الذين كتبوا مولديات، فكانت تتكرر في جميع القصائد . وبعد أن يشير إلى تفجر الماء من أصابعه وتسبح الرمل بكفه، وكلامه مع الظبي والضب وشكوى البعير إليه يتضرع إلى الله عز وجل أن يغفر ذنوبه وأن يبلغه زيارة المدينة المنورة ليتحول في خاتمة القصيدة إلى خطاب أبي حمو موسى الثاني يسأله المساعدة في تحقيق آماله بقوله :

مولاي حظّي من رجائك حظّني * فوقفت منه بكل موقفة العرا

وباب جودك يا مليك مطيتيّ * أوقفت أرجو منك موقرا

لتمدني بالعون منك إذا دنا * ركب إلى نزْل الربوع مثمرا

والجانب التعليمي في فن المدائح عموما، هو بث الثقافة الإسلامية وتذكير الناس بسيرة المصطفى مولدا ونشأة مع إبراز ما أكرمه الله به من نزول الوحي وتكليفه بالرسالة ومعجزاته الخاصة المستوحاة من كتب السيرة. هذا وقد ارتبطت المدائح النبوية بشخصية السلطان أبي حمو موسى الزياني الذي كان يعظم ليلة المولد النبوي فيقيم لها احتفالا خاصا بقصره في تلمسان، فقد كان مدركا للآثار الحميدة، التي تعود على مملكته بإقامة هذا الاحتفال وغيره من الاحتفالات التي أولى لها عناية بارزة، كإنشاء بعض المؤسسات الدينية والاحتفال بختم ولده أبي زيان سورة البقرة، فحضوره المستمر فيها يزيد من وزنه والتفاف الآخرين حوله كما يكسبه قدرة على السيطرة والاستمرار في مواجهة التحديات الخارجية والداخلية .[1]

والجدير بالإشارة أن كثيرا من المعاني والموضوعات التاريخية والثقافية والدينية قد تقاطعت أو تداخلت أو تناصت مع ما جاء به القرآن والحديث وكتب السنة والسيرة النبوية. بل من النادر جدا أن يخلو أي موضوع من هذه المصادر ، وهذا بغرض منح ابداعاتهم القوة والرصانة معنى وأسلوبا. فلا تكاد تخلو أي قصيدة مولدية من معاني : الحلم والمغفرة والسؤال إلى الله أن يغفر الذنوب، ويعفوا عن السيئات، وكذا طلب الهداية إلى الطريق المستقيم، والإقرار بالمعاصي التي يرتكبها العبد، وكذلك ينبغي على الإنسان أن يديم النظر و التفكير في نعم الله العظيمة التي منحها للمخلوقات التي يجب أن تقابل بالشكر .

[1] صابرة خطيف، فقهاء تلمسان والسلطة الزيانية، ص 237

_مولديات أبي حمو موسى الثاني نموذجا :

أورد التاريخ الأدبي إحدى عشرة قصيدة، خصصها أبو حمو لهذه المناسبة ابتداء من سنة 760هـ إلى غاية 771 هـ وسميت بالمولديات، ومن المعروف أن أبا حمو قد كان يبالغ في هذا الاحتفال . وقد ذكرت المصادر طريقة الاحتفال سبق وأن أشرت إليها فيما سبق، وجاء ذكرها في المصادر المعروفة، كتاريخ التنسي وبغية الرواد ليحيى بن خلدون، ونفح الطيب للمقري ج6.

مضمون المولديات: تضمنت المولديات الزيانية في عمومها :

- ذكر القران الكريم .
- تسبيح الحصى في كفه.
- قصة الإسراء والمعراج .
- دعاء الاستسقاء .
- انشقاق القمر.
- طلب الشفاعة بالنبي.
- حبس الشمس.
- مدح أمير البلاد.
- فوران الماء مابين أصابعه .
- نطق الحيوان والنبات والجماد (الضب، الغزالة، البعير، الذئب، أنين الجذع وحنينه)

هذا وقد سار أبو حمو موسى في مولدياته على النهج الذي سلكه الشعراء في العصور السابقة، بحيث كان يفتتح بعض قصائده بالغزل والتشبيب أو ما يوحي بحبه وشوقه إلى النبي محمد صلى الله عليه وسلم. وأما من حيث المضمون فقد تضمنت مدائحه كسائر الشعراء إظهار بعض المعجزات التي حدثت عند ميلاده صلى الله عليه و سلم ، وذكره لشهر ربيع الأول وشفاعته للخلق يوم الحساب ووصف ركب الحجيج والشوق بلهفة إلى زيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم ففي قصيدته (نام الأحباب) [1] التي أنشدت في سنة 760هـ مع بداية حكمه تعرض أبو حمو فيها إلى ذكر نذير الشيب والندم على ما فات من العمر في الاغترار بالدنيا، وطلب غفران الذنوب التي لا يغفرها إلا الله راجيا شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم مطلعها :

[1] عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى الزياني حياته وآثاره، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع 1994ص 341

نام الأحباب ولم تنم * عيني بمصارعة الندم

والدمع تحدر كالديم * جرح الخدين فوا ألمي

وجزرت النفس فما ازدجرت * ونهيت القلب فلم يرم

ونذير الشيب لقد وافى * وحلول الشيب من الهرم

والعمر تولى منصرما * آه للعمر المنصرم

ثم يشير إلى الدنيا وزخرفها وغرور النفس بها بقوله :

والدار تغر بساكنها * ويح المغرور بها النّهم

يا نفس خدعت بزخرفها * كم تغترين بها وكم

يا رب ذنوبي قد عظمت * فامنن بالعفو لمجترم

وهي قصيدة تمتاز بسهولة الألفاظ وبساطة العبارات وقصر الجمل توحي بذات تتحسر على ماضيها وتعلن توبتها ندما على ما اجترحت من خطايا وبكاء على ما اقترفت من آثام رغم نذير الشيب وبسبب الاغترار بالحياة الدنيا ليسال الله العفو عن جرائمه التي اقترفها . وقد صاغها الشاعر بأسلوب مباشر لا خيال فيه. وموسيقى النص خفيفة من بحر المتدارك وتفعيلاته (فعلن، فعلن فعلن، فعلن)

وفي قصيدته (قفا بين أرجاء القباب) التي أنشدت سنة 761 هـ وهي من بحر. الطويل يبدأها بالنسيب وهي مقدمة طللية على عادة الشعراء القدامى ثم يتطرق إلى بقية المضامين الواردة في القصيدة السابقة ومطلعها :[1]

قفا بين أرجاء القباب وبالحي * وحي ديارا للحبيب بها حي

ثم يقول معبرا عن شوقه لزيارة الحبيب محمد صلى الله عليه سلم

وأصبوا إلى أرض الحبيب ومن بها*متى ما سرى عرف النسيم الحجازي

وبقية الأبيات صيغت كلها بلغة وجدانية رقيقة تنم عن ذات تحب الله ورسوله وتتشوق إلى المسجد الحرام والمسجد النبوي ويختمها بالدعاء.

وفي سنة 762هـ وبمناسبة الاحتفال بالمولد النبوي نظم قصيدته(نزلتم من فؤادي منزلا حسنا) جاء في مطلعها :

نزلتم من فؤادي منزلا حسنا *وكل ما ساءني في حبكم حسنا

[1] المرجع السابق، ص 345

ويختمها بقولها :

أهلا بمولد خير الخلق حين بدا * وفاض منه على الآفاق نور هدى

أرجوا شفاعته يوم الحساب غدا * يا رب صلي عليه دائما أبدا

وفي سنة 763هـ ينظم أبو حمو قصيدته (ألا ما لصب مشوق) ونجد فيها حزنا وهما بعد انهزاماته في بعض حروبه، فيذكر فيها بعض مصائبه التي لجأ فيها إلى استدعاء التاريخ القديم ليسلي نفسه.

وفي مقابل ذلك يتذكر انتصاراته ثم يجد الحل في الصبر والتجلد، والتوسل بالرسول محمد صلى الله عليه وسلم في قصيدته (خليلي قد بان الحبيب)

ومطلع القصيدة الأولى التي سيطرت فيه الهموم والأحزان إثر انتكاساته مطلعها قوله : [1]

ألا ما لصبّ مشوق صبا * إذا ما تذكر عهد الصبا

مشيرا إلى أحزانه بقوله :

شجونا تهيج لهيب الحشى * فوقد الجوى فؤاده شيبا

ثم يشكو الدهر بقوله:

لقد كنت والدهر لي مسعدا * فأغضبني ليت ما أغضبا

و أما القصيدة الثانية فمطلعها :[2]

خليلي قد بان الحبيب الذي صدا * وقد عاقني صبري فلم أستطع ردا

وسالت دموعي فوق خدي هواملا * وقد صيّرت فوق الخدود لها خدا

قد اصفر لوني بعد حسن شبيبتي * كما ابيض رأسي بعدما كان مسودا

إلى أن يقول داعيا الله عز وجل ومتوسلا بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم :

إلهي هب لي منك عفوا ورحمة * فمازلت يا مولاي تبلغني القصدا

وعبدك موسى لم يزل فيك راجيا * ومن شيم المولى بأن يرحم العبدا

توسلت بالمختار من آل هاشم * أجرني من النار التي أضرمت وقدا

إلى أن يقول :

هو الذخر للهول الشديد إذا أتى * ومن ذا سواه للمخاف إذا اشتدّا [1]

---

[1] المرجع السابق، ص 378

[2] ينظر، المرجع السابق، ص 381

فمن حيث المعنى نجد أن أبا حمو يطلب النصر من الله، لأنه في ضيق وحرج كما يستدعي أحيانا قصص بعض الأنبياء، الذين نجاهم الله كأيوب ونوح ويونس ويوسف ويعقوب وإبراهيم، وموسى وأمه، ثم صاحب الغار محمد صلى الله عليه وسلم الذي يذكر معجزاته المتعددة وشفاعته التي تعم الخلق، ثم يصف ركب الحجيج، وفي استدعائه للحوادث التاريخية تسلية للنفس وتجاوز للمحن والمصائب ويدل هذا الاستدعاء على عميق إيمانه بالله ورسوله، خصوصا أن عصره هو عصر انتشار الأفكار الربانية وشيوع التصوف . وأما خواتيم قصائده فكان في الغالب صلاةً وسلام على النبي المختار ودعاء للمولى عز وجل بالمغفرة والنصر .

_منهج مولديات ابي حمو. :

كان أبو حمو موسى مقلدا للشعراء السابقين خصوصا في افتتاح قصائده بوصف الأطلال والمتمثل في التشبيب أو الغزل ثم يتطرق إلى الموضوع العام الذي تندرج تحته عدة موضوعات كشأن القصيدة القديمة التي لا تتسم بوحدة الموضوع كما نلاحظ ظاهرة الاقتباس من القرآن كمثل قوله:

وأشرقت الآفاق بالنور عندما * بدا وجه خير المرسلين ولاحا

فهو مأخوذ من قول الله تعالي " وأشرقت الأرض بنور ربها "[2]

وفي قوله :

ويا من يجيب نداء المضطر في الديج*ويكشف الضر عند الضيق والهوج [3]

فهو مأخوذ من قوله تعالي" أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء"[4]

وفي قوله :

مضى العمر يا حسرتي في الضلا * ل واشتعل الرأس منه شيبا [5]

---

[1] ينظر، يحي بن خلدون، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، ت بوزياني الدراجي ،ج2 ص423_425

[2] سورة الزمر، الأية 70

[3] عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى الزياني، ص 362

[4] سورة النمل ،الآية 62

[5] عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى الزياني، ص 366

فهو مأخوذ من قوله تعالى " واشتعل الرأس شيبا " [1]

وتدل كثرة استخدامه للآيات القرآنية واقتباساته المتعددة على رصيده الثقافي والديني واللغوي وهذا بفضل حفظه للنصوص القرآنية وتأثره الواضح بالثقافة الإسلامية والأدب واللغة العربية، فأبو حمو كان حاكما مثقفا أديبا شاعرا .

_التصويروالصنعة اللفظية في عصر الزيانيين :

يكاد منهج المولديات أن يكون متشابها في الأدب الجزائري القديم عصر الزيانيين، فقد دأب الكثير من شعراء هذه الفترة على الاستئناس بذكر الأماكن والآثار النبوية والحجازية بشكل عام خصوصا الحرمين الشريفين ومحيطهما، وهي أماكن تثير الأشجان وتحفز القرائح وتطلق الألسنة لان أفئدة المسلمين جميعا والجزائريين خصوصا تهفو إليها، وإيرادها في المولديات ينبئ بالموضوع الرئيسي ويمهد للمضامين الأخرى بعد ذلك، فنجد شاعرا يدعو بالسقيا لتلك المرابع، وآخر بتحسر لبعدها، وآخر يذكر أن الشيب أدركه ولم يدركها،وكل هذا متسق مع الجو المحاط بالورع والخشية والتقى.[2]

وكانت المدائح النبوية التي نشأت منذ القرن الأول للهجرة وانتشرت في أرجاء البلدان الإسلامية مدرسة توجيهية تربوية ووسيلة لبث القيم التاريخية والروحية والأخلاقية، وترغب في إتباع الأمة قدوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والتمسك بخصاله وسنته وشمائله.

ومن ثم أصبحت المدائح فنا شعريا مستقلا له خصائصه الفنية والأدبية.

والصور الفنية في المدائح الجزائرية لها أثرها الهام في إثراء المعاني ودلالاتها، بما تحققه من جمع للحقائق المتباعدة عن طريق التشبيه والاستعارة التي تعد ركن الصورة الأساسية، فبواسطة التشبيه والاستعارة ينتقل المعنى من دلالة إلى أخرى. وقد كثر فن التصوير في المدائح النبوية بحيث نجد الشعراء الجزائريين يبذلون جهدهم في احترام مبدأ الوضوح في أثناء إبداع الصور الشعرية لحرصهم على إيصال معانيهم إلى المتلقين. فالتشبيه يخرج به الشاعر من التقرير إلى التصوير واضعا نصب عينه حسن التقدير والتمييز، والتشبيه وسيلة

---

[1] سورة مريم، الآية رقم 4

[2] ينظر،مقالة أحمد موساوي،الموروث الشعري، مشروع بحث الموروثات الأدبية في الجزائر ص 52

فنية تقرب حقيقتين مختلفتين على شرط الانسجام داخل السياق العام.وما ينشأ من دلالات وإيحاءات، ومن الصور التشبيهية قول أبي موسى الزياني:[1]

والدمع تحدر كالديم * جرح الخدين فوا ألمي

وقوله:[2]

لقد حق لي أبكي على فرط زلتي* وأسكب دمعا كالعقيق علا الخدّا

والتشبيه كذلك في قول محمد بن يوسف الثغري:[3]

دنياي مثل الحلم من تجريب* ولغاية مجهولة تجري بي

والتشبيه في قول أبي عبد الله محمد بن أبي جمعة التلالسي يصف تلمسان:[4]

لها بهجة تزري على كل بلدة* بتاج عليها كالعروس إذا تجلى

فيا جنة الدنيا التي راق حسنها* فحازت على كل البلاد به الفضلا

ففي التشبيه الأول يصور أبو موسى حالته النفسية جراء الشعور بالندم ووخز الضمير، فظل يبكي على تفريطه فشبه هذا البكاء المتهاطل وكثرته بالمطر، وفي البيت الثاني يصور دمعه كأنه عقيق على الخد، وأما الثغري فيشبه هذه الحياة الدنيا في سرعتها و ما مضي منها كأنها حلم. وأما التلالسي فيصف جمال تلمسان الأخاذ بالعروس في زينتها فتلمسان هي جنة الدنيا. وكل هذه التشبيهات وغيرها كثير في المدائح تقرب المعنى وتجسده في صور محسوسة. ومن أشكال التشبه الأخرى التي استخدمها الشعراء التشبيه البليغ الذي يعد أرقى أنواع التشبيه وهو تشبيه تحذف فيه الأداة ووجه الشبه مما يجعل المشبه والمشبه به كأنهما شي واحد مثل قول التلالسي في وصف أبي حمو موسى الثاني:[5]

مطاع شجاع في الوغي ذو مهابة*حسام على الباغين وفي الأرض قد سلا

فهنا الصورة التشبيهية مطابقة بين السلطان والحسام وكأنهما شي واحد وبخاصة لما حذفت أداة التشبيه مما جعله أكثر بلاغة وأكثر قدرة على التعبير، فهو سيف مسلول على البغاة والظالمين في الأرض.

---

[1] عبد الحميد حاجيات، ابو حمو موسى الزياني حياته وآثاره،ص 341

[2] المرجع نفسه،ص 382

[3] ينظر، محمد الطمار، تاريخ الأدب الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع1981ص 282

[4] المرجع نفسه،ص 285

[5] المرجع السابق ،ص 285

وهذه التشبيهات لها دورها الفني والجمالي في ترابطها مع عناصر النص الأخرى. وأما الاستعارة فهي ركن أساسي في الصورة الشعرية من خلال عمليتي الجمع والتقريب بين حقيقتين متباعدتين، كما أنها تحقق عملية النقل والانتقال في دلالة الألفاظ، وتتميز كذلك بالتماثل والمشابهة، وحسنها يكون بمقدار مابين المشبه والمشبه به من التقارب والتماثل وتصور الجمع بينهما ذهنيا، وكما كثر التشبيه في المدائح النبوية الجزائرية كثرت الاستعارات بشكل ملفت للانتباه ومنها قول الشاعر التلالسي في وصف تلمسان :

سقى الله صوب الحيا هاطلا وبلا* ربوع تلمسان التي قدرها استعلى

ربوع بها كان الشباب مصاحبي* جررت إلى اللذات في دارها الذيلا

فكم نلت فيها من أمان قصيّة* وكم منح الدهر الضنين بها النيلا

ومن الاستعارات المكنية قول الثغري مستخدما التعبير بالطبيعة في القصيدة التي رثا بها والد أبي حمو موسى الثاني:[1]

المرء في الدنيا رهين خطوب* والدهر أفصح من خطاب خطيب

إلى أن يقول:

وأصيب من كان الزمان مطيعه*أبدا بسهم الزمان مصيب

وتغيّرت شمس النهار له أسى* وتبدلت من نورها بشحوب

وبكت سيوف الهند في أغمادها* ندم، بماء فرندها مخضوب

ولقد بكته جياده بصهيلها* وغدت تحن له حنين النيب

وهي استعارات مكنية متتابعة تتداخل فيها العوالم فينظر المتلقي حينذاك إلى الأشياء في العالم الخارجي عبر عملية النقل والتحويل الدلالي من مكان وبؤره معنية إلى بؤره أخرى في هذا الكون.فأصبحت الشمس تحزن ويصيب نورها الشحوب وسيوف الهند تبكي في الأغماد ندما، وحتى الجياد بكت الراحل حنينا إليه. ومن الصور البديعية للاستعارة قول يحي بن خلدون:[2]

يخط كتاب الشوق دمعي بوجنتي* ويروي أحاديث الغرام صحاحا

---

[1] المرجع السابق،ص282_ 283

[2] يحي بن خلدون،بغية الرواد،ج2 ص 219

فيتبدى ههنا التحويل للدلالات، إذ تحولت الدلالة من الحبر والقلم، إلى الدمع الذي صار وسيلة كتابة ورسم،على وجنة الشاعر إذ خط كتاب الشوق دمعي بوجنتي فيلتقى في هذه الصورة الاستعارية الجميلة المادي (الدموع) مع المعنوي (الشوق) ليخطّا سمة على الوجنة تؤكد على شدة شوق الشاعر.وقد كثر أسلوب التصوير الفني في الشعر الزياني على وجه الخصوص. وأما الألوان البديعية فقد شاعت عند الكثير من الشعراء الجزائريين من طباق وجناس وتصريع، وقد استثمر الشعراء شتى ألوان البديع في أشعارهم لا سيما في القرون الثامن والتاسع والعاشر وهي عصور ازدهاره في المشرق والمغرب معا. حتى ظهر فن البديعات في المدائح النبوية.

والبديع فن شعري اجتمعت فيه المتعة والفائدة، وهو وسيلة فنية تكشف عن أسرار الأسلوب وجماله وحسن موسيقاه.إلا أن التكلف وعدم الإتقان في استعماله هو الذي أساء إلى العملية الإبداعية وإلى الشعر والشعراء معا.مما جعل بعض القصائد تعاني من قيود الصنعة اللفظية،إلا أن المدائح النبوية الزيانية استخدمت البديع بطريقة ليست منفرة. ومن الشعراء في العصر الزياني الذي استخدموه بطريقة جيدة،وخصوصا الجناس والطباق وبخاصة في عهد السلطان أبي حمو الزياني الذي يمكن للمتتبع أو القارئ لشعر المولديات والمدائح النبوية أن يستنتج أن الشعراء الذين أبدعوا في هذا الغرض واستخدموا الألوان البديعية في شعرهم لم يتكلفوا في استخدامها ولم يقعوا في قيود الصناعة اللفظية، بل بالعكس عكست تلك الأسجاع والطباقات المستخدمة تحكما شبه تام في استثمارها بما انعكس إيجابيا على موسيقى النصوص وجماليتها لاسيما في بداية القرن الثامن وبداية القرن التاسع الهجري.

وكان الجناس والتصريع من الألوان البديعية التي حلّى بها المبدعون أشعارهم وكلا الأمرين لهما تأثير في موسيقى اللفظ بجذب القارئ والسامع معا إلى الشعور باللذة النغمية فيجعل الجمل والتراكيب متناغمة مستساغة مؤثرة بجرسها الموسيقي، ومن هذا اللون قول أبي حمو موسى الزياني:[1]

هوينا الظِّبا وألفنا الظُّبا* وكم من فؤاد إليها صبا

فيلاحظ الجناس بين الظِّبا التي هي الغزلان،و الظُّبا(بضم الطاء) التي تعنى السيوف، فاختلف المعنى واتحد اللفظ،فحققا بذلك أثرا موسيقيا.

[1] ينظر عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى الزياني حياته وآثاره،ص 359

والتصريح كذلك بين (الظِّبا_صبا) فنهايه الصدر بالباء المشبعة أشبهت نهاية العجز. فأكسب البيت جرسا موسيقيا انسجم مع الجناس، فحققا بذلك أثر إيقاعيا نغميا ترتاح له الأذن وتنسجم معه النفس.

ومن هذا اللون كذالك قول أبي حمو موسى الثاني:[1]

خليلي قد بان الحبيب الذي صدّا * وقد عاقني صبري فلم أستطع ردّا

وسالت دموعي فوق خدي هواملا* وقد صيّرت فوق الخدود لها خدّا

فنلاحظ التصريع في مطلع القصيدة، والجناس الاشتقاقي في البيت (خدي–الخدود–خدّا) وكلاهما أفادا أثرا نغميا وجرسا موسيقيا من خلال تشابه الحروف مما يكسب النص أثرا موسيقيا يؤثر في السامع والقارئ.

وقد يتجاوز الجناس وظيفة التحسين الظاهري المتعلق بالصوت إلى وظائف أخرى من بينها تنشيط ذهن المستمع مع طرد السآمة عنه، مع الإسهام في إيضاح المعاني وزيادة الإفادة.

وفي قصيدة محمد بن أحمد الحسني الشهير بابن يعلى التصريع وجناس الاشتقاق اللذين أسهما في حسن المطلع وزاداه قوة في المعنى بقوله:[2]

ظهرت فأظهرت السرور الابهر * وسمت فأخفضت الهلال الأزهر

وفي مطلع قصيدة إبراهيم التازي نلاحظ جمال التأثير الموسيقي في التصريع والجناس معا في قوله :[3]

أبت همتي إلا الولوع بمن تهوى* فدع عنك لومي فالنفوس وما تقوى

فجانس وصرّع بين (تهوى،تقوى) فاختلفا في الحرف الثاني.

وأما الطباق، وهو استخدام لفظين متضادين،فكأن المتكلم قد طابق الضد بالضد وهو محسن معنوي يفيد تقوية المعاني، بالأضداد تتميز الأشياء كما يقول البلاغيون . ومنه قول أبي حمو موسى في رثاء والده مطلعها: [4]

---

[1] المرجع السابق،ص 381

[2] مؤلف مجهول،زهر البستان،ص 84

[3] المهدي لعرج، ديوان إبراهيم التازي،كتاب الناشرون،ط1 2013ص 78

[4] ينظر،محمد بن رمضان شاوش والغوثي بن حمدان، إرشاد الحائر إلى آثار أدباء الجزائرص 289

عجبا لأجفاني سخت بدموعها * والقلب محترق بنار ضلوعي

هذي تجود وذا يشح بناره * فعنيت بالممنوح والممنوع

ومن خلال المتضادات تتبدى للقارئ صورة الشاعر النفسية (تجود/-/ يشح)

(الممنوح /-/ الممنوع)

ومنه الطباق السلبي في ميمية أبي حمو وهي من المتدارك والتي مطلعها[1]

نام الأحباب ولم تنم * عيني بمصارعة الندم

وزجرت النفس فما ازدجرت * ونهيت القلب فلم يرم

يكشف طباق السلب (نام _لم تنم) (زجرت /-/ما ازدجرت) عن حالة الشاعر في حالة الندم وصراعه مع نفسه إلى درجة أن فقد توازنه النفسي. ومن الطباق الإيجابي قول محمد بن مرزوق الخطيب في قصيدة يتضرع فيها إلى الله وهي من المتقارب مطلعها :

رفعت أموري لباري النسم* وموجدنا بعد سبق العدم

مميت الخلائق بعد الحياة * ومنشي العظام ومحي الرمم

وبه تتوضح صفة الخالق فهو المحي والمميت، وما من شك أن الجمع بين اللفظ وضده يتوضح المعنى، ويكسو الكلام جمالا وقوة.

إلى جانب هذه البديعية نجد ألوانا أخرى في هذه الفترة التي يطلق عليها عصر البديعيات في منتصف القرن السابع والثامن مع ظهور بديعيات ابن معطي الزواوي، وبديعيات صفي الدين الحلّي وابن جابر الأندلسي في مدح النبي محمد صلى الله عليه وسلم، فمن الألوان التي ظهرت ما يسميه البلاغيون بحسن التقسيم وهو من المحسنات البديعية التي تهدف إلى إيصال المعنى إلى القلب في أحسن لفظ وأجمل صورة عن طريق تقديم الشيء بكل جزئياته إبرازا للدقة في الكلام. و هنا يتحول المشهد الفني إلى أجزاء صغيرة متلائمة كالبيت الذي مر بنا :

مميت الخلائق بعد الحياة * ومنشئ العظام ومحي الرمم

ومثله قول نفس الشاعر في نفس القصيدة :

توالت ذنوب،وعمت خطوب * ودامت كروب وزاد الألم [2]

[1] المرجع السابق،ص 290

[2] المرجع السابق ،ص 281

فمن للكروب، ومن للخطوب*ومن للذنوب وما قد أهم

فاستخدم الشعراء الجزائريون المحسنات البديعية بكثرة من غير تكلف في أكثر الأحيان ولاسيما التصريع والجناس والطباق، وهذا الاستخدام قد يكون نتيجة بتأثير العصر المملوكي وثقافته الذي عرف بالإفاضة في استخدام الصنعة اللفظية وغلبتها على الشعراء في هذه الفترة بالذات مشرقا ومغربا، مما يؤكد الصلات الثقافية والحضارية بين المنطقتين والذي يبدوا جليا في فن المديح النبوي لاسيما بردة البوصيري التي عرفت طريقها إلى بلدان المغرب واشتهرت بين الناس وحفظها الطلبة والعلماء والشيوخ والعامة عن ظهر قلب، ولازالت إلى يوم الناس هذا تقرأ في المناسبات الدينية المختلفة وخصوصا في المساجد الجزائرية كلها دون استثناء، ولقيت البردة اهتماما خاصا إلى درجة الغلو أحيانا. ولم يقف الانشغال بها عند حد الرواية والحفظ والتدريس والشرح بل تعدى البعض إلى تلحينها وتنغيمها وإنشادها في الموالد والأعياد ومجالس الذكر والأعراس وغيرها.

ومن الشعر التعليمي العام كذلك ما ورد في شعر الزهد والرثاء وبقية الأغراض الأخرى المعروفة في الشعر الجزائري القديم.فالزهد لدى الفقهاء يكتسي طابعا خاصا لكونه يتماشى مع طبائعهم ويتجاوب مع قصائدهم، ويتماشى مع رسالتهم التي يريدون تبليغها إلى الناس، كما أن شعر الزهد والتصوف يحتوي في عمومه تحقيرا للدنيا وتحذيرا منها ومن القصائد الزهدية ما قاله الشاعر إبراهيم التازي*:[1]

أما آن ارعواؤك عن شنار * كفى بالشيب زجرا عن عوار

أبعد الأربعين تروم هزلا * وهل بعد العشية من عرار

إلى أن يقول:

فما الدنيا وزخرفها بشي* وما أيامها إلا عوار

وليس بعاقل من يصطفيها * أتشري الفوز ويحك بالتبار

وبعد تهوين الشاعر من الدنيا يطلب من المتلقي أن يملأ حياته بحب الله وعبادته فيقول :

وحب الله أشرف كل أنس* فلا تنس التخلق بالوقار

وذكر الله مرهم كل جرح* وأنفع من زلال للأوار

---

[1] المهدي لعرج،ديوان إبراهيم التازي،ص 80

* ت 866 هـ نزيل وهران له شعر في الزهد والتصوف وذم الدنيا.

وتتميز هذه القصيدة ببساطة أفكارها وسهولة لغتها مع استخدام مفردات غير متداولة مثل: الشنار، عرار، عوار التي تتكرر مرتين، فكأن الشاعر يجد عنتاً في الوصول إلى نهاية البيت والبحث عن المفردة التي تحتوي على حرف الراء، [1] ولعلّ أكبر مجموع لشعر إبراهيم التازي احتفظ به ثبت أبي جعفر احمد بن علي البلوي الوادي آشي الذي أثبت 15 قصيدة تامة كاملة. ويغلب على قصائد إبراهيم التازي الموضوع الديني وهو الأبرز،وهو عبارة عن أدعية وأذكار وابتهالات ونصائح عامة والشوق إلى بيت الله الحرام بالإضافة،إلى أن كل قصائده الشعرية ذات توجه تعليمي تربوي واضح ومنه على سبيل المثال قوله: [2]

سلامة الصدر من خير الخصال فمن * أتى بقلب سليم ربه سعدا

والحقد طبع ذميم عدّ عنه وعذ* بالله ربّ العلا من شر من حقدا

وجنب الحسد المذموم صاحبه* ماريء قط حسود ساد أو مجدا

كما ساهم إبراهيم التازي في حركة التصوف فقد اشتهر بقصيدته المعروفة بالمرادية ومطلعها قوله :[3]

مرادي من المولى وغاية آمالي * دوام الرضى والعفو عن سوء أعمالي

ومن الموضوعات ذات الصلة بالتصوف والدين والحضّ على زيارة أولياء الصالحين وذلك في قوله:[4]

زيارة أرباب التقى مرهم يبري* ومفتاح أبواب الهداية والخير

وتحدث في القلب الخليّ إرادة * وتشرح صدرا ضاق من سعة الوزر

إلى أن يقول :

وزورة رسل الله خير زيارة * وهم درجات في المكانة والقدر

وأحمد أعلى العالمين وخير من* يُيَمّمُهُ العافون في العسر واليسر

---

[1] محمد مرتاض،شعر الفقهاء في المغرب العربي،رسالة دكتوراه 1994 ،جامعة تلمسان ص 76

[2] المهدي لعرج،ديوان إبراهيم التازي،ص 62

[3] المصدر السابق،ص 73

[4] ينظر،ثبت أحمد بن علي البلوي،ت.د عبد الله العمراني،دار الغرب الإسلامي ط1 1983ص 327

وأما ظاهرة الزهد فهي بادية في مجموعة من قصائده ومنها ما جاء في قوله :[1]

يا صاحِ من رزق التقى وقلى الدنى* نال الكرامة والسعادة والغنى
فاصرف هوى دنياك وأصرم حبلها* دار البلايا والرزايا والعنا
ووادها رأس الخطايا كلها * ملعونة طوبى لمن عنها انثنى

والقصيدة كلها مواعظ وحكم ترتبط بآيات القرآن وتستدعي نصوص الأحاديث النبوية لتتكامل مع طريقته الصوفية ومنهجه في الحياة، هذا المنهج يعبر عنه في قصيدته التائية من بحر الطويل بقوله :[2]

حسامي ومنهاجي القويم وشرعتي* ومنجاي في الدارين من كل فتنة
محبة رب العالمين وذكره* على كل أحياني بقلبي ولهجتي
وأفضل أعمال الفتى ذكر ربه * فكن ذاكرا يذكرك رب البريئة

وهكذا جميع قصائده تتميز في عمومها بالسهولة في معانيها والبساطة في أفكارها فهي تدعوا إلى جملة من القيم الدينية والأخلاقية وهي عبارة عن مواعظ ونصائح مباشرة،وربما كان الأسلوب المباشر في التعبير مناسبا للمتلقين من المريدين والعامة. وقد يتسامى التازي بمعانيه حين يعرفنا بحبه للذات الإلهية، حيث يصرح بحبه ويهزأ بمن يلومه في هواه أو يعيب عليه تعلقه بها، ليقول أن هوان النفس من أجل الهوى الرباني هو عزّ في حقيقة الأمر. فالحب الصوفي يعتبر المعاناة لذة ونشوة، وعاشق الدنيا مستعبد بينما عاشق الآخرة يشعر بالاطمئنان لأنه في الاتجاه الصحيح كل هذا نجده في قوله:[3]

أبت مهجتي إلا الولوع بمن تهوى* فدع عنك لومي والنفوس وما تقوى
هوان الهوى عز ،وعذب أجاجه*و علقمه أحلى من المن والسلوى
وتعذيبه للصب عين نعيمه * وسعي اللواحي في السّلوّ من العدوى
ومن لم يجُد بالنفس في حب حِبه * فلوعته إفك وصبوته دعوى
وليس بحُرّ من يعبِّده الهوى * للهو الدنا فاختر لنفسك ما تهوى

[1] المصدر السابق، ص 336
[2] المصدرالسابق ،ص 357
[3] المصدر السابق ص 341

فالقصيدة قي عمومها جميلة اللفظ والإيقاع استخدم فيها التصريع في البيت الأول وأسلوب القصر بطريقة النفي والاستثناء في قوله: (فما الحب إلا حب ذي الطول والغنى) واستخدم الطباق الذي يقوي المعنى ويوضحه بين هوان وعز، وعذب وأجاجه، علقمه أحلى، حر تعبد الهوى، كما استخدم بعض الألفاظ القرآنية (المن والسلوى) [1]

_ وللشاعر ابن الخلوف القسنطيني ت 899هـ بتونس ديوان شعر خاص بمدح النبي محمد صلى الله عليه وسلم حققه الدكتور العربي دحو تحت عنوان (جني الجنتين في مدح خير الفرقتين) احتوى على 32قصيدة طويلة وكرس كل شعره للمديح النبوي، وفي شعره نوع من الإطناب والإسهاب والتفصيل والتنويع. كما امتاز ديوانه بالزهديات التي تقترب من التصوف،ويفتتح الديوان بقصيدة (عليك توكلي) وهي من بحر الوافر مطلعها:[2]

عليك توكلي ولك افتقاري * ومنك تطلّبي وبك انتصاري

وفيك محبتي وإليك أمري *وهل إلاك قصدي واختباري

أيا ملك الملوك ولا مليك* سوى عبد ببابك خذ بثاري

و قد عبر عن كل أفكار القصيدة البالغة 140 بيتا بلغة قوية جزلة وعبارات رائقة مع بعض الحكم التي حلى بها قصيدته وتحمل قيم الأمة الإسلامية.

وفي قصيدته الثانية في الديوان بعنوان (قطر الغمام في مدح خير الأنام) تتألف من 421 بيتا [3] ومطلعها :

لذ بالكريم وسل منه الرضا كرما * إن الكريم إذا استرحمته رحما

واجعل شفيعك مدح الهاشمي فما * خاب امرؤ فاغر بالمدح فما

إلى أن يقول متعلقا بالله متوكلا عليه :

ولست أرجو سوى مولى الملوك ومن * يرجو سواه ينال البؤس والنّقما

وراقب الله في كل الأمور ومن * يراقب الله إجلالا فقد عصما

---

[1] سورة البقرة ،الآية 57

[2] ابن الخلوف،ديوان جني الجنتين،ت العربي دحو، اتحاد الكتاب الجزائريين ط2004 ص 73

[3] المصدر نفسه، ص 85

وهي قصيدة ممتازة المضمون جيدة الأسلوب متينة السبك، موضوعها وحدانية الله تعلم العقائد الإيمانية ومقامات الربوبية، وتصف الرسالة وتثني على شمائل الرسول صلى الله عليه و سلم .

وكانت شخصية النبي محمد صلى الله عليه وسلم توظف في قصائده توظيفا مباشرا بما فيه من قداسة ومن ذلك قول الشاعر ابن الخلوف:[1]

محمد أحمد خير الأنام ومن * خصته في الذكر أوصاف شريفات
طه أبو القاسم المختار من شرفت*به البسيطة والسبع السماوات
الحاشر العاقب الماحي الذي محيت *عن الورى بمواضيه الغوايات
الفاتح الخاتم الطهر الذي ختمت* به النبوءة فضلا والرسالات

فهاهنا يستدعي الشاعر أسماء وألقاب الشخصية المحمدية التي تحمل دلالات القوة والقدرة والتربية والتوجيه والهدي فكل اسم له وظيفته داخل السياق كما يستحضر بهذه الأسماء الخصال الحميدة التي يتميز بها النبي الكريم.

وفي الحنين والشوق لزيارة الأماكن المقدسة مكة ومنى وعرفات يقول :[2]

وحبذا زمن الإحرام حيث حلت * للمحرمين بلبيك المناجاة
وحبذا العيش في أكناف مكة إذ * طابت لنا بمنى والخيف ساعات
وحبذا عرفات الخير حيث همت * بوابل العفو للعاصي سحابات
وحبذا حبذا في طيبة زمن* دارت علينا به للقرب كاسات
حيث الحبيب نديم والمقام حمى * والراح في كأسها نفي وإثبات

فنلاحظ أن كلمة (حبذا) وهي فعل ماض تدل على المدح تتكرر بالأبيات لتدل على التمني والحنين لزيارة البقاع المقدسة كما تبرز في الأبيات مكانة هذا البيت الآمن الذي يأتيه الناس من كل فج عميق للطهارة من الرذائل، فيتعلق المسلم بالبيت العتيق،بروحه وجسده ليجد الأمان والطمأنينة، ولأن الشاعر يعلم أن أفضل الأعمال عند الله الحج المبرور.

كما يستدعي الشاعر في هذه القصيدة التائية رحلة الإسراء والمعراج بقوله :[1]

---

[1] المصدر السابق ص 326

[2] المصدر السابق ،ص 322_ 323

دعاه في ليلة المعراج خالقه * لحضرة حضرت فيها السعادات
وسار من فرشه فوق البراق إلى * عرش أحاطته للباري عنايات
وأمّ بالرسل والأملاك ثم رقى* مرقى له العز والتأييد مرقاة
وصار مخترقا حجب الجلال إلى * أن شرفته يا عبدي الإضافات
وكان قاب أو أدنى حين خاطبه * في مشهد رفعت عنه الحجابات
وشاهد الله جهرا واصطفاها بما * لم تحو تعبير معناه العبارات
وخصه بأمور ليس يحصرها * عد، ولو كثرت فيها الحسابات
ناداه سل تعط أو قل يستمع كرمى* واشفع فلولاك لم ترج الشفاعات
وعاد في ليله مسراه لمضجعه * والأفق لم تنكشف عنه الدّجنات

ويتميز أسلوب القصيدة بالغاية في الرشاقة والجمال التعبيري فألفاظه منتقاة موحية بالمعاني، يصور أحداث السيرة بعاطفة الإعجاب والاعتزاز بالنبي الكريم، ويغلب على القصيدة الأسلوب الخبري المناسب لسرد الأحداث وتعظيم شخصية النبي صلى الله عليه وسلم. كما تقل أساليب البيان لأن الشاعر اعتمد السرد الواقعي لأحداث السيرة ولم يول اهتماما كبيرا بألوان البديع مما يدل على اهتمامه بالمعنى وجودة العبارات إلا ما ورد عفوا وقد اختار الشاعر بحر البسيط الممتد في موسيقاه المناسب للأغراض الجادة.

ومن الشعر التعليمي العام كذلك قصائد الرثاء في الشعر الجزائري القديم والتي تتميز في عمومها بتحكيم العقل في العواطف والخضوع لإرادة الله واليقين بلطفه والرجاء في جنابه وذلك ما نجده في قصيدة أحمد بن عبد الله الزواوي في رثائه للشيخ عبد الرحمن الثعالبي مطلعها:[2]

لقد جزعت نفسي لفقد أحبتي * وحق لها مثل ذاك تجزع
ألمّ بنا ما لا نطيق دفاعه* وليس لأمر قدر الله مرجع
جرى قدر المولى بإنفاذ حكمه*ومن حكمه أنا نطيع ونسمع
فلا تعجبن إلا لغفلتنا التي * دهتنا فصرنا لا نخاف ونسمع
قلوبن قست ما إن تلين وإنها *لتعلم إن القبر مثوى ومضجع

---

[1] المصدر السابق،ص 330

[2] ينظر الحفناوي ،تعريف الخلف برجال السلف،ج1 ص 39

لينتقل بعد ذلك إلى الوعظ والنصح بقوله:

وبادر لتقوى الله إن كنت حازما* هي العروة الوثقى بها النار تدفع

وشمر لأخرى واستمع قول ناصح* وحاذر هجوم الموت إن كنت تسمع

إلى أن يقول معددا مناقب المرثي :[1]

لقد بان أهل العلم عنا وقد أقفرت * منازلهم إنا إلى الله نرجع

كما بان عنا شهمنا العالم الذي * سناه بأنوار الحقيقة يسطع

أبو زيد المشهور بالعلم والتقى* له العلم فيها والمقام المرفع

وهي قصيدة طوية من بحر الطويل يبرز الشاعر من خلالها مناقب وأعمال الشيخ عبد الرحمن الثعالبي الولي الصالح الذي قدم أعمال جليلة في الدعوة إلى الله تتمثل في العمل الخالص والجهاد المتواصل في مجال التربية وتعليم الناس أمور دينهم ودنياهم،وزرع القيم الحضارية والإيمانية في المجتمع الجزائري خاصة،ولغة هذه القصيدة فصيحة وجدانية معبرة علن الألم والحزن المخيم على القصيدة من جراء فقد هذا العلامة الصالح، وموسيقاها تنسجم مع الحالة النفسية للشاعر من خلال تفعيلات بحر الطويل وحرف الروي العين المضمومة وتذكرنا هذه القصيدة بعينية الشاعر أبو ذؤيب الهذلي والتي مطلعها :[2]

أَمِنَ المَنونِ وَريبِها تَتَوَجَّعُ * وَالدَهرُ لَيسَ بِمُعتِبٍ مِن يَجزَعُ

إلى أن يقول:

وَإِذا المَنِيَّةُ أَنشَبَت أَظفارَها * أَلفَيتَ كُلَّ تَميمَةٍ لا تَنفَعُ

وواضح أن الشاعر أحمد بن عبد الله الجزائري قد تأثر بقصيدة الشاعر أبو ذؤيب الهذلي والقصيدة الثانية التي تعد من روائع الشعر الجزائري القديم هي التي كتبها عبد الرحمن الحوضي التلمساني في رثاء العلامة الإمام السنوسي مطلعها: [3]

ما للمنازل أظلمت أرجاؤها * والأرض رجت حين خاب رجاؤها

وأتى عليها النقص من أطرافها * وتراكمت وتعاظمت أرجاؤها

رزء عظيم خطبه ومصيبة * لم ندر يا قوم كيف عزاؤها

---

[1] إرشاد الحائرإلى آثار أدباء الجزائر،ص 339

[2] ابن أبي الخطاب القرشي، جمهرة أشعار العرب،دار بيروت للطباعة و النشر، ط 1980 ص241

[3] إرشاد الحائر إلى أدباء إلى آثار الجزائر،ص 372

فقد السنوسي الإمام محمد* وهو ابن يوسف هد منها علاؤها

قصيدة من 41بيتا يعبر الحوضي عن أساه وحزنه على فقد رجل العلم العالم المثقف صاحب المصنفات المتنوعة الذي ألف في التوحيد والفقه والتفسير والقراءات والحديث والتصوف والطب والمنطق.

والقصيدة من البحر الكامل صيغت بلغة سهلة التناول فألفاظها مألوفة وتراكبيلها بسيطة افتتحها بأسلوب إنشائي من نوع الاستفهام وغرضه التعجب وتعظيم المصيبة .

ولتجسيد معانيه استخدم الصور البيانية ومنها الاستعارة التصريحية في قوله (قد كان بحرا) والاستعارة المكنية في قوله (علل الضلال) (كم جاءت الدنيا تسوق رئاسة) وقوله (لم يخدعك جمالها) ولقوله (فلمثله يبكي الوجود) وهي صور توحي بعظمة هذا الرجل وأهميته في البلاد وتوضح أعماله القيمة التي انتفع بها الناس.

ومن هنا نستنتج أن الشعر التعليمي العام الذي نجده مبثوثا في كل الإغراض التقليدية المعروفة، مدائح،مراثي مولديات،زهد،تصوف ...

والذي يتضمن قيما دينية وأخلاقية سامية يشيد بها الشعراء ويدعون إليها وهو كثير ومتعدد في الشعر الجزائري القديم وتتميز لغته في العموم بالفنية وانتقاء الألفاظ وتجويد العبارات مع قيم شعورية وجدانية عاطفية، مع استخدام الخيال والصور البيانية المجسدة للمعاني .

والملاحظ أن الشعراء الفقهاء لم يرثوا كل الطبقات والفئات بل اقتصروا على أقربائهم وشيوخهم من أهل العلم والذين افنوا أعمارهم في الدعوة إلى دين الله، [1] وهو ما جعل أشعارهم تتميز بالعواطف الصادقة القائمة على الاقتناع بأهلية الشخص المرثي. وهذا ما توضحه الأبيات التي قالها الشيخ رضوان الجنوي، [2] محددا الشروط التي يجب أن تتوفر في من يستحق الرثاء:

إذا شئت أن ترثي فقيدا من الورى* وتندبه بعد النبي المكرم

فلا تبكينّ إلا على فقد عالم* يبادر بالتفهيم للمتعلم

وفقد إمام عادل قام ملكه * بأنوار حكم الشرع لا بالتحكم

وفقد شجاع صادق في جهاده*وقد كسرت راياته في التقدم

[1] عبد الله كنون،أدب الفقهاء دار الكتاب اللبناني بيروت،1984ص 175

[2] محمد مرتاض،شعر الفقهاء في المغرب العربي،ص 97

وفقد كريم لا يمل من العطا* ليطفئ بؤس الفقر عن كل معدم

وفقد تقي زاهد متورع * مطيع لرب العالمين معظم

فهم خمسة يبكى عليهم وغيرهم * إلى حيث ألقت رحلها أم قشعم

وعلى هذا شهد المجتمع الجزائري احتراما وتعظيما لأهل العلم في حياتهم وبعد مماتهم،يتناقلون حسن سيرتهم وصدق أخلاقهم وصلابة دينهم وإخلاص قلوبهم وطيبة معاملاتهم. واتسم شعر الرثاء الجزائري القديم بتحكيم العقل في العواطف وبالاستسلام لقضاء الله وقدره واليقين في إكرام المولى عز وجل للذين توفوا على عقيدة الإسلام في الآخرة،فطبع ذلك الشعر بطابع المنطق والهدوء والسكينة من غير عويل ولا نحيب . وتبرز القيمة التعليمية في هذا النوع من الشعر، أنه يعلم المتلقي كيفية التعامل مع مصيبة الموت فلا جزع ولا نياحة ولا لطم خدود تبعا للحديث النبوي المعروف الذي يقول فيه صلى الله عليه وسلم : (إن العين تدمع والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضى ربنا) [1]

_ مميزات الشعر التعليمي العام: *يتميز الشعر التعليمي العام بالمميزات التالية:*

-الصبغة الإسلامية والنزعة الزهدية، وإحياء المثل الإسلامية العليا في النفوس.

-توجيه اللوم للنفس، والندم على ما مضى، والنهي عن إتباع هوى النفس.

-الوقوف عند المشيب الذي يمثل رمزا للرحيل ودنو الأجل، وتنوع الموضوعات ليشمل الدين والدنيا.

التضمين والاقتباس من القرآن والحديث النبوي، والشعر العربي.

-أغلب شعرائه مثقفون فقهاء علماء شاركوا في توجيه مجتمعاتهم وخلفياتهم الثقافية الدينية جلية.

-تتميز لغته في الغالب الأعم بالسهولة في الألفاظ والبساطة في التراكيب.

-تتنوع الأساليب بين الخبرية المناسبة للوصف والتقرير، والإنشائية المناسبة للتنبيه ولفت نظر المتلقي.

-نظم الشعراء على كل الأوزان :البسيط، الكامل، الوافر، الطويل المتقارب، الخفيف، السريع...

[1] النووي، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين،دار الكتاب الحديث، الجزائر، ط2010ص 244

تنوع حروف الروي بحسب الحالة النفسية للشعراء.

و الملاحظ أن الشعراء لم يستخدموا الرجز في هذا النوع من الشعر التعليمي العام، كما لم يخل هذا النوع من العاطفة والخيال، وألوان البديع فهو شعر غنائي، ذاتي، وهذه المقطوعات المختارة التي سقتها كشواهد على الروح التعليمية والتي تتضمنها قصائد الوعظ والزهد والتصوف تهدف فيما تهدف إليه إلى زرع القيم السامية في النفوس البشرية المتقلبة، وتنمية الوازع الديني والأخلاقي المرتبط بالعقيدة الصحيحة واليقين في الله والإيمان باليوم الآخر وكأنها تحيلنا إلى قوله تعالى :" ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها، قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها "[1]

والجدير بالملاحظة أن أغلب الشعر التعليمي العام وخصوصا في المدائح النبوية والزهد والتصوف والرثاء استخدم الشعراء فيه الدعاء في مناجاة الله عز وجل، وكأنهم وجدوا فيه حسا لطيفا يقربهم من مولاهم أكثر وأكثر فيعرضون مآربهم وحاجاتهم على باب المولى الكريم والرب الرحيم، كما وجدوا فيه ملاذا من جميع الشدائد والمخاطر.

2- أسلوب الشعر التعليمي الخاص:

- تستخدم المتون والأراجيز الشعرية المتخصصة في علم من العلوم، الأسلوب العلمي في تبليغ المعارف العلمية، وتمتاز اللغة العلمية في عمومها بالدقة والوضوح بالنظر إلى أنها تنقل حقائق علمية، فاذا ألقينا نظرة على منظومة (السلم المرونق في علم المنطق) لعبد الرحمن الأخضري، نجده يستخدم المصطلحات العلمية، أو منظومة الدرة البيضاء، لوجدنا لغة جافة تعبر عن الحقائق العلمية كمثل قول الأخضري في الدرة مثلا يبين الوارثين من الرجال بقوله:[2]

الوارثون في الرجال عشرة* من جهة الشرع أتت مقررة

أب وجد لاب إنانفصل * بذكر وابن ومن منه انسفل

فنلاحظ لغة علمية بحته ليس فيها إيحاء بمعاني مجازية، وإنما هي اللغة المباشرة التي تشرح ما يتعلق بعلم الميراث.

---

[1] سورة الشمس، الآيات 7-8-9- 10

[2] ينظر، بوزياني الدراجي، عبد الرحمان الأخضري، ص 198

وفي منظومة السلم المرونق يقول الأخضري في فصل نسبة الألفاظ للمعاني مستخدما مصطلحات علم المنطق:[1]

ونسبة الألفاظ والمعاني * خمسة أقسام بلا نقصان

تواطؤ، تشاكك، تخالف * والاشتراك عكسه الترادف

إنها لغة المصطلحات العلمية المعبرة عن علم المنطق، لا وحي فيها ولا مشاعر ولا خيال في أسلوب جاف وهذه طبيعة النظم المتخصص في علم من العلوم.

ونفس الحكم تنطبق على منظومة ابن زكري في نظمه (محصل المقاصد) في علم التوحيد، أو منظومة معلم الطلاب بما للأحاديث من الألقاب.

فالأسلوب العلمي في المنظومات المتخصصة بالعلوم (نحو أو صرف أو حساب أو فقه أو بلاغة ...) يتميز بالدقة العلمية التي تعبرعن المعلومة بأقصر طريق بمفردات عادية وجمل قصيرة سهلة التراكيب.

وأغلب الناظمين في الشعر التعليمي المتخصص يستخدمون التمثيل للقواعد العلمية كقول الأخضري في منظومة الجوهر المكنون مثلا:[2]

وقصد الاستعطاف والإرهاب* نحو الأمير واقف بالباب

وفي باب أساليب الإنشاء يقول:

ما لم يكن محتملا للصدق* والكذب، الإنشا ككن بالحق

يحرص الناظمون على تفصيل مسائلهم العلمية بلغة عادية في الغالب، ويتجنبون الألفاظ الغريبة للتسهيل على المتلقي حفظها وفهمها، فمثل تلك النماذج المعروضة آنفا دليل على:

- اللغة العلمية الدقيقة البعيدة عن العواطف والخيال.
- الأسلوب المباشر الذي يصل إلى المعنى رأسا.
- بساطة التراكيب.
- الاستدلال بالأمثلة على القواعد العلمية.
- تفصيل المعلومات والتمثيل لها.

---

[1] ينظر، الأخضري، السلم المرونق، ت ضيف الجزائري، دار ابن حزم،ط1 2006 ص 66

[2] بوزياني الدراجي، عبد الرحمان الأخضري، متن الجوهر المكنون ص 247

-سلامة اللغة .

-أغلب منظومات الجزائريين من بحر الرجز.

- في بعض النماذج يستخدم الناظمون بعض ألوان البيان والبديع كالجناس والتصريع .

_ الإكثار من استخدام الروابط (العطف والجر) لأن الناظم في حاجة إليها دائما في التعبير عن المعاني.

- لكل نص علمي منظوم مصطلحات، فللمنطق مصطلحاته، وللبلاغة مصطلحاتها، ولعلم الحديث مصطلحاته.

- يغلب عليها الأسلوب الخبري المناسب لوصف الحقائق العلمية وتقريرها.

- تكمن قيمة المنظومات في قدرتها الفائقة على المزاوجة بين التنظيم والتطبيق في سياق تعليمي ينجح إلى حد بعيد في تحقيق أهداف النظم.

- فإذا ما استعرضنا بعضا من المتون الشعرية العلمية وجدنا خصائص الأسلوب العلمي المتمثل في انتقاء الألفاظ ودقة المصطلحات، وقصر الجمل ووضوح المعاني ينظر مثلا نظم ابن زكري في علم الحديث ومطلعه :[1]

يقول بعد الحمد ثم الشكر * عبد الإله أحمد بن زكري

ثم صلاة الله والسلام* على الرسول سيد الأنام

وآله وصحبه الكرام* الناقلين طرق الأحكام

وبعد هذه المقدمة يشرح سبب التأليف، وهو نظم ألقاب الحديث لتعريفه وشرحه للكبار والصغار،واختار له بحر الرجز والسريع، و ذكر عنوانه بقوله:

أردت نظم لقب الحديث* بشرحه للكهل والحديث

في رجز مختصر بديع* أو ما يوازيه من السريع

سميته بمعلم الطلاب* ما للأحاديث من الألقاب

وهذه المقدمة تبلغ خمسة عشر بيتا ليدخل بعد ذلك في البيت 16 إلى موضوع المتن فيبدؤه بتعريف علم الحديث بقوله:[1]

[1] ينظر ابن زكري، معلم الطلاب ما للأحاديث من الألقاب، ت محند أو ايدير مشنان،دار كردادة للنشر والتوزيع، الجزائر ط 2011.ص14،13

وما به يعرف حال السند * والمتن قل علم الحديث تهتد

ثم الحديث بعد ذا ينوّع* لخبر أو أثر ويجمع

فنلاحظ اللغة العلمية المتخصصة من خلال مصطلحات هذا العلم المتمثلة ههنا في (السند، المتن، علم الحديث، الخبر، الأثر..)

فعلم الحديث حسب الناظم هو عبارة عن علم بقوانين يعرف بها أحوال السند والمتن، ثم راح بين أقسام الحديث، ثم تعرض لتعريفات ألقاب الحديث ومصطلحاته (صحيح، حسن، ضعيف، غريب..) ليبين أصح الأسانيد، وبيان الكتب الصحاح وانتهى إلى الخاتمة ذكر فيها تاريخ إتمام المنظومة وعدد أبياتها وختم كما بدأ بحمد الله والصلاة السلام على النبي وآله وصحبه ومن تبعهم من المؤمنين بقوله:

قد تم نظما بنهج مختصر* في رجز وبسريع يعتبر

في سادس الأعوام والسبعينا * بعد ثمانمائة سنينا

أبياته عددها قد اكتمل* بنقط قاف وبعين فاعتدل

فالحمد لله على إكماله* من جوده ذاك ومن افضاله

ثم الصلاة والسلام دائما* على الذي شرع شرعا قائما

محمد و آله وصحبه* والتابعين المؤمنين حزبه

وعموما يتميز الأسلوب العلمي في المنظومات التعليمية بتسجيل حقائق العلوم وعرض مباحثها بأسلوب مباشر كما يعتني بترتيب الأفكار ترتيبا منطقيا وغرضه التعليم وإيصال الحقائق إلى المتلقين، ويستخدم المصطلحات العلمية ويمتاز بالدقة والتحديد والوضوح والتقسيم ويبتعد عن الخيال والعاطفة وجمال التعبير وتنميقه لأن غايته إيصال الفكرة إلى أذهان طلبة العلم بيسر وسهولة وبأقرب طريق، وتغلب عليه الأساليب الخبرية المناسبة للشرح والتحليل ووصف الظواهر والحقائق العلمية .

[1] المرجع السابق.ص 15

الموسيقى في الشعر التعليمي الخاص:

تعد الموسيقى الشعرية ركنا أساسيا يستخدمه الشاعر والناظم في بناء منظومته،نظرا لما توفره من أنغام مبنية على الوزن والقافية، وعليه فإن صياغة العلوم المختلفة تستغل الإيقاع الموسيقي باعتباره وسيلة تسهل العلوم للمتعلمين وتجعلهم يقبلون عليها ويحفظونها،فللإيقاع الموسيقي تأثير إيجابي على المتعلم وهو منبه للحواس ومثير للخيال[1] ويرتاح له القلب وتهتز له الجوارح.

ومن المعلوم أن الشعراء التعليميين اتخذوا الرجز إطارا لعرض معلوماتهم ومعارفهم، والرجز هو أقدم الأوزان الشعرية العربية بل إنه أول الإيقاعات الموسيقية التي عرفها العرب وعنه تطورت الأوزان الأخرى، مع الإشارة إلى أن الرجز قد ظل محدودا بما هو ناتج عن البديهة والارتجال من فنون التعبير الشعري[2] كما أن موسيقى بحر الرجز وكثرة الزحافات والعلل التي تطرأ على تفعيلاته كانت السبب وراء استخدماته الكثيرة لنظم العلوم[3] وهذه الخفة الموسيقية هي التي تجعل القارئ يترنم ويتغنى بتفعيلاته وإيقاعه الخفيف حتى يحفظ المتن أو المنظومة. ومع التفعيلات والإيقاع النغمي، تسهم حروف الروي المتنوعة والقوافي المتغيرة من بيت إلى آخر في إضفاء النغمة الترنمية لهذا النوع من الأشعار، ومن المعلوم أن القافية ضربة إيقاعية على المستوى العروضي لا تقل أهمية عن الوزن، فهي علامة من علامات الترقيم الموسيقي، وهي برتابتها الموسيقية تضفي على المنظومة عاملا مؤثرا أشبه بقوة الاستهواء في التنويم المغناطيسي، وهي هامة في الإيقاع العام لبنية النص خصوصا في المتون والأراجيز العلمية .فإذا لاحظنا أي منظومة علمية نجدها مصرعة في كل الأبيات، ينظر مثلا أرجوزة الأخضري "السلم المرونق":

الحمد لله الذي قد أخرجـــــا نتائج الفكر لأرباب الحجـا

وحط عنهم من سماء العقــل كل حجاب من سحاب الجهل

حتى بدت لهم شموس المعرفة رأوا مخدراتها منكشفـــــــة

وبعد فالمنطق للجـــــــنان نسبته كالنحو للســــــان

---

[1] العيد جلولي، النص الشعري الموجه للأطفال في الجزائر، رسالة دكتوراه ،جامعة الجزائر 2005 ص 191

[2] عصمت عبد الله غوشه، الشعر التعليمي في القرون الأربعة الأولى،رسالة دكتوراه 1970جامعة القاهرة ص 270

[3] إيميل بديع يعقوب،المعجم الفصل في علم العروض والقافية وفنون الشعر،دار الكتب العلمية بيروت 1991ص 83

فيعصم الأفكار عن غيّ الخطا وعن دقيق الفهم يكشف الغطا

فيعصمل	أفكارعن	غيّ الخطا	وعن دقيق	لفهم يكشف	لغطا
//0//0	//0/0/0	0//0/0	//0//	/0/0/0	0//0//
متفعلن	مستفعلن	مستفعلن	متفعلن	مستفعلن	متفعلن

(بحر الرجز)

ونلاحظ أن تفعيلات بحر الرجز يلحقها علل وزحافات كثيرة مما يسهل النظم على هذا البحر وذلك لأن هذا البحر قادر على استيعاب المعاني الكثيرة لقرب وزنه من النثر ولذلك سموه (حمار الشعر) لسهولته.[1]

إن هذه الأبيات المصرعة في الشعر التعليمي الخاص تسهم مساهمة فعالة في إضفاء الإيقاع الموسيقي المناسب للقارئ الذي سيحفظ الأبيات، وتطرد عنه الملل حين يترنم بالأبيات، ولعل هذه الموسيقى الداخلية والخارجية للأبيات كانت السبب وراء حفظ المتون، فالمنظومات بهذا الشكل المعروف تسعف المعلم والمتعلم على حد سواء في استذكار المعلومات والوقوف على القواعد العلمية. ولا شك أن سلاسة الألفاظ وقصر الجمل وحسن التقسيم وحروف الروي المتنوعة وتفعيلات بحر الرجز هي التي تؤلف معا موسيقى القصيدة الداخلية والخارجية. واستعمل الرجز في صور عديدة، فقد عرف الشعر العربي الأرجوزة المشطورة والمنهوكة والمزدوجة والموحدة والمثلثة والمربعة والمخمسة.[2] وهو على الجملة أكثر البحور تغيرا وأغناها بالألحان والأنغام وأطوعها للحذف والإضافة في تفاعيله مما يتيح للرجاز الفرصة لإطالة صياغتهم أحيانا وتقصيرها أحيانا أخرى.

ومما يتميز به الرجز كذلك اتحاد كل بيتين في القافية والذي يطلق عليه المشطور المزدوج وهو الشكل الذي أصبح إطارا للشعر التعليمي.

---

[1] عمر فروخ، المنهاج في الأدب العربي وتاريخه، المكتبة العصرية، صيدا بيروت ص 3

[2] ينظر، المهدي لعرج، الأنماط الإيقاعية للأرجوزة في الشعر العربي،دار الثقافة للنشر والتوزيع الدار البيضاء ط1 2008 ص10

* الخبن : حذف الثاني الساكن من مستفعل.ينظر، إيميل بديع، المعجم المفصل في علم العروض ص 84

* الطي: حذف الرابع الساكن، المرجع نفسه، ص 84

*الخبل: حذف الثاني والرابع الساكنين. المرجع نفسه، ص 84_85

كما تحدث العلامة أبي العباس أحمد بن زكريا لتلمساني أنه صاغ بعض أبياته من منظومته (معلم الطلاب ما للأحاديث من الألقاب) على بحر السريع ذي التفعيلات المتشابهة مع بحر الرجز وذلك في قوله:

أردت نظم لقب الحديث بشرحه للكهل والحديث

في رجز مختصر بديع أو ما يوازيه من السريع

وتفعيلات بحر السريع هي : مستفعل، مستفعل، فاعلن، تتكرر مرتين في البيت ولقد سمي سريعا لسرعة النطق به.ولهذا البحر أشكال مختلفة ناشئة عن التغيرات الكثيرة التي تطرأ على أعاريضه وضروبه، فتدخل على تفعيلاته زحافات وعلل كثيرة من أهمها الخبن* والطي * والخبل*.

وقد أخذت أغلب المتون الشعرية الجزائرية القديمة شكل الأراجيز وهو ث كل بيت على قافية واحدة صدرا وعجزا ثم بناء البيت التالي على قافية أخرى صدرا وعجزا وهكذا إلى آخر منظومة وتكون على هذه الصورة :

_____ة _____ة

_____لا _____لا

_____د _____د

ومثاله قول الأخضري من منظومته في علم الحساب :

حروفه معلومة مشـهورة من واحدة لتسعة مذكورة

وجعلوا صفرا علامة الخلا وهو مدوّر كحلقة جـلا

وأربع مراتب الأعـــداد أولها مرتبة الآحـــــاد

وللقافية قيمتها الصوتية في شعر المتون العلمية وقد يغلب عليها أحيانا العشوائية والتكلف، فالشعر العلمي لا علاقة له بالانفعالات لأنه مرتبط بالحقائق العلمية فلا علاقة للقافية بالموضوع وإنما غرض الناظم التبسيط في العرض والسلاسة في الأداء. إلا أن القافية في كثيرا من المطولات قد توقع الشاعر في متاهة الاحتيال اللغوي أو التقعر بحثا عن ألفاظ القافية.[1]

[1] العيد جلولي، النص الشعري الموجه للأطفال في الجزائر، ص 205

_ مميزات الشعر التعليمي الخاص:

يتميز الشعر التعليمي الخاص بـ :

-استخدام وزن بحر الرجز في الغالب الأعم.

-شعر متخصص في علم النحو أو البلاغة أو العروض أو الحساب أو الفلك أو المنطق

-شرح القواعد العلمية.

-الاستشهاد بالقرآن والحديث والأمثال والحكم.

-يتميز باللغة السهلة والمعاني الدقيقة، وألفاظ محددة الدلالة.

-يستخدم المصطلحات العلمية.

-أسلوبه علمي يقرر الحقائق.

-الأسلوب المباشر "يكاد ينعدم فيه الصور والخيال. "

-موسيقاه خفيفة مما يجعله سهل الحفظ.

-يكثر فيه التصريع، وتتنوع قوافيه وحروف رويّه.

-البدء والختام باسم الله وحمده والصلاة على نبيه صلى الله عليه وسلم.

-مخاطبة العقل لإبراز الحقائق العلمية.

-الاعتماد على التحليل والأدلة.

-استخدام المنظومات كأداة لتبليغ المعارف العلمية.

-يعتمد على الدقة والوضوح.

-تتميز أساليبه بالهدوء والبعد عن الإثارة والانفعال.

-يكثر فيه التقسيم والتبويب والتنظيم.

-البعد عن المجاز.

الفصل الخامس

الدراسة التطبيقية

تحليل أرجوزة الجوهر المكنون في الثلاثة فنون للأخضري:

توطئة:

ولج الأخضري باب علم البلاغة بفنونه الثلاث: المعاني البيان البديع معتمدا على كتاب (التلخيص في علوم البلاغة للقزويني ت 739هـ).

واستطاع بقدرته الفنية صياغة معلوماته بطريقة الشعر التعليمي كوسيلة تربوية موجهة إلى طلبة العلم بصفة عامة، والمعروف أن شكل الأرجوزة كان لها دور بيداغوجي باعتبارها وسيلة تعليمية ميسرة للعلوم، يتنافس الطلبة على حفظها وشرحها وطلبها. لاسيما أن علوم البلاغة قد حظيت بالاهتمام لعلاقتها بفهم أسلوب القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف. وكان التأليف في مجال البلاغة محدودا في الجزائر انذاك وأغلب ما ألف عبارة عن شروح وحواش وتقييدات لا تفي بالغرض، ويعد الأخضري من القلائل الذين ألفوا في هذا العلم واختار النظم للتعبير عن مضامين هذه المادة البلاغية. وباعتباره شيخا من شيوخ العلم الممارسين للتدريس فقد كان الطلبة يتلقون عنه العلوم، فرغب بعد الطلب الملح من المتلقين في تقديم هذه المادة في صورة محددة مضبوطة يسهل استيعابها.

_مضامين الأرجوزة:

خصص الأخضري منظومته لتفصيل القول في علوم المعاني والبيان، وقد افتتح الأرجوزة متحدثا عن الهدف من تأليفها وأسباب ذلك بعد حمد الله والثناء عليه بقوله :

الحمد لله البديع الهادي إلى بيان مهيع* الرشـــــاد

أمدّ أرباب النهى ورسما شمس البيان في صدور العلما

فأبصروا معجزة القرآن واضحة بساطع البرهـــــــان

وشاهدوا مطالع الأنوار وما احتوت عليه من الأسرار

فنزلوا القلوب في رياضه وأوردوا الفكر على حياضـــــه

وفي هذه الأبيات يوضح الناظم فضل الله عز وجل الذي منح العلماء علم البلاغة الذي هو وسيلة لإدراك الإعجاز القرآني والإطلاع على أسراره الأسلوبية، فشعرو بالمتعة الفنية، ثم عرج الناظم للصلاة على النبي ومدح الصحابة فقال:

* مهيع: الطريق الواضح والواسع والبين

ثم صلاة الله على ما ترنّما حاد يسوق العيس في الأرض الحما
على نبينا الحبيب الهادي أجل كل ناطق بالضـــــــــــاد
محمد سيد خلق الله العربي الطـــــــــــاهر الأواه
ثم على صاحبه الصديق حبيبه وعمر الفـــــــــــاروق

ثم يمهد لموضوعه مبينا أهمية علم البلاغة وقيمته بقوله :

هذا وإن درر البيـــــــان وغرر البديع والمعـــــاني
تهدي إلى موارد شـــــريفه ونبذ بديعة لطيفـــــــــه
من علم أسرار اللسان العربي ودرك ما خص به من عجب
لأنه كالروح للإعـــــــراب وهو لعلم النحو كاللّبـــــاب

ثم يبين سبب تأليف هذا الرجز المتمثل في بعض الطلبة الذين طالبوه برجز مختصر ثم يصرح بمصدر معلوماته قائلا :

وقد دعا بعض من الطلاب لرجز يهدي إلى الصـواب
فجئته برجز مفـــــــيد مهذّب منّقح سديـــــــد
ملتقطا من درر التلخيص جواهرا بديعـــــة التلخيص
سلكت ما أبدى من الترتيب وما ألوت الجهد في التهذيب
سميته بالجوهر المكنون في صدف الثلاثة الفنـــون
والله أرجوا أن يكون نافعا لكل من يقرؤه ورافـــــــعا

وهي مقدمة طويلة لا تختلف كثيرا عن منظوماته الأخرى، فطريقته المنتهجة واحدة فالاستهلال يكون دائما بحمد الله والثناء عليه ثم الصلاة على النبي ومدحه ومدح الصحابة ثم التمهيد بالموضوع وذكر سبب التسمية ثم بين المصدر الذي استمد منه الموضوع وهو كتاب التلخيص محافظا على الأمانة العلمية كما استخدم أسلوب الإغراء والتشويق في تقديم منظومته، كما يفعل المعلم الناجح ليجعل تلاميذه متشوقين للدرس.

وتبتدئ الأرجوزة بالحديث عن فصاحة الألفاظ والكلام، فحتى يكون اللفظ والكلام فصيحا يشترط فيه أن يكون بعيدا عن التنافر والغرابة، مؤتلفا حسن السبك والتأليف سالما من التعقيد، ألفاظه منتقاة أنيقة، وحتى يكون الكلام بليغا يجب أن يكون مطابقا لمقتضى الحال، يقول الأخضري :

فصاحة المفرد أن يخلص من تنافر غرابة خلف زُكـــن
وفي الكلام من تنافر الكلم وضعف تأليف وتعقيد سلم
وذي الكلام صفة بها يطيق تأدية المقصود باللفظ الأنيق
وجعلوا بلاغة الكـــــلام طباقه لمقتضى المـــــقام
وحافظ تأدية المعانـــــي عن خطأ يعرف بالمعانـي

ثم يجمل مضامين علم المعاني بقوله :

علم به لمقتضى الحال يرى لفظا مطابقا وفيه ذكرا
قصر وإنشاء وفصل وصل أو إيجاز إطناب مساواة رأوا

ثم يفصل القول في الإسناد الخبري واضرب الخبر، ثم يتحدث عن المسند إليه، ثم يخصص فصلا في حالات الخروج عن مقتضى الظاهر مستشهدا بأمثلة مستمدة من القرآن والحديث ومن المحيط الذي يعيشه وكلها أمثلة هادفة ثم يخصص فصلا لأسلوب القصر وأنواعه وطرائقه ثم يخصص بابا لأساليب الإنشاء بصيغه المختلفة ثم يتحدث عن ظاهرة الفصل والوصل ثم يعرفنا في فصل آخر بظاهرة الإيجاز والإطناب والمساواة .

وبدأ من البيت 148بتعريف علم البيان فتحدث عن التشبيه والمجاز والكناية و خصص فصلا في الدلالة الوضعية، ثم عرف التشبيه وأركانه وطرفاه وأدوات التشبيه وغايته وأقسامه، ثم خصص فصلا للحقيقة والمجاز فعرّفهما يمثّل لهما بأمثلة مصنوعة مستمدة من ثقافته الصوفية، ثم جعل فصلا للاستعارات واستشهد بأمثلة لكل نوع، وابتداءً من البيت 212 شرع في الحديث عن علم البديع فتحدث عن الطباق والمقابلة والتورية واللف والنشر والتسهيم والمشاكلة وغيرها من الألوان البديعية ثم تحدث عن المحسنات اللفظية كالجناس الناقص والتام ثم السجع والموازنة ثم يتحدث عن السرقات الشعرية فأقسامها والاقتباس والتضمين والتلميح ثم يختم المنظومة بقوله:

وينبغي لصاحب الكـــلام تأنّق في البدء والخـــــــتام
بمطلع حَسَنٍ وحسن الفال وسبك أو براعة استهـــــــلال
والحسن في تخلص أو اقتضاب وفي الذي يدعونه فصل الخطاب
ومن سمات الحسن في الختام إردافه بمُشْعِر التـــــــــمام
هذا تمام جملة المقصودة من صفة البلاغة المحمـــــودة

ثم صلاة الله طول الأمد على النبي المصطفى محمد
وآله وصحبه الأخيار ما غرّد المشتاق بالأسحار
وخرَّ ساجدا إلى الأذقان يبغِي وسيلة إلى الرحمن
تم بشهر الحجة الميمون تتميم نصف عاشر القرون

الهيكل العام للمنظومة: تضمنت منظومة الأخضري (الجوهر المكنون في الثلاثة فنون) الأبواب البلاغة التالية:

الرقم	الأبواب البلاغية	من ... إلى ...
01	المقدمة	13-01
02	تمهيد للمنظومة(أهمية البيان والبديع والمعاني)	17-14
03	سبب التأليف،مصدره،تسميته	24-18
04	تعريف الفصاحة والبلاغة	31-25
05	علم المعاني، الأسلوب الخبري،	49-32
06	الإسناد	55-50
07	المسند إليه وأغراضه	85-56
08	الخروج عن مقتضى الظاهر	95-86
09	المسند وأغراضه	110-96
10	متعلقات الجملة الفعلية وأغراضها	117-111
11	أسلوب القصر	121-118
12	أسلوب الإنشاء	132-122
13	ظاهرة الفصل والوصل	139-133
14	الإيجاز والإطناب والمساواة	147-140
15	علم البيان: التشبيه وغايته وأقسامه	173-148
16	الحقيقة والمجاز	181-174
17	الاستعارة وأنواعها	202-182
18	المجاز	205-203

19	الكناية وبلاغتها	211-206
20	علم البديع: المحسنات البديعية، المحسنات اللفظية والمعنوية	251-212
21	الموازنة – المماثلة	254-252
22	السرقات وأقسامها	268-253
23	الاقتباس	271-269
24	التضمين – التلميح	277-272
25	التوشيح،الترديد- التطريز- التعريض- الإلغاز- حسن التخليص-فيما لا يعد كذبا	286-278
26	الخاتمة	295-287

منهجه في الأرجوزة:

قبل الحديث عن منهجه في الأرجوزة يستوقفنا عنوان الأرجوزة الذي اختاره الناظم وهو الجوهر المكنون في صدف الثلاثة فنون، والعنوان من أهم العتبات التي تهيئ المتلقى وتؤثر على علاقته بالنص، وقد عنون الأخضري أرجوزته بعنوان مثير جذاب يفتح شهية القارئ الثقافية ويستحثه على قراءته والإطلاع عليه، فالجوهر ببريقه ونورانيته المشعة تلهب المشاعر وتؤثر في العقول، وهذه التسميات في الغالب عند علماء الإسلام هي لتنشيط المتلقين من الطلبة وتهييج الراغبين. والأعمال بالنيات، والأخضري يمهد بهذا العنوان لتقبل العلم و ليؤثر في النفوس فتنشط ويثيرها لتنتبه.

يقوم منهج الأرجوزة على ثلاثة مرتكزات هي:

1-الضبط والحصر

2-التقسيم

3-الشواهد

ومدار هذه المرتكزات على الغاية التعليمية التي من أجلها نظم عبد الرحمن الأخضري الأرجوزة

1-الضبط والحصر: إن تحديد المعرفة وضبطها وحصرها شأن منطقي، وعملية الحد ووضع التعاريف وصياغتها ليس مجرد رصف للألفاظ، ولكنها عملية ذهنية عسيرة وشاقة،

إذ لا يتأتى وضع تعريف محدد للشيء إلا بعد الإحاطة به ومعرفته معرفة عميقة واستيعاب كلياته وجزئياته وتزداد مشقة صياغة التعاريف حين تتعلق بالألفاظ التي تحمل أوجها متعددة في المعاني والدلالات، وقد تحمل الأخضري عناءا في تقديمه لعلم البيان حين ضبط مكوناته وحصر جزئياته بالارتكاز على كتاب (التلخيص في علوم البلاغة لجلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني) المتوفى عام 739هـ وقد وصل عدد أبيات منظومة الجوهر المكنون في الثلاثة فنون 291 بيتا مستهدفا حصر المعرفة البلاغية وتقديمها إلى المتلقين بأوجز لفظ وأسهل عبارة وأحكم صياغة، فعالج بعض القضايا بطريقة واضحة وبعناوين أكثر دلالة، كتخصيصه فصلا للإسناد العقلي الذي كان مدمجا عند القزويني في محتوى إسناد الخبر، ينظر قوله في باب علم المعاني :

علم به لمقتضى الحال يرى * لفظا مطابقا وفيه ذكرا
إسناد مسند إليه مسند * ومتعلقات فعل تورد
قصر وإنشاء وفصل وصل أو * إيجاز إطناب مساواة رأوا

ثم فصل القول في الإسناد الخبري بقوله:

الحكم بالسلب أو الإيجاب* إسنادهم وقصد ذي الخطاب
إفادة السامع نفس الحكم * أو كون مخبر به ذا علم
فأول فائدة والثاني * لازمها عند ذوي الأذهان
وربما أجرى مجرى الجاهل* مخاطب إن كان غير عامل
كقولنا لعالم ذي غفلة * الذكر مفتاح لباب الحضرة

وبالمثال يتضح المقال فقوله (الذكر مفتاح لباب الحضرة) دعم به الفكرة واستهدف هدفا تربويا يحث فيه المتلقي على الذكر بطريقة غير مباشرة، وهذا ما تدعو إليه الطرائق البيداغوجيا الحديثة في حسن اختيار الأمثلة الهادفة التي تخدم الهدف الآلي الخاص بالقاعدة البلاغية، والهدف التوجيهي التربوي للمتلقي المتمثل في حثه على ذكر الله. وفي المنظومة أمثلة مقتبسة من الآيات القرآنية كمثل قوله أثناء حديثه عن أضرب الخبر:

فحسن ومنكر الإخبار* حتم له بحسب الإنكار
كقوله إنّا إليكم مرسلون[1] * فزاد بعد ما اقتضاه المنكرون

[1] سورة يس، الأية رقم 14

وفي معرض حديثه عن أساليب التوكيد وأدواته يستخدم مثالا يستهدف به توجيها أخلاقيا وذلك في قوله :

بقسم قد، إن لام الابتدا* ونوني التوكيد واسم أكدا
والنفي كالإثبات في ذا الباب * يجري على الثلاثة الألقاب
لأن كأن لام أو باء يمين * (كما جليس الفاسقين بالأمين)

وقد يستخدم أمثلة مستوحاة من البيئة الصوفية الربانية كمثل قوله عن المجاز العقلي :

ولحقيقة مجاز وردا* للعقل منسوبين أما المبتدا
إسناد فعل أو مضاهيه إلى* صاحبه (كفاز من تبتّلا)

وأكثر الأمثلة التي ينشئها الأخضري لها علاقة باتجاهه الصوفي الذي ينتصر له ويدعو إليه كمثل قوله أثناء حديثه عن المسند إليه :

يحذف للعلم والاختيار * مستمع وصحة الإنكار
ستر وضيق فرصة إجلال* وعكسه ونظم استعمال
(كحبذا طريقة الصوفية) * تهدي إلى المرتبة العلية

ثم يعود الى الحديث عن المسند بقوله:

يحذف مسند لما تقدمّا * والتزمو قرينة ليعلما
وأفردوه لانعدام التقوية* وسبب (كالزهد رأس التزكية)

إلى ان يقول:

وقصروا تحقيقا أو مبالغة * بعرف جنسه كـ (هند المبالغة)
وجملة لسبب أو تقوية * (كالذكر يهدي لطريق التصفية)

ويخصص الأخضري بابا خاصا بالقصر الذي يعرفه بقوله:

تخصيص أمر مطلقا بأمر * هو الذي يدعونه بالقصر
يكون في الموصوف والأوصاف * وهو حقيقي كما إضافي
وأدوات القصر إلاّ إنّما * عطف وتقديم كما تقدما

ثم يتحدث الناظم عن أسلوب الإنشاء بقوله :

ما لم يكن محتملا للصدق * والكذب الإنشا ككن بالحق
والطلب استدعاء ما لم يحصل *أقسامه كثيرة ستنجلي

أمر ونهي ودعاء وندا* تمنّ استفهام أعطيت الهدى
واستعملوا كليت لو وهل لعل* وحرف حضّ وللاستفهام هل
أي متى أيان أين من وما * وكيف أنّى كم وهمز ا

فالأسلوب الإنشائي ينقسم إلى أسلوب طلبي وغير طلبي، فالطلبي يتمثل في الأمر والنهي والنداء والدعاء والتمني والاستفهام.

ونلاحظ ههنا سهولة الأبيات ووضوحها مع التمثيل وهو أسلوب تعليمي موجه إلى طلبة العلم، فاللغة مباشرة في شرح قواعد علم البلاغة لا مجال فيها للمشاعر والعواطف.

ثم يشير إلى الأغراض الأدبية التي تخرج إليها صيغ الإنشاء كالتقرير والتعجب والتحكم والتحقير والتنبيه والاستبعاد أو الترهيب وفي الباب السابع يتحدث على الفصل والوصل، وهما أساسيان في إتقان اللغة العربية فقد قيل: " من ملك الفصل والوصل فقد ملك اللغة العربية " وفي الباب الثامن يعرفنا الأخضري بالإيجاز والإطناب والمساواة إذ يقول :

تأدية المعنى بلفظ قدره* هي المساواة (كَسِر بذكره)
وبأقل منه إيجاز عُلم * وهو إلى قصر وحذف ينقسم
ك(عن مجالس الفسوق بعدا * (ولا تصاحب فاسقا فتردى)
وعكسه يعرف بالإطناب* كالزم– رعاك الله–قرع الباب
يجيء بالإيضاح بعد اللبس* لشوق أو تمكن في النفس
وجاء بالإيغال[1] والتذييل[2]* تكريرا اعتراض أو تكميل[3]
يدعى بالاحتراس والتتميم * وقفو ذي التخصيص ذا التعميم
و وصمة الإخلال والتطويل* والحشو مردود بلا تفصيل

2_ التقسيم: ينتمي هذا المرتكز إلى المنهج التقريري الذي أخذ به الأخضري في منظومته وهذا المنهج ينحو إلى التقسيم والتفريق، وتقديم المعارف البلاغية عبر التقسيمات والتعاريف

[1] الإيغال:هو إتمام معنى الكلام قبل بلوغ القافية
[2] التذيل :إعادة الألفاظ المترادفة على المعنى حتى يتضح
[3] التكميل: وهي الزيادة في الكلام بمعنى يكمله

. وهذا ما نجده في أرجوزة الأخضري، ففي باب المجاز والاستعارة تكثر التقسيمات حتى ليصعب على الطالب الفهم إلا بعد الشرح فالاستعارة وحدها مقسمة إلى تصريحية ومكنية ومرشحة وتبعية وتحقيقيه وعقلية وتخيلية ومطلقة ومجردة ونفس الأمر في فصل الإسناد يقول :

أقسامه من حيث الاعتقاد وواقع أربعة تـــــــفاد
والثان أن يسند للملابس ليس له يبنى كثوب لابس
أقسامه بحس النوعين في جزأيه أربع بلا تكلـــف

وفي باب المسند إليه يقسم ويفصل كذلك، ينظر قوله:

وكونه باللام في النحو علم لكن الاستغراق فيه ينقسم
إلى حقيقي وعرفي وفي فرد من الجمع أعم فاقتــفي

وفي حديثه عن الدلالة الوضعية يقسم كذلك بقوله :

والقصد بالدلالة الوضعية على الأصح الفهم لا الحسية
أقسامها ثلاثة مطابقة تضمن التزام أما السابقــة
فهي الحقيقة ليس في فن البيان بحث لها وعكسه العقليتان

ونفس الأمر في علم البديع. وفي موضوع السرقات يقول الأخضري معرفا :

وأخذ شاعر كلاما سبقه هو الذي يدعونه بالسّرقة
والسرقات عندهم قسمان خفية جلية والثانـــــــي
تضُّمن المعنى جميعا مسجلا إرادة انتحال ما قد نقـلا

وأما الاقتباس فيقول في تعريفيه:

والاقتباس أن يضمّن الكلام قرآنا أو حديث سيّد الأنام
والاقتباس عندهم ضربان محول وثابت المعانـــــي

ولا شك أن تتبع تقاسيم المعلومات يفضي إلى إسهاب مفرط. فاستقصاء تقاسيم التشبيه والمجاز والمسند وتقاسيم الاستعارة يطول النص وقد يكون التطويل أحيانا فضولا، والهدف من الأرجوزة هو إفادة المتلقي، وصغر الحجم في المضامين قد يكون أفضل للطالب وأيسر له لضبط المعلومات وفهمها وفي ذلك ورد عن بعض المعلمين قولهم :

قصدت إلى الوجازة في كلامي لعلمي بالصواب في الاختصار

ولما كان هدف الأخضري إفادة طلبة العلم، فإنَّ الهدف يتحقق بالتزام الوضوح في المضامين والأساليب.

3_الشواهد: استثمر الأخضري شواهد عدة ليعزز بها مباحثه ويعطي المصداقية للمحتويات استقاها من عدة مصادر : القرآن الكريم وأمثلة منتقاة ذات مدلول تربوي توجيهي .

أ_ القرآن: أورد الأخضري في أرجوزته بعض الآيات مثل قوله :

فحسن منكر الأخبار حتم له بحسب الإنكار

كقوله: (إنَا إليكم مرسلون)[1] فزاد بعدما اقتضاه المنكرون

وكقوله:

أو عكس أو دعوى الظهور والمدد لنكتة التمكين ك(الله الصمد)[2]

وكقوله كذلك :

وماسواه المتوازي فادرى كـ (سرر مرفوعة في الذكر)

مكررا مجانسا وما التحق يأتي ك (تخشى الناس والله أحق)[3]

وكقوله كذلك :

كـ (التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون)[4]

ب_ الشعر: وهو خزان المعرفة والفائدة والإمتاع وحين كانت الوجهة العلمية في الأرجوزة واضحة فإنه استعان ببعض الأبيات الشعرية ومنها بيت للشاعر الإسلامي أبي ذؤيب الهذلي وذلك في قوله :

يعرف باستعارة الكناية وذكر لازم بتخيلية

كأنشبت منية أظفارها[5] وأشرقت حظرتها أنوارها

ج_ الشواهد المصنوعة: استشهد الأخضري في منظومته بشواهد مصنوعة استقاها من بيئته الصوفية وثقافته الإسلامية ليبلغ مقاصده ويفي بالمطلوب ويوجه المتلقي ومنها قوله:

---

[1] سورة يس، الآية 14

[2] سورة الإخلاص، الآية 2

[3] سورة الأحزاب، الأية 37

[4] سورة التوبة، الآية 112

[5] هذا البيت مأخوذ من قول الشاعر أبي ذؤيب : وإذا المنية أنشبت أظفارها*** ألفيت كل تميمة لا تنفع

كقولنا لعالم ذي غفلة الذكر مفتاح لباب الحضرة

وفي هذا الشاهد توجيه إلى الغافلين ينبههم إلى أهمية ذكر الله في الوصول إلى جنات القربات، ومن جهة أخرى يبين الشاهد اتجاه الناظم الرباني الصوفي كقوله:

بأن كأن لام أو باء يمين كما جليس الفاسقين بالأمين

وفي هذا المثال توجيه إلى المتلقي بأن يتجنب مجالس الفاسقين وفيه تذكير بالحديث النبوي الذي يحث على مجالسة الصالحين وتجنب مجالسة أهل السوء كقوله :

كـ حبذا طريقة الصوفية تهدي إلى المرتبة العلية

انها دعوة صريحة إلى المتلقي بوجوب التمسك بمنهج الصوفية القائم على الكتاب والسنة باعتبارها وسيلة لبلوغ الغايات الروحية ونيل مرضاة الله.

ويمكننا تتبع هذه الأمثلة المصنوعة ذات الأهداف التوجيهية التربوية في الأبيات التالية :

وفصله يفيد قصر المسند عليه كالصوفي وهو المهتدي

وقصد الاستعطاف والإرهاب نحو الأمير واقف بالباب

كعن مجالس الفسوق بعدا ولا تصاحب فاسقا فتردى

كأشرقت بصائر الصوفية بشمس نور الحضرة القدسية

_ إلى اختصاص الوصف بالموصوف (كالخير في العزة ياذا الصوفي)

_ وجملة لسبب أو تقوية (الذكر يهدي لطريق التصفية)

_ و عكسه يعرف بالإطناب كالزم (رعاك الله قرعَ الباب)

فهذه الأمثلة وغيرها في الأرجوزة لم يكن اختيارها اعتباطيا وإنما هي مقصودة لتخدم أهداف تربوية ودينية، فهذه الأمثلة قصدها الناظم بهدف التوجيه للقراء ذات توجهات ربانية تدل على حرص المؤلف في استغلال الأمثلة المصنوعة لشرح القواعد العلمية البلاغية من جهة وتحقيق غايات تربوية من جهة أخرى ولا شك أن هذه الأمثلة بالإضافة إلى طابعها العلمي الصرف، لها وظيفة استئناسية ترويحية تخرج بالقارئ إلى فظاءات أخرى تنفس على المتلقي وتدفع عنه السأم وتنشطه ليواصل الغوص في محيط البلاغة وهذه الأمثلة المستهدف بها سواء كانت من القرآن أو الحديث أو من البيئة الصوفية تتميز في عمومها بالإيجاز ووضوح المعنى وسهولة الأسلوب، عززت مضامين الأرجوزة وأكسبتها غنى ووضوحا.

وهذه المنظومة التي هي عبارة عن ملخص لكتاب القزويني في البلاغة لاقت عناية فائقة من قبل العلماء وطلبة العلم، فنقلت واستظهرت وشرحها العلماء وقد تولى الأخضري بنفسه شرح الجوهر المكنون وأنجز شرحا كبيرا فاق كتاب التلخيص وهذا الشرح موجودا بالمكتبة الوطنية ويحتاج إلى التحقيق.

لغة المنظومة:

تمتاز لغة عبد الرحمن الأخضري باللين واليسر في الغالب الأعم ، وقد أجاد في وصف الظواهر العلمية البلاغية ونقل الحقائق العلمية، استخدم مفردات قريبة التناول عادية مألوفة ليس فيها عويص ولا مبهم وجمله قصيرة غالبا وعباراته بسيطة التراكيب متآلفة غير متنافرة وهذه بعض النماذج من هذه اللغة العلمية الواضحة السهلة: يقول الأخضري في منظومة الجوهر المكنون في الثلاثة فنون حين تحدث عن التشبيه :

تشبيهنا دلالة على اشتراك أمرين في معنى بآلة أتاك
أركانه أربعة وجه أداة وطرفاه فاتبع سبل النجاة

وأنظر قوله كذلك أثناء حديثه عن أدوات التشبيه بقوله:

أداته كاف كأنَّ مثل وكل ما ضاهاه ثم الأصل
إيلاء ما كالكاف ما شبه به بعكس ما سواه فاعلم وانتبه

وحين تحدث عن الأسلوب الإنشائي قال :

ما لم يكن محتملا للصدق والكذب الإنشا ككن بالحق
والطلب استدعاء ما لم يحصل أقسامه كثيرة ستنجـــــلي
أمر ونهي ودعاء ونـــــــدا تمن استفهام أعطيت الهدى

وما ورد في هذه الأبيات يبين بوضوح وجلاء لغة الأخضري العلمية التي تعبر عن المعلومة بأيسر طريق بمفردات عادية وعبارات واضحة وبجمل يسيرة التراكيب، إنها لغة علمية مصنوعة تشير إلى المعلومة رأسا بأسلوب مباشر لا لبس فيه، سهل الفهم ينظر قوله كذلك في باب القصر بقوله:

تخصيص أمر مطلقا بأمـــر هو الذي يدعونه بالقصر
يكون في الموصوف والأوصاف وهو حقيقي كما إضافي

لقلب أو تعيين أو إفـــــــراد كأنما ترقى بالاستعــداد
و أدواة القصر إلاَّ إنّـــــما عطف وتقديم كما تقدم

إن الناظم يفصل شرح الظاهرة البلاغية المتمثلة في أسلوب القصر مع التمثيل لها، بلغة علمية واضحة دقيقة وفي باب الإيجاز والإطناب والمساواة يقول :

تأدية المعنى بلفظ قدره هي المساواة كسر بذكـــــره
وبأقل منه إيجاز علم وهو إلى قصر وحذف ينقسم
كعن مجالس الفسوق بعدا ولا تصاحب فاسقا فـــتردى
وعكسه يعرف بالإطناب ك إلزم رعاك الله قرع الباب

فهذه النماذج وغيرها دليل على اللغة العلمية الدقيقة المباشرة البعيدة عن العواطف والخيال، و المتميزة بتراكيب ذات جمل قصيرة مع الاستدلال بالأمثلة العلمية، والتمثيل عملية هامة في الدرس البلاغي وكل أمثلته منتقاة من البيئة الدينية الصوفية وهي أمثلة هادفة إلى التوجيه وتقويم سلوك المتلقى، كما أن تفصيل المعلومات والتمثيل لها دلالة على إتقان عبد الرحمن الأخضري لفنية التدريس والتعليم كما نلاحظ سهولة النغم الإيقاعي من خلال موسيقى النظم الداخلية أو الخارجية من خلال الوزن المنبعث من تفعيلات بحر الرجز .

كما نلاحظ في هذا النظم محسنات بديعية قد تعود إلى التأثر بمدرسة الصنعة اللفظية من خلال كثرة الجناس والتصريع في الأبيات وكلاهما محسنان بديعيان لفظيان أسهما في موسيقى النظم ينظر قوله في الأبيات التالية :

الحمد لله البديع الهادي إلى بيان مهيع الرشـــــــــاد
أمد أرباب النهى ورسما شمس البيان في صدور العلما

وينظر قوله كذلك في البيت الخامس :

فنزه القلوب في رياضه وأوردوا الفكر على حياضه

فنلاحظ : (رياضه، حياضه) جناس وتصريع أسهما في موسيقى وإيقاع النظم وينظر قوله في البيت 23 :

والله أرجو أن يكون نافعا لكل من يقرؤه و رافعا

ومن المحسنات البديعية التي استخدمت في النظم بهدف التوضيح والتمثيل الطباق كقوله في البيت(168و170) :

وباعتبار الوجه أيضا مجمل خفي أو جلي أو مفصل
لكثرة التفصيل أو لندرة في الذهن كالترتيب في كنهيتي

ومع علمية النظم إلا أن الناظم استخدم ألوانا بيانية احتاج إليها لتوضيح أفكاره ومضامين منظومته. ففي مقدمة المنظومة استخدم اللغة الوصفية فكثرت النعوت والإضافات والصور فاستخدم الاستعارة والتشبيه كقوله في البيت الثاني والثالث :

أمد أرباب النهى ورسما شمس البيان في صدور العلما
فأبصروا معجزة القرآن واضحة بساطع البرهـــــان

فقوله شمس البيان يعد من باب اضافة المشبه إلى المشبه به

كما نلاحظ الاستعارة في قوله :

فنزهو القلوب في رياضه وأوردوا الفكر على حياضه

وهي كلها استعارات تصريحية توضح عظمة القرآن الكريم . حيث جعل للقرآن رياضا و حياض

وأما التشبيه نجده في قوله :

لأنه كالروح للإعراب وهو لعلم النحو كاللباب

وكذلك قوله :

ومهمهٍ مغبرّة أرجاؤه كأنَّ لون أرضه سماؤه

وهذه الألوان البيانية المتنوعة تفيد توضيح المعاني وتمثيل الصور البلاغية التي تحدث عنها في منظومته.

ونلاحظ في هذه المنظومة عناية فائقة بالروابط وخصوصا حروف الجر والعطف، ففيها تنويع بين عناصر التعبير تبعا لمقتضيات السياق إذ الحاجة ماسة إلى العطف بالواو وأو بين المفردات أو الجمل كقوله:

ثم على بقية الصحابة ذوي التقى والفضل والإنابة
والمجد والفرسة والبراعة والحزم والنجدة والشجاعة
ما عكف القلب على القرآن مرتقيا لحضرة العرفان

ويبدو كأن حروف العطف علامات لحسن التقسيم في المعاني ينظر قوله كذلك :

تعبد تعجب تهويل تقرير أو إشهاد أو تسجيل

وهذه الروابط المستخدمة بكثرة في المنظومة تساعد الناظم في حسن التقسيم وضبط الإيقاع الموسيقي كذلك، لينسجم مع رنة مستفعلن، وقد استخدمت حروف الربط سواء العاطفة أو الجارة كصلة تساعد في ضبط الوزن ينظر قوله مثلا في حديثه عن المسند :

وتركوا تقيده لنكـــــــــتة كسترة أو انتهاز فرصة

وخصصوا بالوصف والإضافة وتركوا لمقتض خلافة

وكونه معلق بالشـــــــــرط فلمعاني أدوات الشرط

وذكروا إتباعا أو تفخيـــما حطا وفقد عهد أو تعميم

وطبيعي أن يكثر في الشعر التعليمي حروف الربط عموما كونها تساعد الناظم في التعبير عن المعاني، وأحيانا قد تمنحه الوقت لإيجاد الجمل والتراكيب المناسبة.

إنَّ قيمة منظومة الجوهر المكنون في الثلاثة فنون تكمن في قدرة الناظم على المزاوجة بين التنظير والتطبيق في سياق تعليمي توجيهي، ينجح إلى حد كبير في إصابة الأهداف التي قصدها الناظم. كما تظهر قدرته الفائقة في تحديد بعض المفاهيم البلاغية بدقة ولعل من أبلغ الأمثلة على ذلك ما نجده من تعريفه للكناية في قوله:

لفظ به لازم معناه قصد مع جواز قصده معه يرد

وعن ظاهرة الاقتباس يقول :

والاقتباس أن يضمن الكلام قرآنا أو حديث سيد الأنام

ولكل نص علمي مصطلحاته، فلعلم الحديث مصطلحاته وللفقه مصطلحاته، كذلك الأمر لعلم البلاغة، فقد وضع البلاغيون مصطلحات ألفوا استخدامها في البحث والتأليف وإذا ما لاحظنا أرجوزة الأخضري، نجد أنفسنا أمام عشرات المصطلحات البلاغية مثل: الفصل، الوصل، الإيجاز، الإطناب، القصر، المساواة، المسند، الخبر، الإنشاء، التشبيه، الاستعارة، المجاز، البديع، المطابقة، التسهيم، المشاكلة، المقابلة، اللف والنشر التوشيح، الترديد... ولاشك أن كثرة هذه المصطلحات هي نتيجة جهود أجيال سبقت الاخضري من العلماء الذين يسروا سبل البلاغة للناس.

وهذه المصطلحات واضحة الدلالة ليّنة بين يديه يشكلها في صور مختلفة موجها بها المتلقين .

يغلب على الأرجوزة الأساليب الخبرية المناسبة لوصف الظواهر العلمية لتثبيتها وتقريرها في الأذهان باعتبارها حقائق، إلا أن الأساليب الإنشائية تبعث الحيوية والحركة في ثنايا المنظومة بين الناظم والمتلقي ففي البيت 134 و137 يقول الأخضري مستخدما صيغة الأمر للمتلقي الحقيقي أو المفترض:

فافصل لدى التوكيد والإبدال لنكتة ونية الســـــــــــؤال

وصِل لدى التشريك في الإعراب وقصد رفع اللبس في الجواب

كما يستخدم المصدر النائب عن فعل الأمر والنهي بغرض توجيه المتلقي:

كعن مجالس الفسوق بعدا ولا تصاحب فاسقا فتردى

وعكسه يعرف بالإطناب كالزم رعاك الله قرع الباب

فهذه الأوامر والأساليب الإنشائية الأخرى في المنظومة تجعل المتلقي أكثر انتباها للموضوع ومن خلال الحوار الهادئ الذي يعتمد على المنطق العلمي بين الناظم والمتلقي يقوده إلى النتيجة والمعرفة اليقينية المدعمة بالأمثلة، وكأن الناظم يشرك المتلقين فيما يعرضه عليهم من معلومات متوالية، إنَّ طريقة الحوار في التعليم ومتابعة المتعلم عند مراحل الإنجاز دليل على تطور الطرائق التربوية لدى عبد الرحمن الأخضري

ـ موسيقى النص :

تعد الموسيقى الشعرية ركنا أساسيا يستخدمه الناظم في بناء منظومته، نظرا لما توفره من أنغام مبينة على الوزن والقافية فهما شريكان في الاختصاص بالشعر وموسيقاه الخارجية. وعليه فإن صياغة العلوم المختلفة باستغلال الإيقاع الموسيقي، أمر سهل العلوم للمتعلمين وجعلهم يقبلون على المتون العلمية ويحفظونها عن ظهر قلب ، إذ للإيقاع تأثير إيجابي على المتعلم ومنبه هام للحواس كما ذكرت ذلك من قبل ومن المعلوم أن الشعراء التعليميين اتخذوا بحر الرجز إطارا لعرض معلوماتهم ومعارفهم وملخصاتهم. ومن المعلوم أن الرجز هو أقدم الأوزان الشعرية العربية وقد اختير من طرف الشعراء لنظم العلوم ويرجع ذلك إلى ما في هذا البحر من سعة عروضية تسمح باستيعاب كل ما يقال فيه، فهو يتقبل من الزحافات والعلل ما لا يتقبله غيره، كما أنه بحر رشيق سريع النغمات، ونظم العلوم يحتاج

إلى قالب شعري فيه خفة ومرونة حتى يتقبلها العقل في شيء من الراحة وعدم الملل وبحر الرجز بما فيه من جرس حلو ونغمات متلاحقة يشيع الحياة والحركة في الأراجيز التعليمية التي تحتوي على مادة علمية لا تستهوي الناس.[1]

وهذه الخفة الموسيقة في تفعيلات بحر الرجز هي التي تجعل القارئ يترنم ويتغنى بتفعيلاته وإيقاعه الخفيف حتى يحفظ المنظومة أو الأرجوزة. ومع التفعيلات والإيقاع النغمي، تسهم حروف الروي المتنوعة والقوافي المتغيرة من بيت إلى أخر، في إضفاء الصبغة الترنمية لهذا النوع من الأشعار، فإذا ما لاحظنا منظومة الجوهر المكنون وجدناها مصرعة في كل الأبيات .

الحمد لله البديع الهادي إلى بيان مهيع الرشاد

الحمد لل	لاه لبدي	علهادي	الى بيا	ن مهيعر	رشادي
/0//0/	/0//0/	/0/0/	/0//0	/0//0	/0/0
مستفعلن	مستفعلن	مستفعل	متفعلن	متفعلن	متفعل

(بحر الرجز)

وينبغي لصاحب الكلام تأنّق في البدء والختام

وينبغي	صاحبل	كلامي	تأننقن	في لبدء ول	ختامي
/0//0	/0//0	/0/0	/0//0	/0//0/	/0/0
متفعلن	متفعلن	متفعل	متفعل	مستفعلن	متفعل

(بحر الرجز)

ونلاحظ أن تفعيلة بحر الرجز يلحقها علل وزحافات كثيرة مما يسر النظم على هذا البحر. كما أن هذه الأبيات المصرعة تسهم مساهمة فعالة في إضفاء الإيقاع الموسيقي المناسب

[1] رجاء السيد، فن الرجز في العصر العباسي منشأة المعارف الإسكندرية بدون سنة طبع .

للقارئ الذي سيحفظ الأبيات، بل ستطرد عنه الملل وهو يترنم بالأبيات مرة بعد مرة، ولعل هذه الموسيقى الداخلية والخارجية للأبيات، كانت السبب وراء حفظ المتون المقررة في الكثير من الكتاتيب والمساجد حتى عصرنا الحاضر، وتلاقي إقبالا من طرف طلبة المدارس والمعاهد الدينية عموما، فالمنظومات تسعف المعلم والمتعلم على حد سواء في استذكار المعلومات، فسلاسة الألفاظ المنتقاة وحروفها المتلائمة وحروف الروي المتنوعة وتفعيلات بحر الرجز، هي التي تؤلف مجتمعة موسيقى المنظومة الداخلية والخارجية. هذا وقد صار الرجز وزنا شعبيا يدور على كل لسان في مقطوعات قصيرة، ينظمها كل من شعر برغبة التعبير، حتى عرف الرجز بأنه (حمار الشعر) يحمل عليه كل شيء ويستعمل في أشكال متعددة مجزوءا ومشطورا[1] ومنهوكا.[2] وهو على الجملة أكثر البحور تغيرا وأغناها بالألحان والأنغام وأطوعها للحذف والإضافة في تفاعيلية تتيح للرجاز الفرصة لإطالة صياغتهم أحيانا وتقصيرها في أحيان أخرى.

وأما القافية فهي الركن الثاني من أركان القصيدة في بنائها وموسيقاها، وهي شريكة الوزن في الاختصاص بالشعر الذي لا يسمى شعرا حتى يكون له وزن وقافية.[3] والقافية ليست إلا عدة أصوات تتكرر في أواخر الأشطر أو الأبيات من القصيدة وتكرارها يكون جزاء هاما من الموسيقى الشعرية ويستمتع السامع بترديدها. وللقافية قيمتها الصوتية في شعر المتون العلمية ويغلب عليها أحيانا العشوائية والتكلف، لأن الشعر العلمي لا علاقة له بالانفعالات والمشاعر. وإنما هو مرتبط بالحقائق العلمية، ولذلك لا يمكن الربط بين اختيار القافية والموضوع العلمي. وغرض الناظم العام هو التبسيط في عرض المعارف والسهولة في الأداء، كما هو الشأن في أرجوزة عبد الرحمن الأخضري. إلا أن الشيء الذي نلمسه ونحسه في الأراجيز هو أن وقوع القافية في أخر البيت يتيح للقارئ فسحة من صمت تتجاوب فيه القافية مع الذاكرة فتكون أعلق بالحافظة وأشد أثرا من سواها من كلمات البيت. إلا أن القافية

[1] المشطور: ما أسقط شطره، ينظر إيميل بديع، المعجم المفصل في علم العروض والقافية وفنون الشعر، دار الكتب العلمية بيروت 1991 ص 84

[2] المنهوك : ما ذهب ثلثاه، المرجع نفسه ص . 84

[3] ينظر ابن رشيق، العمدة تحقيق محمد محي الدين عيد الحميد، دار الجيل، بيروت، ط 5 1981 ج 1 ص 151

في كثير من المطولات قد توقع الناظم في متاهة الاحتيال اللغوي أو التقعر بحثا عن ألفاظ تناسب القافية.

وللأرجوزة بما فيها من تنويع للقوافي وتصريع للأبيات، إنما جاءت بغرض اختصار المطولات وتيسير الحفظ بغرض التعليم، ويبدو واضحا أن الرجاز أرادوا التعويض عن القافية الموحدة في منظومتهم بالتصريع فوحدوا بين قافية الشطرين المتقابلين، والملاحظ أن المنظومات المصرعة أكثر موسيقية من المنظومات المتحدة القوافي لحرص الناظم فيها على التصريع المستمر للأبيات، مما يكسبها إيقاعا منتظما، إلا أنه قد يجني هذا الأمر على المعنى أحيانا إذ يجد الناظم نفسه مضطرا للحشو.

ولهذا يستمتع طلاب الحوزات العلمية والحلقات بالمساجد والزوايا وهم يرددون المتون و الأراجيز الشعرية التعليمية الفقهية أو النحوية في أو البلاغية أو غيرها من العلوم. فالايقاع والقافية في الشعر المنظوم تستهوي فطرة المتلقين ، لأنه أوقع في النفس و أخف على السمع، وأسرع رسوخا في الذاكرة بالمقارنة مع النثر.

وتكشف طريقة التعليم بالمنظومات عن وعي و ادراك عميقين لدى العلماء المسلمين . فقد لاحظوا أن الطاقة العقلية للانسان تتوزع بين الحفظ والفهم، وأن الحفظ يبدأ مع سن الطفولة، وأما الفهم و الاستيعاب فيكون أضعف و أقل ثم يتناقص الحفظ لحساب الفهم والاستيعاب إلى أن تصبح القدرة على الفهم أكبر من القدرة على الحفظ و التخزين في الذاكرة. وعلى هذا النهج ، قدموا للصغير أصول المعارف في شكل منظومات ومتون طالبوا المتعلمين بحفظها واستظهارها، ولم يرغموهم على فهمها ، فشغلوهم بالحفظ الذي سيكون لهم بمثابة خزانة ذهنية يستعينون بها على استحضار المادة العلمية متى شاؤا .[1] ويثبت الواقع التعليمي المشاهد نجاعة التعليم بواسطة المنظومات التعليمية في تاريخنا القديم والمعاصر .

[1] قاسم ناصر حسين، دور المنظومات الشعرية التعليمية في تقريب علم الفقه، مجلة ديالى 2013، العدد 58 ص 616

تحليل منظومة (معلم الطلاب ما للأحاديث من الالقاب)

ـ التعريف بالناظم: هو الشيخ ابو العباس احمد بن محمد بن زكري المغراوي المانوي التلمساني[1]، ولد في حوالي 820هـ ، نشأ يتيما تحت كفالة امه بعد وفاة ابيه، واضطر أن يعمل وهو طفل في مهنه الحياكه نظيرا لنصف دينار في الشهر إلى أن تحول إلى طلب العلم. وكان للشيخ ابن زآغو دورا كبيرا في هذا التحول. وقد عرف عنه شغفه بطلب العلم، وسرعة الفهم والحفظ.

-شيوخه: تتلمذ ابن زكري على الشيخ بن محمد العجيسي التلمساني المعروف بابن مرزوق الحفيد وعلى احمد بن عبد الرحمن المغرواي التلمساني الشهير بابن زاغو، وعلى الشيخ قاسم العقباني، وعلى قاسم بن سعيد بن محمد التجيبي العقباني، وعلى محمد بن محمد المشدالي وعلى التازي إبراهيم.

ـ الامام ابن زاغو ت845هـ: إمام شهير في الفقه والتفسير والتصوف من أهم مؤلفاته: (شرح مختصر خليل) (شرح المختصر الفرعي لابن الحاجب) (مقدمة في التفسير) (شرح التلمسانية) في الميراث[2] تفسير الفاتحة.

ـ العقباني[3] : ابو الفضل قاسم بن سعيد ت 854هـ صاحب (شرح الرسالة) (شرحان على المدونة) (المختصر) في اصول الدين ، ولي القضاء بتلمسان وبلغ درجة الاجتهاد.

ـ التازي (ابو اسحاق)[4] ابراهيم بن علي: ت866هـ نزيل وهران، و وليها الصالح، تتلمذ على يديه الحافظ التنسي ،والسنوسي، والشيخ زروق والقلصادي وابن زكري، له عدة منظومات وقصائد شعرية تعليمية، سيأتي الإشارة إليها.

ـ الثعالبي عبد الرحمان ت 875هـ. الذي أجاز ابن زكري

---

[1] الزركلي الاعلام،. دار العلم للملايين بيروت 1992،ط10 ص231

1_ينظر الحفناوي،تعريف الخلف برجال السلف،ج1 ص 44، ابن مريم البستان ، ص 38 ، نيل الابتهاج يتطريز الدباج لاحمد بابا ج1 ، ص136

[2] ابن مريم البستان، ص 41 نيل الابتهاج ج1 ص 122

[3]التنبكتي نيل الابتهاج ج2 ص 12

[4] ابن مريم،البستان ، ص58

_ المشدالي ابو الفضل محمد بن احمد ت 864 هـ علامة (الناصرية) في علوم المنطق والاصول والحساب و الاسطرلاب والطب

تلاميذه: نذكر منهم :

_ الوادي آشي البلوى ت 938هـ الاندلسي اصلا ونشأة أخذ عن ابن زكري أرجوزته في العقائد وقرأ عليه اجزاء من الصحيحين و الموطأ وشفاء عياض و أجازه ابن زكري[1]

_ الشيخ زروق البرسنى الفاسي ت 898هـ : الفقيه المحدث أخذ العلم عن ابي زكري والتنسي والثعالبي له شرح نظم ابن البناء الفاسي في التصوف.

_ حفيد الحفيد احمد بن محمد مرزوق: له شرح العقيدة الصغرى للسنوسي ونظم بيوع الآجال، وشرح سينية ابن باديس، وشرح البردة

_ ابو العباس احمد بن يحي الونشريسي ت 914هـ : زعيم المالكية في المئة التاسعة صاحب المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء افريقية والأندلسي والمغرب

_ ابن الحاج البيدري ت930 هـ :قاضي بجاية فقيه شاعر ، من آثاره شرح سينية ابن باديس وشرح البردة.

*مؤلفاته وآثاره العلمية:

ترك ابن زكري عدة مؤلفات في ميدان أصول الدين والفقه وأصوله، والحديث ، ومن جملة مؤلفاته:

1_ بغية الطالب في شرح عقيدة ابن الحاجب، وهو كتاب في أصول الدين

2_ منظومة: (محصل المقاصد مما به تعتبر العقائد) في أزيد من 1500 بيت

3_ منظومة: (معلم الطلاب بما للأحاديث من الالقاب) في مصطلح الحديث (170 بيتا)

– ***مكانته العلمية:*** قيل في تلمسان أن " العلم مع التنسي، والصلاح مع السنوسي،والربانية مع ابن زكري فقد كان فقيها أصوليا محدثا مفتيا زاهدا متصوفا متكلما آخذ من كل فن بطرف.

[1] ابن مريم،البستان ص 52

ـ وفاتـه: توفى الإمام ان زكري مع نهاية القرن التاسع الهجري 900هـ[1] بتلمسان.

-هذا النظم مظهر من مظاهر اهتمام علماء الجزائر واعتنائهم بعلوم الحديث في القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي، وهو عبارة عن نظم شعري تعليمي، لما كتبه ابن الصلاح المتوفى 643هـ واسمه الكامل : عثمان بن عبد الله بن الرحمن الشهرزوري، في المقدمة في علم الحديث استطاع من خلاله أحمد بن زكري ت 900هـ أن ينظم كتاب ابن الصلاح شعرا، الذي تحدث فيه عن ألقاب الحديث ومصطلحاته، تسهيلا لحفظ وتحصيل هذا العلم واستيعابه.

الهيكل العام للأرجوزة: تضمنت أرجوزة أحمد بن زكري (منظومة معلم الطلاب ما للأحديث من الالقاب) المضامين التالية:

الرقم	الفصول المتناولة	من .. إلى	المحتوى بايجاز[2]
01	مقدمة الأرجوزة	1 – 15	حمد الله و شكره،و الصلاة والسلام على الرسول صلى الله عليه وسلم والدعاء
02	تعريف علم الحديث	16 – 19	علم بقوانين يعرف بها أحوال السند والمتن
03	تعريف السنة	20 – 21	هي أقواله وأفعاله و تقريراته عليه الصلاة والسلام
04	أقسام الحديث	22 – 23	وهي ثلاثة أنواع: صحيح وحسن وضعيف
05	الحديث الصحيح شروط من حيث السند والمتن	24 – 32	هو الذي يتصل اسناده من عدل ضابط عن عدل ضابط إلى منتهاه

[1] المصدر السابق، ص 41

[2] ينظر ابن زكري، معلم الطلاب من للأحاديث من الألقاب، ت محند أو إيدير مشنان، دار كردادة للنشر والتوزيع، بوسعادة الجزائر ن ط2011، ص 15-16-17-18-19-20 ، وينظر كذلك شعبان محمد اسماعيل ، مصادر التشريع الإسلامي دار المريخ للنشر الرياض،ط 1985 ص 199-200-201

06	الكتب الصحيحة في الحديث	33 – 37	صحيح البخاري، صحيح مسلم، سنن الترمذي وابن ماجة والنسائي وابي داود....
07	الحديث الحسن وشروط العلماء فيه	38 – 42	ما عرف مخرجه واشتهر رجاله
08	الحديث الضعيف وصفاته	43 – 47	ما لم يجتمع فيه صفات الصحيح ولا الحسن
09	القاب الحديث	48 – 50	عدّه البعض 30 لقبا
10	الحديث المرفوع	51 – 53	ما اخبر فيه الصحابي عن قول الرسول أو فعله
11	الحديث المسند	54 – 58	ما رفع إلى الرسول صلى الله عليه وسلم خاصة
12	الحديث المتصل	59 – 60	ما اتصل سنده سواء أ كان مرفوعا او متصلا
13	الحديث الموقوف	61 – 62	هو المروي عن الصحابة قولا لهم او فعلا
14	الحديث المقطوع	63 – 64	ما جاء عن التابعين أو من دونهم
15	الحديث المرسل	65 – 71	ما رفعه تابعي الى الرسول صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل
16	المنقطع	72 – 74	هو مالم يتصل اسناده
17	الحديث المعظل	75 – 77	هو ما اسقط من إسناده اثنان
18	الحديث الضعيف	78 – 84	ما قيل في سنده عن فلان عن فلان
19	الحديث المعلق	85 – 89	ما حذف من مبتدأ إسناده واحد فأكثر
20	الحديث الشاذ	90 – 95	ما رواه المقبول مخالفا لراويه من هو أولى منه و أضبط

21	الحديث المنكر	96 – 98	هو الذي لا يعرف متنه من غير روايه، وكان راويه بعيدا عن درجة الضابط
22	الحديث المفرد	99 – 101	الذي ليس في راويه ثقة واتقان
23	الاعتبار و المتابعات والشواهد	102 – 109	المتابعة هي مشاركة راو راويا آخر في رواية حديث. والشاهد هو الحديث الذي يروي عن صحابي مشابها لما رواه عن صحابي أخر في اللفظ أو المعنى
24	زيادة الثقة	110 – 114	هو ما ينفرد به الثقة في راوية الحديث من لفظه او جملة في المتن او السند
25	الحديث المعلل	115 – 118	و الذي اطلع فيه على علة تقدح في صحته، وتقع العلة في إسناد الحديث
26	المضطرب	119 – 120	هو الذي تختلف فيه الرواية فيروي على وجوه متعددة
27	المدرج	121 – 122	ادراج كلام بعض الرواة في الحديث
28	الموضوع	123 – 124	وهو المختلق المصنوع وينسب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم كذبا
29	المقلوب	125 – 126	وهو الذي انقلب فيه على راو بعض متنه او اسم راو في سنده او سند متن أخر
30	الحديث المشهور	127 – 130	وهو ما اشترك في روايته ثلاثة أو أكثر عن شيخ

31	الغريب	131 – 133	هو الذي ينفرد به بعض الرواة إما في متنه و إما في إسناده
32	العزيز	134 – 139	هو ما انفرد بروايته عن رواية اثنان أو ثلاثة
33	غريب اللفظ	140 – 146	هو الحديث الذي يتضمن ألفاظا غريبة غامضة لقلة استعمالها
34	الحديث المسلسل	147 – 150	وهو الذي تتابع رجال الاسناد وتواردوا فيه واحدا بعد واحدا
35	الناسخ والمنسوخ	151 – 154	الناسخ وهو الرافع، والمنسوخ هو المرفوع
36	المصَحّف	155 – 161	ما وقع في إسناده أومتنه تصحيفٌ وهو خطأ الإملاء
37	المختلف	162– 164	هو ما تعارض ظاهره مع القواعد فأوهم معنى باطلا أو تعارض مع نص شرعي آخر ويسمى مشكل الحديث
38	الخاتمة	165 – 170	حمد الله وشكره والصلاة والسلام على النبي وصحبه والتابعين

-المضمون :

هذه المنظومة من الشعر التعليمي الهادف إلى التعريف بعلم الحديث النبوي بنشره وتعليمه للناس عامة وللطلبة خاصة. ضمنها كل ما يحتاج اليه المتلقى في علم الحديث بما فيه من تعريفات ومصطلحات وأحكام عامة وضوابط وتغيرات تخص علم الحديث وألقابه فبعد التمهيد، عرف علم الحديث والسنة ليشير إلى اقسام الحديث فأشار إلى متن القاب الحديث، فعرف بالحديث الصحيح وشروطه من حيث السند والمتن، ثم أشار إلى اصح كتب الحديث ثم ذكر الحديث الحسن وشروط العلماء فيه، ليشرع بعد ذلك في لحديث عن الحديث الضعيف وصفاته، ثم ذكر بقية القاب الحديث ومنه المرفوع والمسند والمتصل والموقوف والمقطوع والمرسل والمنقطع والحديث المعضل والمعنعن ...

ليختم منظومته بالحديث عن نظمه المختصر الذي صاغه على بحر الرجز والسريع في 896هـ وختم منظومته بحمدالله والصلاة والسلام على النبي و المؤمنين والتابعين.

ومن خلال هذا العرض لمضمون المنظومة يتبن لنا أن هذه الأبواب المعالجة هي أصول أساسية في الدرس الحديثي و تبدوا وهذه الأبواب متناسقة مترابطة المنهجية وفق الهندسة البنائية التي تقوم عليها الأراجيز العربية في العموم والغالب. والتي تتشكل من مقدمة عرض خاتمة، أما المقدمة فقد بدأها بالحمدلله والشكر له تعالى مصرحا باسمه والسلام مع التصلية على النبي صلى الله عليه وسلم وآله وصحابته الكرام الذي نقلو اليها علم النبوة المتمثل في سنته وسيرته فقد استهل ابن زكري أرجوزته في علم الحديث بقوله:

يقول بعد الحمد ثم الشكر عبد الإله أحمد بن زكري

ثم صلاة الله والسّلام على الرسول سيد الأنام

وآله وصحبه الكرام الناقلين طرق الأحكام

وفي المقدمة نفسها نجد الناظم يحدد الموضوع الذي تدور حوله المنظومة، وهو تحديد تكاد صيغته تكون واحدة في معظم الأراجيز والمنظومات الجزائرية و المغاربية العربية ، وتتميز هذه المقدمة ببراعة الاستهلال الذي يدل على شخصية صاحبه الفكرية والعلمية والدينية. وعلماء الإسلام لا يبدؤون إلا بالبسملة و حمدله وشكر الله والصلاة والسلام على الرسول وآله. والتأنق في البدء يجذب السامع ويلفت انتباهه، وهو واجب من طرف المتكلم حتى يشوق المخاطب وهذا ما تنص عليه التعليمية الحديثة لشد الذهن لمتابعة جزئيات الموضوع يقول ابن زكري:

أردت نظم لقب الحديث بشرحه للكهل والحديث

فهو يتوجه بهذا النظم للكبار والصغار،ثم يحدد الناظم الطريقة التي سينتهجها في نظمه وفق النمط التعبيري الذي اختاره وسيلة في عرض مضامينه إذ صاغه في نظم مختصر اختار له بحر الرجز والسريع لتوافقها ، يقول ابن زكري:

في رجز مختصر بديع أو ما يوازيه من السريع

ثم يحدد الناظم العنوان الذي اختاره لهذا النمط التعبيري، وفي الغالب الأعم يكون هذا التحديد مصحوبا بلفظة " سَمّيْتُ" التي تكاد تكون قاسما مشتركا بين معظم الناظمين للأراجيز التعليمية فيقول:

سمّيته معلم الطلاب ما للأحاديث من الألقاب

ثم يبين الناظم رجاءه من هذا العمل العلمي والمتمثل في نيل خيري الدنيا و الآخرة، داعيا بالنفع لكل من قرأه أو طالعه أو اعتمده بنية صالحة متوسلا في ذلك بجاه النبي صلي الله عليه وسلم وهذا في قوله:

أرجو به بلوغ أسنى الأمل في نيل خير الحال والمستقبل

والله ينفع به من قصده بنية صالحة واعتـــــمده

وبجاه سيد الورى محمد صلى عليه رّبنا للأبـــد

ثم يحدد المؤلف محتويات منظومته التي بدأها بمقدمة ثم تعرض لتعريف علم الحديث والسنة ويبين اقسام الحديث ثم تعرض لتعريفات ألقاب الحديث ومصطلحاته، وذلك في قوله :

ينحصر المقصود في مقدمة وبعدها اذكر فصلا ترجمه

على الذي أردت في ذا الوضع وقبله ما ينبغي في الصنع

من ذاك تقديم الذي يحصل معرفة العلم الذي ينتحل

اذ ليس يحكم على ما يجهل فحكمه بعد الشعور يحمل

علم الحديث أوّلا نعرّف معرف السنة بعد يـردف

و ***اما العرض:*** فلا يميزه شي يذكر، سوى أنه يتسع لكافة المضامين التي يريد الناظم أن يطرحها بشيء من التركيز أو الاختصار أحيانا أو بشيء من التوسع. فمضمون منظومة ابن زكري يفصل القول في تعريف علم الحديث والسنة بقوله:

وما به يعرف حال السّند والمتن قل علم الحديث تهتد

ثم الحديث بعد ذا ينوع لخبر و أثر ويجمع

ثم يعرف السنة بقوله:

سُكوت أو قول لسيّد البشر أو فعله أو ما عليه قد اقر

هو الذي عنوا بلفظ السنة ذا رسمها خذه بغير منّه

فالسنة هي ما أضيف الى النبي من قول أو فعل او تقرير. ثم يقسم الحديث إلى صحيح وحسن وضعيف بقوله:

حديثهم منه صحيح و حسن ثم ضعيف ثالث بذا اقترن

وبعضهم ذكر قسما رابعا وهو الغريب فاجعلنه تابعا

ثم يبين الناظم شروط الحديث الصحيح، وهو الحديث المسند الذي يتصل إسناده بنقل العدل الضابط عن العدل الضابط إلى منتهاه وذلك بقوله:

رواية العدول باتّصال الضابطين حالة المقال

من غير علّة ولا شذوذ رسم الصحيح الثابت النفوذ

والحكم بالصحة فيما يظهر والقطع لم يعن فلا يعتبر

ثم يذكر الكتب الصحيحة في الحديث بقوله:

أول ما الف في الصحيح وهو أصح الكتب في الرجيح

ما للبخاري وبعد الذي صنف مسلم على ذا فاحتذى

ثم كتاب الترمذي والسنن والنسائي كل ذلك اعددن

والشافعي يقول في ذا المطلب موطأ الإمام أعلى الكتب

ثم يبين شروط الحديث الحسن وهو ما عرف مخرجه واشتهر رجاله وان لا يكون في إسناده من يتهم بالكذب وذلك في قوله :

ما علم المخرج فيه واشتهر رجاله فحسنه قد استقر

حمد بهذا حدّه أو ما سلم من الشذوذ و انفراد قد علم

للترمذي ذا بشرط يعلم يكذب راويه لا يتهم

لابن الصلاح فيه تقسيم حسن ألحق بالصحيح ما هو حسن

في الاحتجاج ولهذا قذ نقل أنه نوع من صحيح فقبل

وهكذا يستمر الناظم في ذكر صفات الحديث الضعيف ثم يخصص فصلا في ألقاب الحديث، فذكر المرفوع ثم المسند والمتصل والموقوف والمقطوع والمرسل والمنقطع والمعنعن والمعلق والشاذ والمنكر .....

-***وأما الخاتمة*** فتتميز غالبا بالدعاء و التصلية وهو دعاء لا يفوت الناظم ان يتوسل إلى الله في تحقيقه بالرسول صلى الله عليه وسلم ، متخذا هذا التوسل مطية للصلاة مجددا على المصطفى وآله وصحابته والتابعين وسائر المؤمنين، بعد أن حدد تاريخ إتمام النظم وعدد أبياته وذلك بقوله:

قد تم نظمها وبنهج مختصر في رجز وبسريع يعتبر
في سادس الأعوام والتسعينا بعد ثمانمائة سنينا
أبياته عددها قد اكتمل بنقط قاف وبعين فاعتدل
فالحمد لله على إكماله من جوده ذاك ومن إفضاله
ثم الصلاة والسلام دائما على الذي شرع شرعا قائما
محـــمد آله وصحبه والتابعين المؤمنين حزبـــه

فهذا ما ورد في خاتمة المنظومة وبطريق مختصر زاوج فيها بين بحر الرجز والسريع لتقاربهما فكان ختمها عام 896هـ و أشار إلى عدد أبيات المنظومة بحساب الجمل، بالقاف الذي يساوي 70 والعين الذي يساوي 100، فعددها سبعين و مئة بيت. وختم بحمد الله على فضله بتوفيقه على إتمام هذا العمل وبالصلاة والسلام الدائمين على نبينا محمد وآله وصحبه والتابعين.

وهذه المنظومة تعد وثيقة علمية برنامجا لعلم الحديث موجها إلى طلبة العلم ، بهدف حفظ متنها و ادراك مضمونها ومحتواها العلمي. لذلك صاغها ابن زكري بلغة سليمة في بنيتها، إلا إنها لغة خالية من الجمال الفني بعيدة عن اللغة المشحونة بالأبعاد والإيحاءات التي يستلهمها القارئ من بين العبارات والأبيات. وهذا أمر طبيعي لان الأراجيز والمنظومات

العلمية تختلف عن الإشعار الذاتية لكونها تعالج موضوعات علمية بحته اعتمد فيها الناظم أسلوب الرجز لترسيخ العلوم وتيسر حفظها واستحضارها ومن هنا كانت وسيلة تعليمية وليست تعبيرا عن تجربة ما أو معاناة معينة .

وهذه المنظومة تسير على نمط واحد في مجال التقفيه، لانها تحافظ على نفس القافية في شطر البيت الواحد.

وهذه المنظومة وغيرها من المنظومات التعليمية نلمس منهجا معرفيا تعليميا تربويا يهدف إلى تنظيم مادة التعلم. فهي لا تخاطب القلب، لأنها ليست لمسات عاطفية ذاتية تدغدغ المشاعر وتخاطب الوجدان ، لكنها من الشعر الموضوعي الذي يخاطب العقل والفكر، فهي تنقل أفكارا ومضامين علمية خاصة بعلم الحديث النبوي. وعليه فان دراسة المنظومات التعليمية تبرز خصائص الخطاب التعليمي في المتون. إن خطاب الناظم يرتبط بطلبة علم متلقين يلتمسون طلب هذا العلم، والناظم يمتلك معرفة يريد تبليغها إلى أهلها. إنّ هذه المنظومة ليست موجهة إلى اطفال مبتدئين، لان مستواها التعليمي عال مناسب لليافعين .

لغة ومضمون المقدمة والخاتمة تنم عن شخصية الناظم الحريص على تبليغ المعارف الحديثة إلى الناس، تأمل الثواب والأجر من الله عز وجل و تفيض محبةً الله ولرسوله ، إنه العالم الرباني الرسالي المعتزّ كتاب الله وسنة رسوله. يوجه الأنظار إلى علم السنة داعيا إلى حفظه وتعلمه، فتعلم الحديث اداة تساعد على فهم كتاب الله فالبداية به تكون أولوية. لان السنة شارحة للقرآن، ولا يمكن فهم الآيات المحتملة إلا عن طريقها.

هذا وقد تضمنت هذه المنظومة كل أبواب الحديث بما فيه من المصطلحات والأحكام العامة والضوابط والتفسيرات. ومن خلال عرضننا للأبواب المختلفة التي عالجها ابن زكري نستطيع أن نبين ان هذه الأبواب أصول أساسية في علم الحديث .

_ الخصائص الأسلوبية للمنظومة: تتسم لغة ابن زكري في أغلبها بالسهولة واليسر، فقد أجاد في تعريفاته الموجزة بعلم الحديث وأقسامه وألقابه. ونقل حقائق علمية

استفادها من علماء الحديث لا سيما مقدمة الإمام ابي عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري المعروف بابن الصّلاح المتوفى عام 643هـ الذي انتهت إليه رئاسة هذا الفن في عصره. فهذا النظم مظهر من مظاهر اهتمام علماء الجزائر واعتنائهم بمقدمة ابن الصلاح. التي نظمها ابن زكري شعرا تسهيلا لتحصيل هذا العلم واستيعابه، فمفرداته فصيحة قريبة التناول وعبارته بسيطة التراكيب ذات جمل قصيرة في الغالب. وهذه بعض أمثلة لهذه اللغة العلمية الواضحة يقول ابن زكري في الفصل الذي خصصه لالقاب الحديث:

فصل وللحديث وألقاب جرت واستعملت في فنة واعتبرت

ولثلاثين انتهت ألقابـه على الذي شهّره أصحابه

فلنذكر منها أولا أولا خذ الذي رتّبته على الولا

فنلاحظ الألفاظ العادية و المألوفة والجمل القصيرة والعبارات البسيطة التراكيب. انها لغة مباشرة علمية.وينظر قوله كذلك في تعريفه للحديث الموضوع بقوله:

ما قيل فيه انه مصنوع هو الذي لقبه الموضوع

فمتى ما وضح فيه لأحد فلا يسوغ ذكره

فما ورد في المنظومة يبين بجلاء لغة ابن زكري العلمية السلسة التي تعبر عن المعلومة بأقصر طريق بمفردات عادية مألوفة وعبارات سهلة التراكيب.

كما نلاحظ في المنظومة كثرة مصطلحات علم الحديث التي تحتاج إلى تأن في فهمها وشروح لاستيعابها وخصوصا ألقاب الحديث كالمرفوع و المسند ، والمتصل والموقوف والمقطوع والمرسل والمعلق والشاذ والمعلل والمضطرب، والموضوع والمقلوب، الغريب والعزيز والمسلسل والناسخ والمنسوخ والمصّحف والمختلف.....

فمعجم علم الحديث ثرى بالمصطلحات العلمية عند علماء الحديث، فقد أورد عشرات المصطلحات الخاصة بالحديث سندا أو متنا، استطاع ابن زكري بقدرته الفنية على صياغتها من النثر إلى الشعر، كقوله في الحديث المرفوع:

تعريفنا المرفوع ما ورد عن نبيّنا و ان بقطع قد وهن
أو كان مرسلا خطيبهم شرط رفعا لما رؤاه صاحب فقط
ومن يقابله بمرسل عنى متصلا منه عليه قد بني

فالمرفوع هو ما أضيف إلى الرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة، ويدخل في المرفوع المتصل والمنقطع والمرسل ونحوها.

واما الحديث المسند فيعرفه ابن زكري بقوله:

ومسند الحديث ما قد اتصل من مبدأ الغاية بذا حاصل
وأكثر استعماله فيما يرد عن النبي للخطيب ذا وجد
والنّمري قال هو ما رفع إلى الرسول باتصال أو قطع

فالمسند هو الذي اتصل اسناده من راويه إلى منتهاه، و إما النمري ،وهو الحافظ أبو عمر بن عبد البر ت 463هـ فيرى: أن المسند ما رفع إلى النبي صلى الله عليه وسلم خاصة وقد يكون متصلا و قد يكون منقطعا.

فلغته تمتاز بالسهولة ينقل كلام العلماء في ثقة واقتدار، مستخدما الأساليب الخبرية المناسبة للوصف والتقرير للحقائق العلمية الحديثية. إلا انه ومع السهولة في التعابير العلمية، نلاحظ الصعوبة على الملتقي المبتدئ في فهم كل ما قيل في المنظومة لا سيما وأننا أمام مصطلحات متخصصة في علم الحديث، إن المتلقي المبتدئ سيستصعب هذه الطريقة المنتهجة حين تواجهه تعريفات موجزة مقتضبه لبعض المصطلحات المتداخلة. يحتاج فيها إلى شروح إضافية لفهم معناها . فلا بد من العودة إلى المتخصصين في هذا العلم لشرح مسائله العويصة كمسألة الناسخ والمنسوخ التي يقول فيها الناظم:

النسخ رفع الشارع المشروعا بآخر يكون ذا المتبوعا
فالخبر الناسخ هو الرافع مرفوعة المنسوخ هذا الواقع
وعلم ناسخ الحديث يعظم والشافعي الحبر منه يفهم

وعلمه بالنص والاجماع كذاك تاريخ بلا نزاع

فالنسخ فن مهم مستصعب أعيى الفقهاء و أعجزهم ان يعرفوا ناسخ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم من منسوخه، ويشير الناظم إلى أن الشافعي كان له قدرة سابقة في هذا الفن. ولم تخل المنظومة من الأساليب الإنشائية، فمنه استخدام صيغة فعل الامر ، والفعل المضارع المقترن بلام الامر، فالأول نجده في قوله:

وبعضهم ذكر قسما رابعا وهو الغريب فاجعلنه تابعا

وفي قوله كذلك في بيان كتب الصحيح:

ما للبخاري وبعده الذي صنّف مسلم على ذا فاحتذي

ثم كتاب الترمذي والسنن والنسائي كل ذلك اعددن

وفي المسند يقول:

بالرفع الوصل معافيه قضى حاكمهم فاعلم وحقّق ما افتضى

وفي حديثه عن الحديث المرسل كذلك استخدم الأمر في قوله:

والخبر المرسل قول التابع قال رسول الله فاعرف ذا وع

وأما صيغة الفعل المضارع المقترن بلام الأمر في قوله في باب الشاذ:

فإنّه يوقف لا يحتج به ونحوه لحاكم فلتنتبه

وفي فصل القاب الحديث يقول:

فلتذكرنها أولا فأولا خذ الذي رتبته على الولا

وهذه الأساليب الإنشائية تبعث الحيوية والحركة في مراحل النص بين الناظم والمتلقي،فأفعال الأمر تأمر المتلقي بالانجاز والمتابعة، وتجعله أكثر انتباها للموضوع وتحث على التفكير والتفحص، وتتواصل صيغ الإنشاء بين الناظم والمتلقي كذلك من خلاص صيغة الامر والنهي في قوله:

إذ في الصحيح منه للبخاري والقطع علّة فلاتمار

والأمر في قوله: (اعلم سببه) (كن فطينا) (فاطلبن لتعلما)

(فغير حبر ماهر لا تسأل) (على الذي برع فيه عوّل)

(فأعدد) (فلتعلم المباني) (فرجح واعلمن) (فاعتدل)

فهذه الأساليب الإنشائية تمثل من جهة أخرى حوارا هادئا يعتمد على المنطق بين الناظم والمتلقي للوصول إلى المعرفة اليقينية. فالناظم ينوع الأسلوب بحسب المقام وحالة المتلقي بين الخبر الذي به يقرر الحقائق والإنشاء المتمثل في الأوامر التي ينبه بها المتعلم.... إنها أوامر متعددة وكأنه أمام طالب يشاركه الدروس المتوالية،فتارة يأمره وتارة يسرد ويصف وتارة ينهاه وتارة يمثل له، إن طريقة الحواروتابعة المتعلم عند مراحل الإلقاء دليل على تطور الطرائق التربوية في القرن الثامن والتاسع الهجريين. وهذه الطرائق التربوية المبنية على الحوار بين المرسل والمتلقي أثبتت جدواها في تحقيق مهارات التعليم لدى المتعلمين.

– اسلوب النص العلمي مباشر، لم يلجأ فيه الناظم إلى الخيال و العواطف لانه لا مجال لهما في مثل هذه النصوص العلمية إلا ما جاء توضيحا أو تمثيلا كقول الناظم على سبيل المثال في هذه الأرجوزة اثناء حديثه عن الحديث المتقطع:

منقطع الاسناد هو ما سقط منه الذي تبع وحده فقط

كمثل مالك عن ابن عمرا هذا الذي شاع لهم واشتهرا

وقوله في حديثه عن الشاذ :

لردّه بمفرد الثقات كإنما الأعمال بالنيّات

وفي حديثه عن الحديث المعنعن يقول :

كقولنا فلان عن فلان أو أنّه قال فخذ بيان

وفي حديثه عن الحديث المنكر يقول:

مثل الذي شذّ وحكم الفرد حكمها جهل العلوم يردي

وقوله:

مثل المتابعات اصل يرجع إليه في الحديث فهو ينفع

وفي فصل غريب اللفظ يقول:

كلفظه السقب[1]والدّخّ[2] وما أشبه ذين فاطلبن لتعلما

وقوله:

كالاصمعّي سُئل عن ذا الّصقب[3] فقال من شرح الحديث مهربي

فغير حبر ماهر لا تسأل على الذي برع فيه عـــــــــــوّل

وفي قوله:

نحو كلوا البلح جا بالتمر يغتم إبليس بطول العمر

فمثل هذا التمثيل يكثر في المنظومات التعليمية لدرجة ملفتة لانتباه الدارس وهذه الجمل الواردة في الأبيات الآنفة الذكر، هامة جدا لإفهام المتلقي فبالمثال يتضح المقال. كما نلاحظ غلبة الجمل الاسمية على الجمل الفعلية في المنظومة وهذا قد يعود إلى طبيعة المنظومة العلمية ، اذ من المعروف أن الجمل الاسمية وسيلة من وسائل التوكيد للمعاني الثابتة والحقائق التي لا تتغير.

إن منظومة (معلم الطلاب ما للاحاديث من الألقاب) نص علمي تعليمي ولهذا يستخدم الناظم أساليب التقنين والتقسيم في ميدان العلم الحديثي ثم يوضح ذلك بالتفسير والتعليل. وتجمع بين الأشياء والنظائر كما يشرك القارئ او المتلقي ويحمله على المشاركة الفعالة.

و أما ألوان البديع فقد طغى على النص التصريع بين أبيات المنظومة كلها وهو اتحاد كل بيت بين الصدر والعجز بحرف واحد وهو ما يسهم بشكل لافت في موسيقى المنظومة وإيقاعها العام. بالإضافة إلى الجناس التام الذي نجده في البيت الرابع في قوله:

أردت نظم لقب الحديث بشرحه للكهل والحديث

ويسهم الجناس الناقص في الموسيقى الداخلية للنص كقول الشاعر :

[1] السقب هو اللزيق ومنه قوله صلى الله عليه وسلم :" الجار أحقّ بسقبه"

[2] الدّخّ وهو الدخان

[3] الصقب وهي السقب نفسها لتشابه حرفي الصفير في المخرج

فتسعة و أربعين نوعا أحصى له البستيّ فيما أوعى

وبعض أنواع له مخصوص بلقب هو له منصوص

وتعد الموسيقى الشعرية ركنا أساسيا يستخدمه الشاعر في بناء قصيدته، والناظم في بناء منظومته، بالنظر لما توفره من أنغام صادرة عن الوزن و القافية فهما شريكان في الاختصاص بالشعر وموسيقاه الخارجية، وعليه فإن صياغة العلوم المختلفة تقوم باستغلال الإيقاع الموسيقي الذي سهل العلوم للمتعلمين وجعلهم يقبلون عليها قراءة وحفظا. إذ للإيقاع تأثير إيجابي على المتعلمين، فهو منبه للحواس ومثير للخيال.

وههنا اتخذ الناظم الرجز و السريع، المتشابهين في التفعيلات والترنيمات الصوتية إطارا لعرض معلوماته ومعارفه، والجدير بالإشارة أن الرجز هو أقدم الأوزان الشعرية العربية وهو أول الإيقاعات الموسيقية التي عرفها العرب، وعنه تطورت الأوزان الأخرى. وتفعيلات بحر الرجز كثيرة الزحافات والعلل والجوازات مما يسر النظم عليها. ويمكننا إرجاع موسيقى هذا البحر إلى مصدرين أساسين، الأول : تفعيلاته المتماثلة والمتلاحقة التي تحمل إلى أذن المتلقي نغما موسيقيا متكررا متتابعا، يهزّ الأذن هزا مثيرا ويحرك النفس حركة نشيطة، والثاني ذلك الروي المزدوج في الأبيات المصرعة فذلك الروي القريب من بعضه البعض يوفر للمتلقي طاقة موسيقية[1]

إن السعة العروضية للرجز تسمح باستيعاب كل ما يقال فيه. كما انه بحر رشيق، سريع النغمات.

والعلوم جافة تحتاج إلى قالب شعري فيه خفة ومرونة حتى يخف وطؤها على النفس ويتقبلها العقل في شي من الراحة وعدم الملل. وبحر الرجز بما فيه من جرس حلو ونغمات متلاحقة

[1] رجاء السيد الجوهري، فن الرجز .منشأة المعارف، الإسكندرية.بدون سنة طبع ص 439

يشبع الحياة والحركة في الأراجيز التعليمة التي تحتوي على مادة علمية. ان الرجز من الأوزان العذبة المريحة في النظم، المثيرة للانفعالات تشيع في انحائه الحركة و الحياة.[1]

وختاما نستنتج انه مهما قيل في القيمة الفنية للشعر التعليمي، فمن الموضوعية عدم تجريده من كل فضيلة فقد أدى بنجاح وفاعلية أدوارا تربوية و تعليمية لا يمكن الإستهانة بها أو انكارها، وحسبه قيمة ومكانة انه قد حفظ تراث الأمة الديني واللغوي والعلمي وبخاصة في العصور المتأخرة التي اتسمت بالتخلف والضعف في كل مناحي في الحياة الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية. اذ صار خزانة للعلوم والمعارف. ووسيلة تعليمية اتخذها العلماء المسلمون لتبليغ المعارف إلى المتلقين. حين لاحظوا إن الإيقاع والقافية في الكلام المنظوم يستهوي فطرة الانسان و انه الأسرع رسوخا في الذاكرة اذا ما قورن بالنثر.

وخفة تفعيلات هذا البحر هي التي تجعل المتلقين يترنمون ويتغنون بإيقاعاته الموسيقية حتى يحفظون المتن أو المنظومة، فإذا ما لاحظنا منظومة(معلم الطلاب بما للأحاديث من الألقاب) وجدناها مصرعة في كل الأبيات من الرجز أو السريع :

ينظر في الرواة للإمام الناقلين عنه باهتمام

ينظرفر/ رواه لل/ امامي انناقلي/ نعنهبه/ تمامي

0///0/ 0//0// 0/0// /0//0/ //0//0/ //0//0

مفتعلن | متفعلن متفعل مستفعلن | متفعلن | متفعل

بحر الرجز

كما ذكر ابن زكري انه صاغ بعض أبياته على بحر السريع ذي التفعيلات المتشابهة مع بحر الرجز فوزنه هو مستفعلن مستفعلن مفعولات تتكرر مرتين في البيت ، ولقد سميّ سريعا لسرعة النطق به، وتدخل تفعيلاته زحافات وعلل كثيرة.

[1] المرجع السابق،ص 388

وللقافية المتنوعة في الأراجيز قيمتها الصوتية في شعر المتون العلمية و يغلب عليها العشوائية والتكلف في أكثر الأحيان. إلا أن الشيء المميز في القافية داخل الأرجوزة هو وقوعها في آخر البيت مما يتيح للقارئ فسحة من صمت يتجاوب فيه الذاكرة فتكون أعلق بها.

خاتمة

في ختام هذا البحث الذي تناولت فيه موضوع الاتجاه التعليمي في الشعر الجزائري القديم، أستطيع أن أستخلص بعض النتائج التي توصلت إليها وهي:

1-هذه المنظومات والأراجيز المتناولة تنبئ عن شغف الجزائريين بالتأليف والتعليم وحرصهم على التبليغ بالمدارس والزوايا والمساجد .

2-يتبين الدافع الذي حدا بهم إلى التأليف و هو إفادة طلبة العلم، مساهمة منهم في تعليم النشء وتوجيه المجتمع.

3-لا يخلو الشعر بشكل عام من مسحة تعليمية، فغرض المدح نتعلم منه القيم الأخلاقية والصفات الخلقية، وغرض الهجاء نتعلم منه الصفات السلبية لنتجنبها .وغرض الغزل العفيف نتعلم منه الصدق والوفاء في الحب، وغرض الوصف نتعلم منه قيم الجمال الحسي والمعنوي والوجداني، وهكذا دواليك.

4-نستشف أن هناك نوعين من الشعر التعليمي،شعر تعليمي عام مبثوث في جميع الأغراض الشعرية وشعر تعليمي خاص يرد في المتون والأراجيز المتخصصة في علم من العلوم كالنحو واللغة والعقيدة والفقه والحساب والفلك ....

5-كان للشعر التعليمي الجزائري في هذه الفترة المدروسة وقبلها دور واضح في دفع الفكر التربوي في طريق التطور ضمن مكونات العملية التعليمية بشكل عام.

6-شارك الشعر التعليمي في مجال طرائق التدريس،وذلك بتقنين العملية الدراسية داخل حجرات الدرس وذلك باستعداد طلبة العلم للدرس بحفظ المتون والأراجيز الشعرية التي تمثل مضامين دراسية.

7-وبما أن الشعر التعليمي كلام منظوم وموزون فإنه محبب إلى نفوس طلبة العلم.باعتباره وسيلة من وسائل التعلم تنقل المعلومات والمضامين العلمية.وقد قيل قديما: (من حفظ المتون حاز الفنون)

8-إن استغلال الشعر كوسيلة تعليمية يعد في حد ذاته تطورا إيجابيا ومكسبا للعملية التربوية.

9-رغم أن الاتجاه التعليمي في الشعر الجزائري القديم، لم يبدع شيئا جديدا إلا أنه حافظ على العلوم ونقلها إلى الأجيال الصاعدة يومئذ في أمانة تامة. كما حفظ كثيرا من التراث الديني واللغوي.

10–سأهم المؤلفون الجزائريون بمصنفات هامة في علم المنطق والفلك والطب والنوازل والفقه أسهمت في اخصاب الفكر العربي الإسلامي كمؤلفات ابن مرزوق الخطيب، والحفيد، مؤلفات المغيلي والأخضري وابن قنفذ القسنطيني.

11– مزج العلماء الجزائريون بين ثقافة العصر وثقافة الأوائل من علماء المسلمين. فكانوا يقلدون الأوائل، و يسيرون على خطاهم دون إضافة تذكر.

12–شاع في عهد الزيانيين والعثمانيين علوم الدين والتصوف. وأما العلوم العقلية فكانت ثانوية، وإن درست فتكون دراستها فردية لكونها تساعد على فهم العلوم النقلية، فدراسة الحساب كانت من أجل فهم عمليات الميراث وحساب أنسبة الفرائص، ودراسة الطب من أجل فهم الأحاديث النبوية الدالة على علم الأبدان، ودراسة الفلك لأجل تحديد أوقات الصلاة. فكان مرجع الجزائريين في الحساب هو ابن البنا وفي الفلك الحباك والمرجع في الطب الأحاديث النبوية الدالة على الصحة والتداوي، واختفت في أواخر القرن التاسع الهجري وبداية القرن العاشر الهجري أسماء ابن سينا والرازي وابن الهيثم والخوارزمي وغيرهم من العلماء المبدعين.

13– أسهم الشعر التعليمي العام في تطور نشاط الحركة العلمية في الجزائر الزيانية ثم العثمانية، فنتج عن ذاك عدة تآليف في العلوم النقلية والعقلية أغرت العلماء والمعلمين باعتماد المتون الشعرية صيغة للتأليف بدلا من النثر أو منافسا له بهدف التسهيل أو الاختصار والتركيز أو الإرشاد التربوي والتوجيه الأخلاقي.

14– غلب على الشعر التعليمي الجزائري القديم النمط التربوي التوجيهي الذي تواتر بكثرة متمثلا في شعر المدائح النبوية الذي تضمن مواعظ وتوجيهات سلوكية، وفي شعر الزهد والتصوف دعوة إلى الحذر من الدار الفانية والاستعداد للدار الآخرة.

15– إن شيوع المتون والاقتصار عليها في التعليم والعناية بوضع الشروح عليها والحواشي، يعد مظهر من مظاهر التراجع إذ بمرور الأيام بدأت مظاهر العلم النافع تخفت وحل مكانها الشروح تلو الشروح، وهي سمة اجترارية فأغلب المؤلفات هي شرح أو تبسيط أو تجميع لما أنجزه السابقون فكأن النشاط الثقافي توجه نحو الحفاظ على التراث الفكري للأمة وهذا التوصيف لا يخص الجزائر وحدها بل الأمة العربية خلال القرن العاشر وبعده. والجدير بالذكر أن ظاهرة التأليف وان غاب عنها الابتكار فإنها جمعت شتات الانجازات الفكرية

لحضارة الإسلام وحفظتها من الضياع، إذ اعتبرت دفاعا عن النفس في مواجهة الغزو الأجنبي من المغول في المشرق ومن الصليبين في المغرب.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم برواية ورش عن نافع

_المصادر:

1- ابن الخلوف القسنطيني، ديوان جني الجنتين، ت العربي دحو منشورات إتحاد الكتاب الجزائريين ط 2004.

2- ابن رشيق ، العمدة ، تـ محي الدين عيد الحميد ، دار الجيل بيروت 1989.

3- ابن زكري، معلم الطلاب ما للأحاديث من الألقاب،ت محند أوايدير مشنان، دار كردادة للنشر والتوزيع ط 2011.

4- ابن مريم، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان،ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر.

5- التنسي، نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1985.

6- ثبت احمد بن علي البلوي الوادي آشي، ت عبد الله العمراني، دار الغرب الإسلامي ط1 1983.

7- عبد الرحمن تبرماسين، ديوان عبد الرحمن الاخضري، منشورات اهل القلم ط 1 2008

8-الغبريني،عنوان الدراية في من عرف من العلماءفي المائةالسابعة ببجاية،دار البصائر 2007

9- محمد بن رمضان شاوش،والغوثي بن حمدان،ارشاد الحائر الى اثار ادباء الجزائرمط داود بريكسي،تلمسان ط2 2005.

10- ابن زكري، مخطوطة رجز محصل المقاصد مما به تعتبر العقائد.

11- احمد بن عبد الله ، الجزائري ، مخطوط منظومة الجزائرية ،في العقائد الايمانية....مكتبة اموهوب او لحبيب ،بجاية ، الجزائر .

12- عبد الرحمن الاخضري، مخطوط منظومة القدسية المصدر (عبد المجيد حبة).

13_ عبد القادر محمد بن سلمان بن ابي سماحه ، مخطوط منظومة الياقوت، المصدر (عبد المجيد حبه) .

14- عبد الكريم ، مخطوط منظومة منح الوهاب في دار الفكرالي الصواب ،ادرار ، الجزائر المصدر (زاوية المغيلي)

15- المقري، نفخ الطيب، دار الفكر بيروت، ت د إحسان عباس 1968.
16- المهدي لعرج، ديوان إبراهيم التازي، كتاب ناشرون لبنان ط1 2013.
17- المؤلف مجهول، زهر البستان في دولة بني زيان، الأصالة للنشر والتوزيع 2012
18- يحيى بن خلدون، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، دار الأمل للنشر والتوزيع2007.

المراجع

19- إبراهيم حركات ، مدخل إلى تاريخ العلوم ، دار الرشاد الحديثة الدار البيضاء ط 1 2000.
20- ابن الخطيب،الإحاطه في أخبار غرناطة،ج3 دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط1 2003
21- ابن مرزوق، المناقب المرزوقية،ت سلوى الزاهري منشورات وزارة الاوقاف، المغرب2008
22- ابن مرزوق التلمساني، المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر 1981.
23- ابن منظور ، لسان العرب، دار الحديث، القاهرة ، 2003.
24- إيميل بديع يعقوب،المعجم المفصل في علم العروض و القافية و فنون الشعر،دار الكتب العلمية بيروت 1991.
25- الباروني ، الأزهار الرياضية ، دار البعث قسنطينة، .2002
26- بوداود عبيد، ظاهرة التصوف في المغرب الأوسط، دار الغرب للنشر والتوزيع الجزائر 2003.
27- بوزياني الدراجي، أدباء وشعراء من تلمسان، دار الأمل للدراسات 2004.
28- بوزياني الدراجي، عبد الرحمن الأخضري ،دار الأمل للدراسات والنشر والتوزيع الجزائر 2006.
29- التنبكتي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، مكتبة الثقافة الدينية القاهرة ط1 2004.
30- جبور عبد النور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين ، 1979.
31- جمال الدين بوقلي حسن،الامام ابن يوسف السنوسي وعلم التوحيد، المؤسسة الوطنية

للكتاب الجزائر 1985.
32- حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون د.ط بيروت دار الفكر 1982.
33- الحسن الوزان الفاسي، وصف إفريقيا ،ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر دار الغرب الإسلامي بيروت ط 2 1983.
34- الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، موفم للنشر 1991.
35- حنيفي هلايلي، تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار الهدى عين مليلة الجزائر ط1 2008.
36- خير الدين الزركلي، الاعلام، ج 5 دار العلم للملايين بيروت ط 17 2007.
37- رجاء السيد الجوهري، فن الرجز في العصر العباسي، منشاة المعارف بالإسكندرية ب ط.
38- سعد الله، أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر، عالم المعرفة الجزائر ط 2009
39-سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1 دار البصائر الجزائر 2007 .
40- سلوى ناطم ،منظومة القلادة لابن جبيرول، دار المستقبل 1989.
41- سليمان داود يوسف، مآثر تلمسان، القافلة للنشر والتوزيع 2011.
42- شوقي ضيف، شعر الدول والامارات، دار المعارف 1989.
43- صابرة خطيف، فقهاء تلمسان والسلطة الزيانية، جسور للنشر والوزيع ط1 2011.
44- الطاهر توات، شخصيات تلمسانية أندلسية ومظاهر من الثقافة الإسلامية، دار الهدى عين مليلة الجزائر ط 2011.
45- عباس ارحيلة، مقدمة الكتاب في التراث الإسلامي وهاجس الإبداع، المطبعة والوراقة الوطنية مراكش ط1 2003.
46- عبد الجليل قريان ،التعليم بتلمسان في العهد الزياني جسور، للنشر والتوزيع 2011.
47- عبد الجواد السقاط، صفحات موجزة في الأدب المغربي، مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء ط 1 2010
48- عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام دار الأمة، للطباعة والنشر والتوزيع ط2014
49- عبد الرحمن بن خلدون، التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا، لجنة التأليف والترجمة 1951.
50- عبد الرحمن بن خلدون، العبر، دار الكتب العلمية بيروت ط1 1991 ج7.

51- عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، مؤسسة الرسالة ناشرون ط 1 2007

52- عبد الرزاق قسوم، عبدالرحمن الثعالبي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر 1978.

53- عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة 2008.

54- عبد العلي الودغيري، اللغة العربية والثقافة الإسلامية بالغرب الإفريقي ،مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء 2011.

55- عبد الكريم القبول، الاختصار والمختصرات في المذهب المالكي، دار الفجر للطباعة الجزائر 2006

56- عبد الله العشي زحام الخطابات دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع تيزي وزو 2005.

57- عبد الله ركيبي، الشعر الديني الجزائري الحديث، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ط1 1981.

58- عبد الله شريط ومحمد الميلي، الجزائر في مرآة التاريخ قسنطينة 1965.

59- عبد الله كنون، النبوغ المغربي، دار الثقافة بدون س.ط.

60- عبد الهادي التازي، مكة في مائة رحلة مغربية، ج1 مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي المدينة المنورة 2005.

61- العبدري، الرحلة، ت محمد الفاسي.الرباط 1968

62- عثمان سعدي، عروبة الجزائر عبر التاريخ،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر 1982.

63- عمر فروخ ، المنهاج في الأدرب العربي و تاريخه ، المكتبة العصرية صيدا بيروت ، بدون سنة طبع .

64- عمر فروخ،تاريخ الأدب العربي، دار العلم للملايين ط 1 1983.

65- الفراهيدي، كتاب العين، دار الرشيد العراقية .

66- الفريدبل، الفرق الاسلامية في الشمال الافريقي، ت عبدالرحمن بدوي، دار الغرب الاسلامي بيروت1987.

67- فوزي مصمودي، العلامة الموسوعي عبد الرحمان الأخضري، موفم للنشر، الجزائر 2008.

68- القلصادي ،الرحلة ،الشركة التونسية للتوزيع ب ت .

69- لسان الدين بن الخطيب، رقم الحلل في نظم الدول ،أ هارون بن عبد الحسن ، دار الامل

للدراسات والنشر والتوزيع الجزائر 2009.
70- ماهر شعباني عبد الباري، التذوق الأدبي، دار الفكر ، عمان ط 3 2011.
71- مجدي وهبة، كامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة و الأدب، مكتبة لبنان ط 2 1984
72- مجموع القصائد و الأدعية، المطبعة الثعالبية الجزائر ب ط
73- مجموعة من الأساتذة ،موسوعة الشعر الجزائري، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع 2002.
74- محمد الأمين بلغيث، دراسات في تاريخ الغرب الإسلامي، دار التنوير للنشر والتوزيع 2006
75- محمد الصلابي، دولة السلاجقة،دار ابن كثير ط 1 2012.
76- محمد بن عسكر، دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر، ت حجي، منشورات مركز التراث الثقافي المغربي الدار البيضاء 2003ط 3 .
77- محمد بن محمد المراكشي، شرح ابن عاشر ، المكتبة الشعبية بيروت، دار الفكر للطباعة و النشر.بدون سنة طبع .
78- محمد خليل جيجك، دروس الأدعية القرآنية ورسالاتها، دار الكتب العلمية بيروت ط1 2013.
79- محمد سعيد بلال جنيدي ، الشامل دار العودة بيروت ط 2 1985
80- المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، دار الكتب العلمية بيروت ط1 1998.
81- مصطفى الشكعة، معالم الحضارة الاسلامية، دار العلم للملايين بيروت .1982
82- المهدي لعرج، الأنماط الإيقاعية للارجوزه في الشعر العربي، دار الثقافة للنشر والتوزيع ط1 2008.
83- المهدي لعرج، بنية الأرجوزه وجمالية تلقيها عند العرب، إفريقيا الشرق المغرب ط 2009
84- النووي، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، دار الكتاب الحديث، الجزائر 2010.
85- وهبه الزحيلي، تعريف عام بالعلوم الشرعية، دار الكوثر للنشر والتوزيع ببرج الكيفان الجزائر بدون سنة ط.
86- يحيى بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، دار البصائر للنشر والتوزيع ط

2009
87- يحيى بوعزيز، مآثر تلمسان، القافلة للنشر والتوزيع الجزائر، والتوزيع 2011.

الرسائل الجامعية:

-احمد موساوي، المولديات في الأدب الجزائري القديم عهد تلمسان الزيانية، رسالة دكتوراه 2003 جامعة تلمسان .

-عصمت عبد الله غوشة، الشعر التعليمي في العصور الأربعة الأولى الهجرية، رسالة دكتوراه 1970 جامعة القاهرة.

- العيد جلولي، النص الشعري الموجه للأطفال في الجزائر، رسالة دكتوراه .2005 جامعة الجزائر

-محمد مرتاض، شعر الفقهاء في المغرب العربي في الخمسية الهجرية الثانية، رسالة دكتوراه جامعة تلمسان 1994.

- عبد الرحمان عبان ، الشعر التعليمي في الأدب الجزائري القديم على عهد الموحدين، رسالة ماجيستير 2008جامعة ورقلة.

المجلات والدوريات :

- مجلة الوعي، العدد المزدوج 3-4 2011 الجزائر
- مجلة الأصالة، العدد 26 1975 الجزائر
- مجلة الأثر، ماي 2010 الجزائر
- مجلة الأصالة، العدد 11 1972 الجزائر
- مجلة الفضاء المغاربي، 8 ،9 ماي 2014 الجزائر
- مجلة ديالى ، العدد 58،2013 العراق

المواقع الالكترونية:

-w.w.w..archive.org/details.muhassi-elmaqassid:
-shtmml.w.w.w.fustat.com/./host/bud awayashoif
-w.w.w.iv.edu.sa/magazine/52/20.doc
-w.w.w.odabashom.net.show.php ?sid=343114-
w.w.w.damaseuniversity.ed.v.sy/mag/humain/umagls/storyies/8500 0,00pdf

-http://w.w.w.4shared.com/file/ix6hleue/online.htnl

المصادر بالفرنسية :

−R.bourouiba,l'art religieux musulman en Algérie. alger.1974

-M.j.viguira,le Maghreb mérinide un processus de transferement. in la significatoin du bas moyen age.

فهرس الموضوعات

المقدمة: 05

مدخل 14

الأوضاع السياسية و الثقافية ببلاد المغارب بعد سقوط الموحدين 15

الحركة العلمية و الثقافية بالجزائر الزيانية..... 17

الثقافة الإسلامية بالعهد الزياني 18

التعليم والمؤسسات التعليمية بالجزائر الزيانية 20

عوامل نمو الحركة الفكرية والثقافية بالجزائر 27

الفصل الأول

مفهوم الاتجاه التعليمي في الشعر الجزائري القديم

مفهوم الاتجاه التعليمي 32

ماهية الشعر التعليمي 34

غايات الشعر التعليمي..... 38

ظاهرة الفقهاء والأدباء..... 40

الشعر التعليمي في الأدب الجزائري القديم..... 41

الشعر التعليمي العام..... 46

الشعر التعليمي الخاص..... 53

مميزات الشعر التعليمي الجزائري القديم..... 54

الفصل الثاني

الشعر التعليمي الجزائري القديم أنماطه و أشكاله الزياني والعثماني

-أ) نمط العلوم الشرعية..... 56

- النمط الفقهي..... 56

- نمط الأخلاق و العقائد..... 58

- النمط الصوفي..... 65

- نمط المدائح والسير و التاريخ..... 73

- البعد التعليمي في مدائح ابي حمو 75

- نمط القراءات والرسم..... 82

- نمط علم الحديث..... 83

-ب) نمط العلوم العقلية: ..

- نمط العلوم اللغوية..... 86

- نمط الرياضيات و الحساب..... 88

- النمط الفلكي..... 90

- النمط المنطقي..... 92

- النمط الطبي..... 95

- أشكال الشعر التعليمي 96

الفصل الثالث

الاتجاه التعليمي في العصر العثماني (ق10هـ)

الظروف السياسية والثقافية في العهد العثماني..... 102

الحضور الصوفي في الجزائر إبان العهد العثماني..... 105

العلامة الأخضري ومنظوماته التعليمية..... 107

محمد بن علي الخروبي..... 118

عبد القادر بن محمد السماحي ومنظومته الياقوتة..... 120

المؤسسات الثقافية في العصر العثماني..... 123

الفصل الرابع

دراسة الأسلوب في الشعر التعليمي الجزائري القديم

دراسة الأسلوب في الشعر التعليمي العام..... 127
مولديات أبي حمو موسى الثاني نموذجا..... 140
التصوير في المدائح النبوية..... 144
مميزات الشعر التعليمي العام..... 158
أسلوب الشعر التعليمي الخاص..... 159
الموسيقى في الشعر التعليمي الخاص..... 163
مميزات الشعر التعليمي الخاص..... 166

الفصل الخامس

الدراسة التطبيقية

توطئة..... 168
الهيكل العام للمنظومة..... 171
منهجه في الأرجوزة..... 172
لغة المنظومة..... 179
موسيقى النص 183
تحليل منظومة (معلم الطلاب .) لابن زكري 187
التعريف بالناظم..... 187
الهيكل العام للأرجوزة..... 189
المضمون 193
الخصائص الأسلوبية 198

خاتمة..... 207
قائمة المصادر و المراجع..... 207
فهرس الموضوعات..... 219
الملاحق..... 224
الملخصات..... 237

الملاحق

الملحق الأول:

ملحق تراجم بعض الشعراء والعلماء الجزائريين:

1)- الجزائري: (أحمد بن عبد الله 800هـ -884هـ)

هو أبو العباس أحمد بن عبد الله الزواوي أصلا، الجزائري دارا من تلاميذ العالم الشيخ عبد الرحمان الثعالبي، اشتهر بمنظومته في التوحيد المعروفة بالمنظومة الجزائرية التي نظمها في مقتبل عمره، كما اشتهر بإقامته لزاوية باسمه في مدينة الجزائري.

2)- المغيلي : (محمد بن عبد الكريم ت 909هـ)

هو أبو عبد الله محمد عبد الكريم المغيلي، نشأ بتلمسان وأخذ عن علمائها، وسكن واحة توات وقاتل بها يهودها وهدم بيَعهم بعد إن استفتى علماء تلمسان وفاس وتونس ثم سافر إلى السودان وبعض بلدان إفريقيا آمرا بالمعروف وناهيا عن المنكر حاضا على العمل بأحكام الشريعة. كان المغيلي فقيها مفسرا ومتكلما، من أبرز مؤلفاته منظومة في المنطق ومفتاح النظر في علم الحديث وشرح بيوع الأجل وله عدة قصائد.

المصدر: - ابن عسكر، دوحة الناشر ص 117

- الجيلالي، تاريخ الجزائر العام ج2 ص 324

3)- التلمساني: (محمد الحوضي ت 910هـ)

هو أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمان الحوضي، ولد ونشا بتلمسان وتلقى العلم عن شيوخها، تضلع في الأصول وألف في علم التوحيد واشتهر بقرض الشعر في شتى الأغراض وله مطولة في علم التوحيد عنوانها واسطة السلوك .

المصدر: - ابن مريم، البستان ص 252

- المقري،نفح الطيب ج4 ص 241

4)- العجيسي التلمساني (ابن مرزوق الحفيد)

هو أبو عبد الله محمد ابن مرزوق الشهير بالحفيد، (766هـ-842هـ) فقيه حجة في المذهب المالكي عالم بالأصول حافظ للحديث وصفه المقري في النفح بالبحر العلامة المحقق الكبير المصنف المنصف العارف بالله الآخذ من كل فن بأوفر نصيب ولد بتلمسان ونشأ بها آخذ العلم عن والده وعمه رحل إلى تونس وفاس والقاهرة لقي العلامة ابن خلدون ولقي الإمام ابن حجر وأخذ عنه مات بتلمسان وترك آثارا تدل على سعة علمه منها أرجوزة في علم

الحديث تسمى الروضة وله أرجوزة طويلة في علم الميقات في 1700 بيت سماها المقنع الشافي وعشرات المتون في شتى العلوم .

المصدر : – المقري، نفح الطيب ج 5 ص 420

– الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف ج1 ص 145

5)– التلمساني الحباك: (ت 867 هـ)

محمد بن أحمد بن أبي يحي، فرضي فلكي من علماء المالكية، ولد ونشأ بتلمسان اشتهر بأرجوزته في علم الإسطرلاب، وعنوانها بغية الطلاب في علم الإسطرلاب.

المصدر: – عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر ص 119

6)– التنسي الحافظ: (ت 899هـ)

هو أبو عبد الله محمد الحافظ التنسي أصلا التلمساني دارا، اخذ عن علماء تلمسان حتى قيل: (العلم مع التنسي، و الصلاح مع السنوسي، والرياسة مع ابن زكري) كان التنسي أديبا وشاعرا ومؤرخا خلف آثارا ذات قيمة أدبية وتاريخية خصوصا كتابه (الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان) وكتابه (راح الأرواح فيما قال السلطان أبو حمو وقيل فيه من الأمداح) كما كان التنسي حافظا محدثا وإماما في التفسير والفقه والنحو.

المصدر:– عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي ص 680

– إرشاد الحائر إلى آثار أدباء الجزائر ص 349

7) الثغري محمد بن يوسف: (ت 780هـ)

هو أبو عبد الله محمد بن يوسف القيسي الثغري، ولد بتلمسان ونشأ بها، كان وثيق الصلة بالبلاط الزياني وكان شاعرا أديبا عالج جميع الفنون الشعرية وكان كاتبا لأبي حمو موسى الثاني أورد له المقري والتنسي عدة قصائد في مدح بني زيان وفي المولديات.

المصدر:– المقري، نفح الطيب ج 7 ص 170

– الجيلالي، تاريخ الجزائر العام ج 2 ص 199

8)– القسنطيني (ابن قنفذ) ت 809هـ :

هو أبو العباس أحمد ابن الخطيب تتلمذ على يد والده وجده لأمه ثم على ابن باديس القسنطيني ارتحل إلى فاس وتلقى العلم بها ثم عاد إلى قسنطينة وتولى بها الخطبة والقضاء

والإفتاء والتدريس من أبرز مؤلفاته سراج الثقات في علم الأوقات وتفسير المطالب في تعديل الكواكب وحط النقاب عن وجوه أعمال الحساب وله مؤلفات في الفقه والطب والفرائض والنحو.

المصدر:- عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي ص 610

- ارشاد الحائر ص 325

- احمد بابا، نيل الابتهاج ج1 ص 109

9)- الثعالبي عبد الرحمن: (ت 875هـ)

هو أبو زيد عبد الرحمن ابن عمر بن مخلوف الثعالبي ولد في وادي يسّر عام 786 هـ بالجنوب الشرقي من الجزائر العاصمة رحل في طلب العلم إلى بجاية وحضر مجالس علمائها ثم انتقل إلى تونس وانتفع بعلمائها ثم ارتحل إلى المشرق ودخل مصر ولقي علماءها ثم أدى فريضة الحج ثم عاد إلى الجزائر واستقر بها، وفيها نشر علمه وكانت وفاته بها وكان الثعالبي رأسا في العبادة والزهد والعلم ترك عشرات المؤلفات بين رسائل وشروح وحواشي وكتب مستقلة في الوعظ والتذكير والتفسير والفقه والحديث واللغة والتراجم منها كتاب الجواهر الحسان في تفسير القرآن، طبع في الجزائر في أربعة أجزاء وله كذلك روضة الأنوار ونزهة الأخبار في الفقه.

المصدر:- الجيلالي،تاريخ الجزائر العام ج2 ص 360_363

10)- التازي إبراهيم: (ت 866هـ)

هو إبراهيم ابن محمد اللنتي أصلا التازي نشأة الوهراني دارا ولد ب تازة، وقرأ القرآن ثم خرج حاجا وأخذ عن مشايخ الحجاز وفي أثناء عودته توقف بتونس وأخذ عن علمائها ثم قصد تلمسان واستفاد من شيوخها واستقر أخيرا بوهران واجتمع بالإمام محمد بن عمر الهواري واخذ عنه ثم خلفه في منصبه، وكان يلقي دروسا في الوعظ والإرشاد بزاويته واستمر إلى وفاته. وللتازي إنتاج وفير في الشعر التعليمي الديني بلغ 15 قصيدة احتفظ بها ثبت أبي جعفر أحمد بن علي البلوي الوادي آشي.

المصدر:- إرشاد الحائر إلى آثار أدباء الجزائر ص 329

- المهدي لعرج، ديوان إبراهيم التازي ص 57

11)- السنوسي محمد بن يوسف: (ت 895)

هو عبد الله محمد بن يوسف السنوسي، ولد بتلمسان وبها نشأ، تتلمذ على يد شيوخ تلمسان واجتهد حتى صار من كبار علمائها في علم التوحيد والتفسير والحديث، وكان من أكابر الأولياء والعلماء ومؤلفاته تدل على تحقيقه وغزارة علمه بلغت مؤلفاته 45 مصنفا .

المصدر :- ابن عسكر، دوحة الناشر ص 109_110

12)- التلمساني احمد ابن زكري: (ت900هـ)

هو الشيخ أبو العباس أحمد بن محمد بن زكري المغراوي التلمساني ولد بتلمسان ونشأ يتيما تحت كفالة أمه بعد وفاة أبيه عمل في مهنة الحياكة وهو طفل ثم تحول إلى طلب العلم بفصل الشيخ ابن زاغو تتلمذ على يد الشيخ ابن مرزوق الحفيد وابن زاغو وقاسم العقباني وعلى محمد بن محمد المشدالي وعلى الثعالبي عبد الرحمن وعرف ابن زكري بسرعة الفهم والحفظ حتى حذق علوم الفقه والتفسير والتصوف وأصول الدين من أبرز مؤلفاته أرجوزته العلمية، محصل المقاصد فيما تعتبر به العقائد وهي في 1500 بيت والتي فرغ من تأليفها عم 890 هجري. كما له نظم في مصطلح الحديث عدد أبياته 170 بيتا سماه معلم الطلاب بما للأحاديث من الألقاب.

المصدر :- أبن عسكر، دوحة الناشر ص 108

- الزركلي، الاعلام ص231
- ابن مريم البستان ص 38
- أحمد بابا، نيل الابتهاج بتطريز الديباج ج1 ص 136

13)- التلمساني ابن أبي حجلة: (ت 776هـ)

ولد الإمام الأديب أبو العباس شهاب الدين أحمد ابن يحى ابن عبد الواحد عام 725هـ في زاوية جده بتلمسان وكان جده صالحا زاهدا انكب على علوم الدين واللغة تحت إشراف أسرته التي عرفت بالتصوف والصلاح بتلمسان وعندما اشتد ساعده انتقل صحبة عائلته إلى المشرق قاصدين أداء فريضة الحج ثم انتقل بعد ذلك إلى دمشق، وشمل تكوينه المعارف الشرعية والأدبية ثم استقر بمصر حيث تولى مشيخة الصوفية بالقاهرة وبعض مؤسسات القاهرة كان كثير الكتابة والتأليف اتسم إنتاجه بالموسوعية والتنوع، فهو صاحب التصانيف

الكثيرة في الأدب والفقه والتاريخ والطب وكانت وفاته من طاعون عام 776هـ والذي هلكت منه عشرات الألوف في مصر والشام وكان هذا العام عام مجاعة و قحط امتد أثره مشرقا ومغربا.وقد خلف ابن أبي حجلة مؤلفات كثيرة منها ديوان شعر مطبوع وأراجيز في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم وديوان في الرثاء ومنظومة في معارضة ابن الفارض شاعر الصوفية سماها غيث العارض في معارضة ابن الفارض نظمها في مدح الرسول وأوصى بدفن هذا الكتاب معه في قبره وقد نفّذت هذه الوصية كما أمر . وله كذلك الطب المسنون في دفع الطاعون ، وكتب أراجيز كثيرة منها :

1- **ترجمان الزمان:** وهي أرجوزة طولها 7آلاف بيت جمع فيها أصناف العلوم المختلفة قال في وصفها:

وسبعة آلاف كأن سطورها لتقييد أصناف العلوم سلاسل

كما كتب أرجوزة في الفقه وأخرى في النحو وأخرى في الطب.

المصدر:- ديوان ابن أبي حجلة،تحقيق مجاهد مصطفى بهجت وأحمد حميد مخلف ط 1 2010 الأردن ص 11_12_23_24_25

14-) البجائي أحمد ابن إدريس اليالولي(ت 760هـ):

تضلع في العلوم والمعارف الإسلامية، تصدى للتدريس والإفتاء في بجاية، ألف عدة رسائل في أغراض شتى ونقل عته ابن زاغو التلمساني وابن سلامة البسكري ودرس عليه عالم وهران محمد ابن عمر الهواري، وله زاوية صوفية ماتزال إلى اليوم في مسقط رأسه بعرش إيلولا في دائرة العزازقة ويعتبر الشيخ أحمد من رواد التصوف في الجزائر.

المصدر:- يحي بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، دار البصائر ط2009 ص 292

15)- البجائي الشيخ أبو زيدعبد الرحمن الوغليسي(ت 786هـ):

من علماء القرن الثامن الهجري، ولد ونشأ في بني وغليس من قرية سيدي عيش جنوب بجاية تضلع في المعارف العربية و الإسلامية حتى أصبح إيماما في الفقه. وتولى وظيفة الإفتاء والإمامة بالجامع الكبير ببجاية ولقب بشيخ الجماعة اشتهر بمؤلفه:

منظومة الوغليسية في الفقه التي شرحها كل من أحمد زروق البرنسي، ومحمد السنوسي.

المصدر:- المصدر السابق ص 292

16)-البجائي أبو الفضل محمد المشدالي: (ت 864هـ)

ولد بأمشدالة حيث حفظ القرآن وأتقن القراءات السبع المشهورة ونبغ في العلوم الدينية والعربية كالفقه والأصول والبلاغة والتوحيد والمنطق وحفظ كثيرا من المتون والشروح ودواوين الشعر، رحل إلى تلمسان ودرس على ابن مرزوق الحفيد علوما أخرى كالجدل والطب والهندسة ثم عاد إلى بجاية واشتغل بالتدريس وتنقل بينها وبين عنابة وقسنطينة وتونس والقاهرة والمدينة ومكة ودرس بالأزهر وحظيَ بسمعة كبيرة إلى أن توفي بالشام.

المصدر:- المصدر السابق ص 294

17)- القسنطيني بركات لعروسي : (ت897هـ)

هو بركات ابن أحمد بن محمد بن محمد لعروسي نشأ في نواحي بسكرة،كان شيخا فقيها، أقام بقسنطينة واشتهر بقصيدته في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم التي سماها (وسيلة المتوسلين بفضل الصلاة على سيد المرسلين) وكان يتغنى بقصائده كل عام طيلة شهر المولد في جميع المساجد ببلاد المغرب كلها كما ألف كتابا آخر في الوعظ والإرشاد سماه: تذكرة الغافل ونصرة الجاهل توفي بتونس.

المصدر:- إرشاد الحار إلى آثار أدباء الجزائر ص 347

18)-العقباني السعيد بن محمد: (ت811هـ)

هو إمام تلمسان وعالمها، فقيه مالكي ولد بتلمسان سنة 720هـ آخذ عن الآبلي، ولي قضاء الجماعة ببجاية في أيام السلطان أبي عنان المريني، ثم ولي قضاء وهران وتلمسان من أبرز تلاميذه (الحفيد وابن زاغو وقاسم العقباني) اشتغل بالتدريس والتأليف نوفي بتلمسان. من أبرز أعماله: شرح جمل الخونجي في المنطق ومنظومة ابن الياسمين في الجبر وله أثره في العقليات والرياضيات .

المصدر:- ابن فرحون ، الديباج المذهب، ت محمد الأحمد ، القاهرة 1972ج 1 ص 394

- عبد المنعم القاسمي،أعلام التصوف في الجزائر ط1 1427 هـ ص 159

19)-التلمساني محمد المقري (الجد) (ت 759هـ)

هو أبو عبد الله محمد ابن محمد المقري التلمساني، ولد بتلمسان وبها نشأ وقرأ وأقرأ ثم خرج إلى مدينة فاس صحبة الملك أبي عنان المريني فولي القضاء بها وبقي بها إلى أن توفي، ودفن بتلمسان. كان المقري في غزارة حفظه وكثرة مادة علمه آية من آيات الله.وكان كاتبا وشاعرا وله عدة تصانيف جلها قي التصوف وله قصيدة طويلة في الشعر الصوفي نظمها على طريقة ابن الفارض .

المصدر:- إرشاد الحائر إلى آثار أدباء الجزائر ص 252

- عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي ج6 ص 473

20)-الأخضري عبد الرحمن: (ت 983هـ)

هو العلامة الإمام المصلح الشيخ عيد الرحمن بن سيدي الصغير، ولد حوالي سنة 920هـ في بنطيوس قرب بسكرة وبها نشأ وشب، أخذ العلم عن والده وقد نبغ مبكرا في العلوم الإسلامية وألف فيها فكتب الكثير من المتون في البلاغة والمنطق والفقه والحساب والمواريث وفي الفلك فله منظومة السراج في الفلك، ومنظومة أزهار المطالب في الإسطرلاب، ومنظومة السلم المرونق في المنطق ومنظومة القدسية في التصوف والجوهر المكنون في الثلاثة فنون في البلاغة وله منظومة في علم الحساب والمواريث سماها الدرة البيضاء. و اختلف المؤرخون في تحديد تاريخ وفاته .

المصدر:- الحفناوي تعريف الخلف برجال السلف ج1 ص67

- بوزياني الدراجي، عبد الرحمن الأخصري، ص11_13

_ الزركلي، الاعلام ص 331

_ المهدي البوعبدلي، عبد الرحمن الأخضري وأطوار السلفية في الجزائر ص25

الملحق الثاني:

ملحق الخـــرائـــــط[1]

[1] خريطة الجزائر ومراكز القبائل في القرن 08 هـ www.reddit.com/r/arabs/comments /4ulkaa يوم 18 – 10- 2016. 16.50

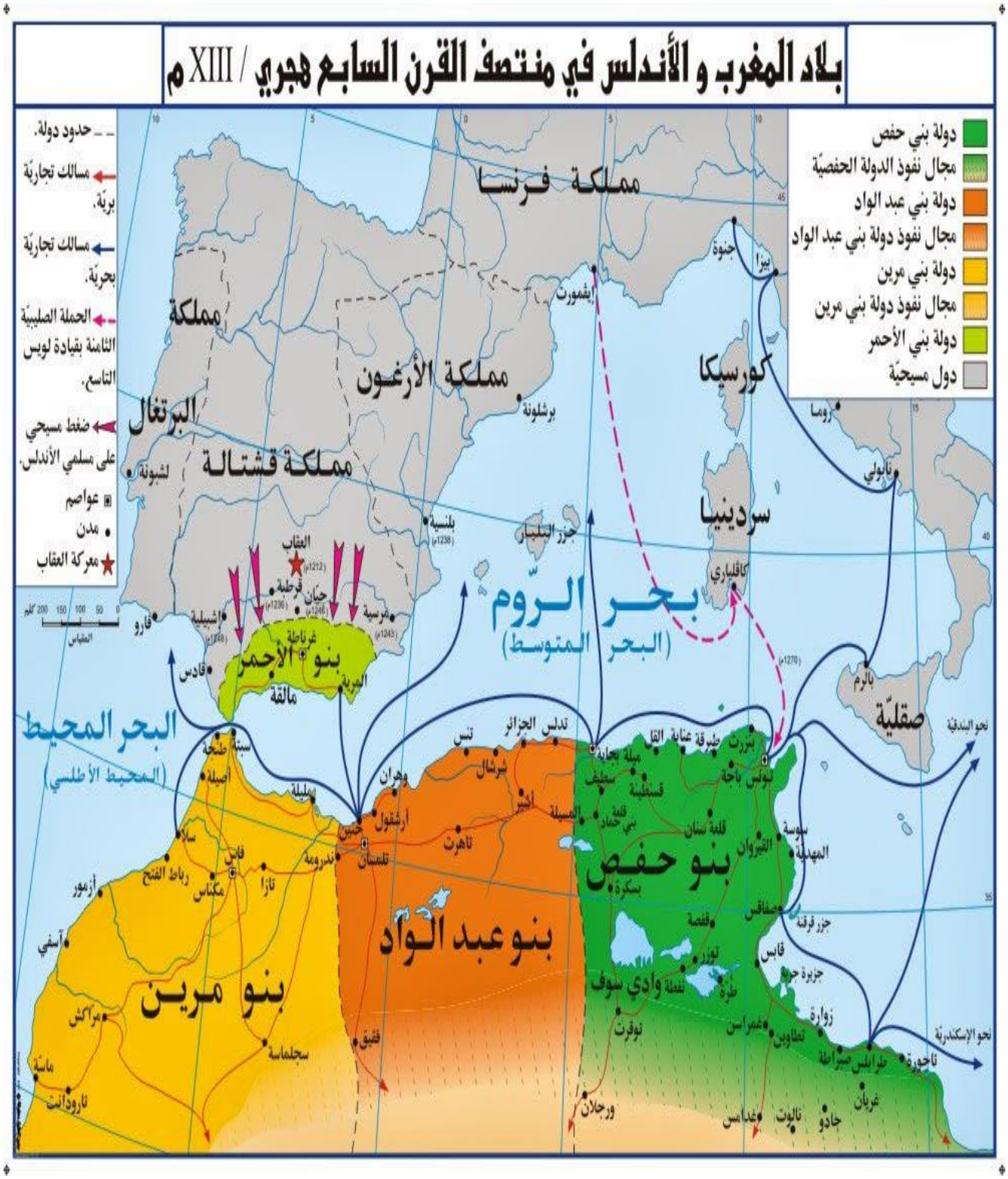
بلاد المغرب و الأندلس في منتصف القرن السابع هجري / XIII م
دولة بني حفص
مجال نفوذ الدولة الحفصيّة
دولة بني عبد الواد
مجال نفوذ دولة بني عبد الواد
دولة بني مرين
مجال نفوذ دولة بني مرين
دولة بني الأحمر
دول مسيحيّة
حدود دولة.
مسالك تجاريّة برّيّة.
مسالك تجاريّة بحريّة.
الحملة الصليبيّة الثامنة بقيادة لويس التاسع.
ضغط مسيحي على مسلمي الأندلس.
عواصم
مدن
معركة العقاب
مملكة فرنسا
مملكة الأرغون
مملكة قشتالة
البرتغال
كورسيكا
سردينيا
بحر الرّوم
(البحر المتوسط)
البحر المحيط
(المحيط الأطلسي)
بنو حفص
بنو عبد الواد
بنو مرين
بنو الأحمر
صقليّة
العقاب
غرناطة
مالقة
المرية
قادس
طنجة
سبتة
أصيلة
تلمسان
تاهرت
تونس
بجاية
قسنطينة
بسكرة
القيروان
سوسة
المهديّة
صفاقس
قابس
جربة
طرابلس
مراكش
فاس
سجلماسة
أزمور
آسفي
ماسّة
نارودانت
توزر
نفطة
وادي سوف
توقرت
غدامس
غريان
جادو
نالوت
ورجلان

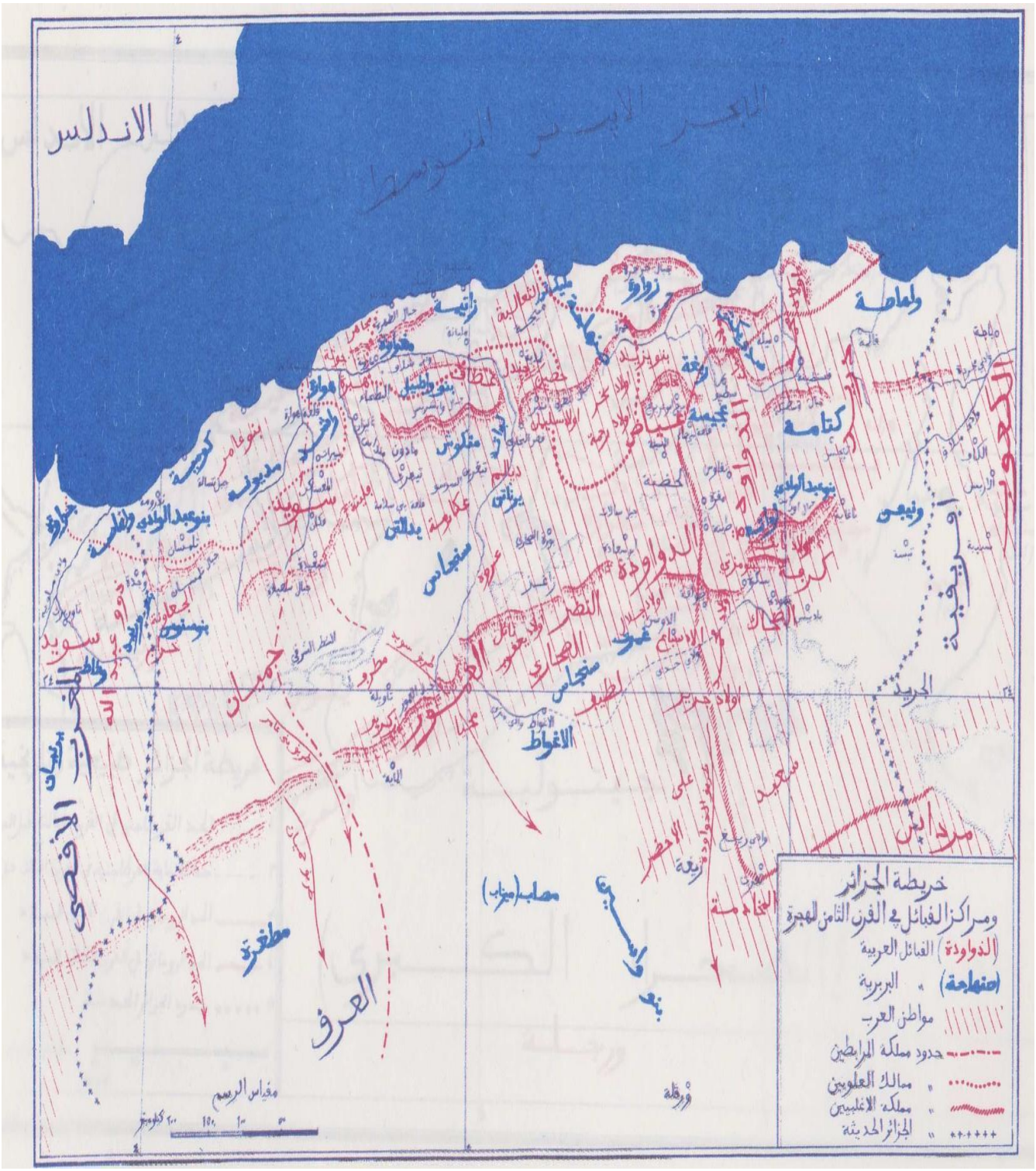
الأندلس
البحر الأبيض المتوسط
الصحراء الكبرى
الزاب
الحضنة
الأغواط
مسعد
مرداس
الجريد
وادي ريغ
وادي سوف
الظهراء
كتامة
مجانة
مطغرة
العرف
مصاب (ميزاب)
ورقلة
مقياس الرسم
خريطة الجزائر
ومراكز القبائل في القرن الثامن للهجرة
(الذواودة) القبائل العربية
(صنهاجة) " البربرية
مواطن العرب
حدود مملكة المرابطين
ممالك العلويين
مملكة الاغلبيين
الجزائر الحديثة

الحفصيون، الزيانيون والمرينيون

الأندلس و شمال إفريقية بعد سقوط الموحدين في مطلع القرن الرابع عشر للميلاد

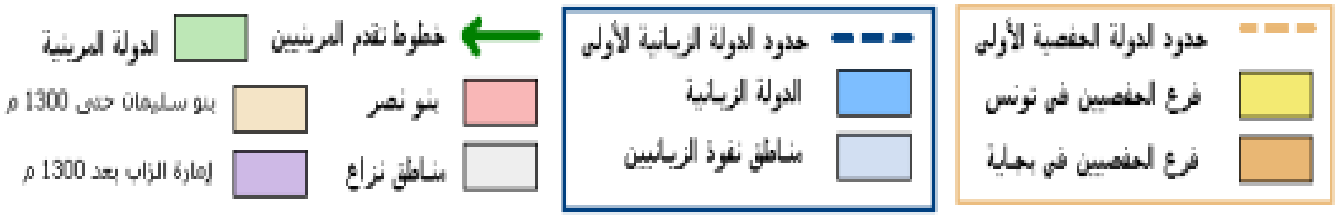

الملخصات

الملخص بالعربية :

تناولت هذه المذكرة جهود علماء الجزائر في الميدان التعليمي خلال القرن الثامن والتاسع والعاشر الهجري خلال العصر الزياني ثم بداية العصر العثماني، وتدرس أنماط الشعر التعليمي الجزائري القديم وأشكاله و مضامينه و أساليبه و طرائقه التعبيرية.

الكلمات المفتاحية :

- الادب الجزائري القديم - الشعر التعليمي - الاتجاه التعليمي

الملخص بالفرنسية :

Ce mémoire traite les efforts des savons algeériens dans le domaine de la didactique , à travers les époques Egiriens 18é 19é , cela veut dire l'époque ZIANIT ensuite le début de l'époque Othmani en Algérie , il essaie d'étudier les genres de la poésie didactique , sesformes contenus et styles .

Mots clés : literature algerienne classique – poesie didactique – tendance didactique .

الملخص بالإنجليزية :

This dissertation tackles the algerian scholars' efforts in didactics during the 8th and 9th centeries oh hejira (Islamic colendar) in the ziani 's era and the early othman caliphote. The present study analyses the different patterns of the old algerian didactic porety , its vrainous forms and espressious its differnt styles and experssing ways.

Keywords: classical Algerian literatures – didactic poetry – didactic stream